ملوك ورؤساء صنعوا تاريخاً

مصر

اوراق مبعثرة

أمير عكاشة

الكتاب: ملوك ورؤساء صنعوا تاريخا مصر

الكاتب: أمير عكاشة

الطبعة: ٢٠١٧

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أوتخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

عكاشة ، أمير

ملوك ورؤساء صنعوا تاريخا مصر / أمير عكاشة

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

.. ص، .. سم.

الترقيم الدولي: ٨ – ٢٧٩ – ٤٤٦– ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٢٧٤٠٦/ ٢٠١٦

ملوك ورؤساء صنعوا تاريخاً

مصر

اوراق مبعثرة

مقدمة :

لا يعد البحث عن حقيقة التاريخ المصري ضرورة ثقافية فقط ، بل يستمد أهمية تربوية و معنوية في ضوء ما نلمسه كبارا و ناشئة من فوراق جمة شهدتها مراحله على اختلاف ملوكها و زعماءها و رؤساءها منذ العصر الفرعوني حتى عهد ثورة الاحرار – وفقا لما تصوره صفحاته – و ما شهدته سنونه من عصور نهضة و ازدهار و عضور اخرى من الضعف و الاضمحلال ، و انطلاقا من دور التاريخ في صياغة الامم و الدفع بها الى افاق رحبة نستعرض من خلال ابواب هذا الكتاب مشاهد من تاريخ دولة حققت انجازات عظمى على مدار تاريخها الممتد على مدار سبعة الاف عام اضاءت من خلالها للحضارة وهج العلم و ملئت مداد الفكر بما شهدته من قفزات هائلة في مجال الفتوح عبر العصور

التى مرت عليها لتقدم شخصيات فذة حكمت دولة الحضارة في مهدها و انتقلت بها متقدمة في ميادين السياسة و الحرب و الادراة و القيادة العظيمة لمختلف الالوان و الاجناس و الاطياف ...

و ان كنا نستعرض التاريخ الحافل لاعظم قادة الدولة المصرية قديما و حديث و حضارة وادي النيل على و الانجازات الكبرى التى تحققت على ايدي هذه الملوك و القادة و الزعماء ، ايضا فانه من الضروري القاء الضوء ايضا على المحن التى مرت بها هذه الدولة من اخفاقات و عصور اسرت فيها تحت وطأة حكم العديد من الممالك و الامبراطويات و الدول الاخرى التى تنافست دائما و ابدا على السيطرة على الاتراب المصري الذي ظل ابد الدهر حرا ابيا لم يهن و لم يخضع متاثرا بالعديد من التغيرات الفكرية و الايديولوجية التى توافدت عليه من قبل التأريخ و التى تولدت في كنفه ايضا العديد من الثورات التى سالت

معها دماء المصريين مختلطة بتراب مصر منذ عهد الاسرات الاولى حيث الملك نارمر حتى انبل الثورات التى قادها الاحرار من ابناء هذا الوطن للزود عن ثراه و مقدراته و شعبه .

و على اختلاف العصور و اللغات و اللهجات التى تحدث بها المصري منذ اكثر من سبعة الاف سنة حكمت البلاد خلالها دول على مدار حقب تاريخية متعاقبة تلونت فيها جنسيات الحكام و السنتهم الا انهم دائما و ابدا كانوا ينتمون لمصر ارضا و سماءا و تاريخا و عمرا محتدا و قدموا العديد من الانجازات و الامجاد التى حكى عنها التاريخ على بمختلف عصوره و التى نستعرضها من خلال فصول هذا الكتاب و التى اثرنا ان يشتمل كل منها على عصر افردنا لكل ملك من هؤلاء من خلال فصول الباب ذاته ما تضمن حياته و انجازاته و اعماله و فترة حكمه في محاولة لسرد التاريخ المصري الحافل و العظيم من خلال صفحات مبسطة و مقتضبة للناشئة و الكبار تتيح التعرف على صور هذه الرموز المصرية من خلال أعمالهم في حقائق ثابتة .

و من خلال هذه الحقائق الثابتة التى تقودنا الى البداية الطبيعية للتاريخ المصري و الذي يجدر القول ان نور الحضارة في العالم باسره قد بدأ معه و التى اثرت احداثه صفحات الكتب من خلا ل سرد وسع نطاق الرؤية المحدودة للعديد من الشخصيات التاريخية لتشمل كل فعاليات المجتمع المصري السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و العمارة و العلوم و الفنون و غيرها من الشئون التى حفلت بها عصور مصر على مدار تاريخها و على انساع رقعتها التى امتدت في الشمال حتى اواسط تركيا و في اسيا شرقا و ضمت السودان بأكمله جنوبا و هيمنت على سواحل افريقيا غربا لتبقى مصر خلال هذه الازمنة المتعاقبة قلب الحضارة و مشعل رايتها أبد الدهر من خلال دولها من خلال نماذج لأشهر ملوكها من المصريين

الباب الأول

ملوك الدولة القديمة

الفصل الاول

عصر الأسر المبكرة

(١)

الملك نارمر

(مؤسس الأسرة الاولى ٣٢٠٠ ق. م)

الصعيد المصري دائما ما كان معقلاً لأهم القادة في التاريخ ولعل أولهم ممن بدأ بهم التأريخ لحضارة وداي النيل في الشمال هو الملك "نعرمر" أو "نارمر"، و الذي قدم من مصر العليا "الصعيد" ، حيث كان ملكا لمملكة الجنوب التى استطاع أن يوحد حكمها مع مصر السفلى أو "مملكة الشمال" في القرن الثاني والثلاثين قبل الميلاد، ليعد بذلك مؤسس الأسرة الفرعونية الأولى.

ويعتقد أنه خلف الملك "سركت"، آخر ملوك ما قبل الأسرات. و يظن العديد من المؤرخين أن سركت هو نفسه نارمر، مستشهدين على ذلك من خلال لوحة نارمر الشهيرة، المكتشفة علم ١٨٩٨، في هيراكونبوليس، والتى تظهر "نارمر" حاملاً شعاري مصر العليا (الصعيد) ومصر السفلى (الدلتا)، مما عزز نظرية أنه كان موحد المملكتين.

وتقليدياً يعزى هذا الإنجاز للملك مينا، وهذا ما تذكره قائمة مانيتو بجانب كونه أول الملوك الفراعنة، حيث يعتقد بعض العلماء أن مينا ونارمر هما نفس الشخص، بينما يعتقد علماء آخرون أن مينا هو "حورس آخا" وأنه ورث حكم مصر التي وحدها "نارمر" من قَبْلِه. و يسود أيضا اعتقاد ثالث بأن نارمر بدء عملية توحيد القطرين وإما أنه لم ينجح أو

نجح جزئياً؛ تاركاً إكمال المهمة لمينا.و يدعم ذلك نظرية أخرى مساوية في الاحتمال وهي أن نارمر أعقب مباشرة الملك الذي وحد مصر (والذي ربما كان الملك عقرب الذي وُجد اسمه على صولجان في هيراكونپوليس)، ومن ثم اتخذ نفس رموز توحيد الشطرين التي كانت مستعملة قبله لمدة جيل. ويجب ملاحظة أنه بينما كان هناك الكثير من الأدلة الملموسة على وجود فرعون اسمه نارمر، فلا يوجد أي دليل عدا قائمة مانيتو على وجود الملك مينا، فقائمة الملوك المكتشفة حديثاً في مقبرتي "دن" و"قاعا" تذكر نارمر كمؤسس هذه الأسرة المالكة.

اسم نارمر يمثل صوتياً بالرموز الهيروغليفية "نعر" أي قرموط و"مر" أي مطرقة (أو قادوم). وتلك الرموز يمكن نطقها كذلك كما يلي: "نارمرو" أو "مرونار"، إلا أن العرف جرى على أن تنطق "نارمر". والاسم يعني: القرموط الغاضب.

وعن زوجته ، فيعتقد أنها كانت "نعيث حوتپ آ" ، وكانت أميرة من مصر السفلى. وقد وجد اسمها في مقابر خلفاء نارمر المباشرين "حور آحا "و"دجر"، مما يدعو للإعتقاد أنها كانت أم أو زوجة "حور آحا".

ويعتقد أن مقبرته كانت تتألف من غرفتين متصلتين وجدا في منطقة أم القعب في أبيدوس.

وبالرجوع إلى ذكر الترجمة لاسم نعرمر لم تستطيع علماء اللغة المصرية القديمة حتى الآن معرفة اسم نعرمر فربما يرجح أن اسمه يعنى القرموط الغاضب ولكن هذا الاحتمال مستبعد ؛ فهذا الاسم لملك استطاع جمع شمل القطرين بتسمية نفسه به بدلا من تلقيب نفسه ملك مصر السفلى والعليا .

(٢)

"الملك مينا"

يزعم المؤرخون وفقا لما نقلته الشواهد التاريخية والكتابات الجدارية لعلماء تلك الحقبة البعيدة ان مينا ونارمر هما شخص واحد قام بتوحيد القطرين ، و فرعون الأسرة المصرية الأولى الذي قدم من مدينة طيبة (الأقصر حاليا)، استطاع أن يضم مملكتي الشمال والجنوب تحت إمرته حوالي عام ٣٢٠٠ ق.م، ولقب لهذا الفضل العظيم بعدة ألقاب مثل (ملك الأرضين)، و(صاحب التاجين) ،و (نسر الجنوب)،و (ثعبان الشمال). ويعتبر الملك مينا مؤسس الأسرة الفرعونية الأولى .

و يرجع أصل اسم مينا في بعض الكتابات المصرية القديمة الى (ميني)، ومن ثم حرف المصريون الاسم إلى مينا. واسم مينا متداول في الديانة المسيحية منذ بداية التاريخ حيث كان يلقب به بعض القديسين في الماضي ..... ومن الغريب أن كلمة (ميني) تعنى باللغة المصرية القديمة "يؤسس" أو "يشيد"، فكأن المصريين أرادوا أن يبجلوا عمله في اسمه. ويؤكد بعض المؤرخين أن (ميني) فعل أو لقب وليس اسما. أما في اللغه القبطية(المصرية) فهو له العديد من المرادفات الكثيرة منها (ثابت أو راسخ أو مكين أو دائم أو باق).

ومن أهم الأعمال التى أقامها هذا الملك عند توليه ما فكر به من اختيار موقع يستطيع أن يحكم منه مصر، فقام بإنشاء قلعة محاطة بسور أبيض وأسماها (من–نفر) وتعنى

الميناء الجميل، والتي أصبحت عاصمة لمصر في عصر الدولة القديمة، ثم أسماها الإغريق بعد ذلك ممفيس، ثم أطلق عليها العرب عند فتح مصر منف.

وعلى جانب آخر من إنجازاته استطاع الملك مينا صنع لوحة تذكارية تخلد ماقام به سميت باسم لوحة نارمر، وتضم كتابات تصويرية لانتصاراته و توحيد القطرين الشمالى والجنوبي تحت رايته، وتصور اللوحة على إحدى وجوهها صورته و هو يرتدى التاجين ويحمل صولجانا إثر اخضاعه للقطبين تحت إمرته بعد توحيدهما، وضمه لعاصمة الشمال التى كانت تحمل اسم " بوتو " إلى "نخب" عاصمة مصر العليا في ذلك الوقت ليعلن قيام الدولة الموحدة و بداية عصر الأسرات. وإليه يرجع الفضل الأول في تأسيس عصر الاسرات في مصر و الذي استمر من بعده على مدار العصور الفرعونية التى تعاقبت من بعده حتى العهد اليوناني و الروماني .

حور عحا

هو اسم الملك الذي خلف مينا. وينتسب إلى قائمة الاسم الحورى التابعة للألقاب الملكية... ومعنى حور عحا هو "حور الذى يحارب"، يسمى بالاسم الحوري نسبة إلى الإله حور، وهو يكتب داخل علامة السرخ – والتي تعني واجهة القصر واستعملت فيما بعد بمعنى القصر (صرح كما نقلها العبرانيون للعرب) –كما يسمى أيضا بالاسم الكاوي نسبة إلى الكا. وهو من أقدم الأسماء، وكان مستخدما في ملوك ما قبل الأسرات. وهو يعتبر الملك التجسيد الأرضى للإله حورس أهم إله في حياة المصريين.

الفصل الثاني

ملوك الدولة القديمة

(١)

الملك زوسر

الاسرة الثالثة (٢٦٨٦ق.م - ٢٦٠٠ق.م)

يعني اسم " زوسر" ، أو نثر خت وهي تعني جسد المعبود، اتخذ لقب جسر بمعنى المقدّس. (٢٦٨٦ق.م – ٢٦٠٠ق.م). وهو الفرعون الثاني في الأسرة الثالثة الفرعونية وذلك في بداية الدولة القديمة. ظهر اسمه في بردية تورين باللون الأحمر، تمييزا له عن باقي ملوك الدولة القديمة. الهرم المدرج الذى أمر زوسر مهندسه "إمحوتب" ببنائه يعد أول بناء حجري ضخم عرفه التاريخ.

فترة حكمه

ذكر المؤرخ الفرعوني مانثو **Manetho** أن زوسر حكم لمدة ٢٩ سنة (٢٦٤٠ق.م – ٢٦١١ق.م)، بينما تذكر بردية تورين أن فترة حكمه امتدت فقط ١٩ عاماً (٢٦٣٠ق.م – ٢٦١١ق.م)، إلا أن الكثير من المؤرخين الحاليين يذكرون أن فترة حكمة امتدت لمدة ٢٩ عاماً بسبب ضخامة أعماله الإنشائية التي قام بها. وعليه فإن فارق السنوات بين الرقمين قد يعني أن زوسر هو نفسه الفرعون الأول في الأسرة الثالثة.

وله نقش في أحد جزر أسوان، يسرد أحداث المجاعة التي حدثت في عهده بسبب نقص فيضان النيل، حيث قدم زوسر القرابين لخنوم معبود الشلال. وذكر فيه التالي:

"قلبي كان في ضيق مؤلم، لأن النيل لم يفض لسبع سنوات. الحبوب لم تكن وفيرة، البذور جفت، كل ما يمتلكه الفرد ليأكله كان بكميات مثيرة للشفقة، كل شخص

حرم حصاده. لا يمكن لأي شخص أن يمشي أكثر. قلوب كبار السنّ كانت حزينة وسيقانهم إنحنت متى جلسوا على الأرض، وأيديهم أخفت بعيدا. حتى خدم المعابد كانوا يذهبون، المعابد أغلقت والملاجئ غطّيت بالغبار. باختصار، كلّ شيء في الوجود أصيب."
و يأتي الرد من المعبود خنوم حسب النقش:

"أنا سأجعل النيل يرتفع لك. لن تكون هناك سنوات أكثر عندما يخفق الغمر في تغطية أي منطقة من الأرض. الزهور ستورق، وتنحني جذوعها تحت وزن غبار الطلع"
يعتبر الملك زوسر من أقوي الملوك الذين حكموا مصر وقد لقبه المهندس المعماري الذي شيد له الهرم بعدة ألقاب منها "ناظر القصر" و"تي بي خرن سو" .

إنجازاته

– اتخذ زوسر من منف عاصمة له

– قام باستخراج النحاس والتركواز من سيناء مما أمن له ثروة ضخمة مكنته من القيام بأعمال إنشائية ضخمة.

– وسع دولته جنوبا بعد أن بسط نفوذه على النوبيين ومد حدود البلاد إلى ما بعد الجندل الأول.

هرم زوسر المدرج

بناه في سقارة و يطلق عليه هرم سقارة المدرج و قد بناه زوسر علي مسافة ميل من جرف سقارة ليبتعد عن باقي المقابر، وأشرف على البناء وزيره إمحوتب. يتكون الهرم من ست مصاطب غير متساوية وبارتفاع يبلغ ٦٢ مترا والهرم مكسو بملاط جيري أبيض، أما من الداخل فيتكون من شبكة ممرات ودهاليز، أما غرفة دفن الملك فبنيت من الجرانيت والرخام.

عثر علي تمثال زوسر في حجرة ضيقة تعرف باسم السرداب، وتقع شمال شرق المجموعة الجنزية للملك زوسر بسقارة، وهذا التمثال أقدم ما عرف من التماثيل بالحجم الطبيعي في مصر، وهو يمثل الملك زوسر جالسا على العرش، وقد غطى جسده رداء احتفالي وكان التمثال بأسره مكسوا بطبقة من ملاط أبيض ثم لون، أما العينان الغائرتان فكانتا يوما ما مرصعتين، ويتخذ الملك شعرا مستعارا أسود يعلوه لباس الرأس الملكي المعروف باسم النمس، فضلا عن اللحية المستعارة الشعائرية.

وقد نقش السطح الأمامي من القاعدة بنص هيروغليفي دقيق يبين أسماء وألقاب ملك مصر العليا والسفلى وهو نثري خت.

(٢)

الملك سنفرو

مؤسس الأسرة الرابعة (٢٦١٣ ق.م. حتى ٢٥٨٩ ق.م)

سماه قدامى الإغريق: سوريس، مؤسس الأسرة الرابعة والد الفرعون الشهير خوفو باني الهرم الأكبر. حكم من حوالي ٢٦١٣ ق.م. حتى ٢٥٨٩ ق.م. واسمه "سنفرو" يعني: "صانع الجمال".

تزوج سنفرو من حتپ حرس، التي يعتقد أنها كانت ابنة الفرعون السابق له، هوني. وحماه ربما يكون أيضاً والده حسب بعض المنظرين. وحسب تلك النظرية بإن حوني أنجب حتپ حرس من زوجة ملكية، بينما أنجب سنفرو من جارية. ولذلك فكان زواج سنفرو هو جوازه إلى العرش.

ويطلق عليه لقب (الملك المحسن المحبوب)لأنه حكم مصر ٢٤عاما

في عدل وسلام ... وأغلب الظن أن انتقال الحكم من الاسرة الرابعة كان انتقال سلميا، فلقد تزوج سنفرو (ابن الملك حوني من زوجة فرعية) صاحبة الحق في وراثة العرش، وأسس الأسرة الرابعة. وهو ما أكدته المصادر الأدبية إذ ذكر أحد أدباء الدولة الوسطي في نصوصه: "وبعد أن توفي جلالة الملك حوني نصب جلالة الملك سنفرو باعتباره ملكا فاضلا في هذه الدنيا كلها".

و"سنفرو" هو الاسم المختصر من "بتاح سنفروي"، أي "بتاح جملني". وقد حكم سنفرو طبقا لما جاء في تاريخ مانيتون ما يتراوح بين ٢٤ و ٢٦ عاما ،وأكدت بردية تورين

أن حكمه دام على مدار ٢٤ عاما. ونعرف الكثير عن أخبار سنفرو من خلال حجر بالرمو منها أنه أقام من القصور والمعابد.

وقد ذكر العديد من المؤرخين و من العلماء الباحثين في تاريخ الدولة القديمة أن الملكة "مرس – عنخ" هي أم سنفرو، ويرجح أنها كانت إحدى زوجات الملك "حوني" الثانويات، وأن سنفرو استحق وراثة العرش عن طريق زواجه بالأميرة "حتب – حرس" ابنة حوني التي حملت لقب "ابنة الإله"، وأن زواجهما تم قبل وفاة حوني آخر ملوك الأسرة الثالثة. وبذلك استطاع سنفرو أن يجمع بين القوة والرحمة، فحكم وقاد بلاده وشعبه إلى حياة أفضل يظللها الأمن والسلام، كما انتعش في عهده الاقتصاد بفضل تشجيعه لإقامة علاقات تجارية مع فينيقيا أشهر المدن التجارية في ذلك الحين، كما أنه أحسن في استخدام موارد بلاده، فأرسل أسطولا بحريا مكونا من أربعين سفينة لإحضار أخشاب الأرز، "الصنوبر" من ميناء جبيل في الدولة الفينيقية (لبنان حاليا) و ذلك حسب ما جاء في حجر بالرمو، وهي الأخشاب التي استعلمت وصنعت منها الأبواب وبعض الأجزاء الداخلية من أهرامات الملك. ذكر أيضاً حجر بالرمو خبر تشييد ستين سفينة لكل منها ستة عشر مجدافاً. اهتم الملك سنفرو بتأمين الحدود، فقام بحملة إلي بلاد النوبة ليعيد الأمن والطمأنينة إلي حدود مصر الجنوبية. وورد ذكر هذه الحملة على الوجه الثاني من حجر بالرمو، ومن خلال الأرقام يتضح لنا مدى المقاومة التي واجهها الملك سنفرو هناك. وقد عاد جيشه بـ ٧٠٠٠ آلاف من الأسري و ٢٠٠ ألف رأس من الثيران والأغنام. وقد أطلق الملك سنفرو اسم "نحسيو"، أي السودانيين، على كل القبائل التي تسكن جنوبي الحدود المصرية. إرسال سنفرو حملات تأديبية لبدو سيناء، الذين كانوا يغيرون على مناجم الفيروز والنحاس وقوافل التجار. وقد عثر علي نقش له علي صخور جبل المغارة، يمثل الملك سنفرو وهو يؤدب الأسرى، كما استحق أن يمجد إلها حاميا للمنطقة إلي جانب المعبودين حتحور وسوبد. أرسل سنفرو حملة أخرى إلى ليبيا وأتى منها بـ ١١ ألف أسير و١٣ ألف رأس من الثيران والأغنام. كما إهتم بالتنظيم الإداري وقد استحدث وظيفة وزير التي ظهرت لأول مرة في عهده. وليس هناك دليل أقوى من وجود صور تمثل حكام الأقاليم المصرية منقوشة على جدران معبد الوادي بدهشور، وهي أقدم نقش للأقاليم المصرية عثر عليه.

ومن خلال جودة التنظيم وحسن الإدارة قام الملك بتشييد هرمين له في نفس المكان، فهذا العمل الضخم استخدم فيه كم من الأحجار قدرت بحوالي ٣.٨٤٢.٠٠٠ متراً مكعباً من الحجر الجيري، بينما قدرت الأحجار التي استخدمها الملك خوفو في بناء الهرم الأكبر بحوالي ٢.٥٠٠.٠٠٠ متراً مكعباً. والهدف من المقارنة هو معرفة مدى فاعلية التنظيم الإداراي المشرف على سير العمل.

رأس من حجر الجرانيت قد تكون للملك سنفرو محفوظة حالياً بمتحف بروكلين، ارتفاعها ٦١ سم. تؤرخ هذه الرأس لأواخر عصر الأسرة الثالثة وبداية الأسرة الرابعة، وفيها تتشابه الملامح من حيث الأنف العريض والشفاه الغليظة وامتلاء الوجه مع ملامح سنفرو في رأس أخرى لتمثال من الحجرالجيري اكتشفت في دهشور الجنوبية. ونلاحظ طريقة وضع التاج على رأس الملك لكي يغطي جبينه ويميل الرأي لنسبتها إما لخوفو أو سنفرو وهما أكبر ملوك الأسرة الرابعة تأليهاً حيث أخذ كل منهما لقب "نثر عا" أي المعبود الكبير.

كما يوجد تمثال من الحجر الجيري للملك سنفرو محفوظ حالياً بالمتحف المصري عثر عليه د. أحمد فخري في نيش بمعبد الوادي الخاص بهرمه في منطقة دهشور الجنوبية، وينسبه العلماء للملك سنفرو، وخاصة للملامح من حيث الشفتين الغليظتين وإمتلاء الوجه والأنف العريض وطريقة وضع التاج الأبيض فوق الرأس بحيث تغطي أكبر قدر من الجبين، ونلاحظ أن التمثال أصابه التلف في منطقة الصدر والأطراف .

وتعتبر أهم أعمال سنفرو التى سردها التاريخ على صفحاته أنه أرسل أسطولا ضخما إلى فينيقيا لاستيراد خشب الأرز النادر لعدم وجود أخشاب جيدة في مصر ،كما عمل على تأمين حدود مصر الغربية والجنوبية من الأعداء، وقد شيد لنفسه هرمين بدهشور وهما الهرم الأحمر والهرم المائل كما أنه اهتم باستخراج المعادن، مثل :النحاس والفيروز من سيناء و قد تميزت فتره حكمه بالاستقرار والعداله .

(٣)

(عصر بناة الاهرام)

الملك خوفو

ثاني ملوك الأسرة الرابعة في مصر القديمة. تولى الحكم بعد وفاة والده سنفرو، تحت اسم (خنم خوف واي) أي (المعبود خنوم الذي يحميني). وهو من قرية (منعت خوفو) أي (مرضعة خوفو) وهي بلدة بني حسن بمحافظة المنيا حاليا. أرسل بعثات إلى وادي المغارة لإحضار الفيروز، حيث وجد اسمه وصورة تمثله وهو يهوي على رأس شخص بدبوس قتال. له تمثال وحيد عثر عليه في أبيدوس من العاج، نقش اسمه على كرسي العرش، وطول التمثال خمسة سنتيمترات، وهو الآن بالمتحف المصري. حكم طبقا لبردية (تورين) حوالي ثلاث وعشرين سنة، وفي عهده بني الهرم الأكبر في الجيزة، وكان أضخم بناء حجري في العالم في ذلك الوقت . أطلق عليه اسم (أخت خوفو) بمعنى أفق خوفو.

شيد الهرم سنة ٢٦٥٠ ق.م . واستمر حوالي ٢٠ عاما ، و جلب له الاحجار التى بناها به من أسوان . و يعد عصر هذا الملك امتدادا لعصر أبيه حيث استطاع أن يواجه العديد من المشكلات التى واجهته بعد توليه الحكم وكانت أكبرها مشكلة تسخير الناس لبناء الهرم الأكبر مستغلا الأعداد الكبيرة للمصريين وقتها في هذا العمل الشاق و الذي كان بمثابة انتعاشة لأحوال البلاد التجارية و الاقتصادية.

الملك خفرع: ٢٥٥٩ و٢٥٣٥ ق م

عو فرعون من ملوك المملكة القديمة و ثالث ملوك الأسرة الرابعة. يسمى خفرع أو خفران هو حكم بين سنتي ٢٥٥٩ و٢٥٣٥ ق م وهو الذي شيد الهرم الثاني بالجيزةأ و هو على الأغلب ابن الملك خوفو من زوجة ثانوية. تولى الحكم بعد الملك "جرف رع" الذي كان قد استولى على الحكم بعد موت الملك خوفو ... أما عن حياته فقد تزوج الملك خفرع أو خفران من الأميرة "مراس عنخ"و دام حكمه ست وعشرين سنة .

هرمه يشابه في عظمته هرم خوفو إلا أنه أقل منه ارتفاعا و يمكن التعرف على ملامح هذا الملك من خلال تمثاله الذي بناه أمام هرمه و الذي أطلق عليه "أبو الهول" والمتمثل في صورة أسد برأس إنسان. و قد تم العثور على صورة منحوتة بمعبده بوادي الملوك و تمثال للملك جالساً موجود بالمتحف المصري. لا يعرف الكثير عن فترة حكمه، ولا توجد شواهد تؤكد رواية مؤرخ اليوناني هيرودوت التي تصف خوفو وخفرع كطغاة ، إذ لا يوجد اتفاق حول تاريخ حكمه، ولكن قد قيل إنه حكم بين عامي ٢٥٥٨ ق.م. و٢٥٣٢ ق.م.

من أهم أعماله التى تجسد تاريخ دولته يمكن استنباط ملامح هذا العصر من خلال "هرم خفرع"، وهو أقل ارتفاعا من هرم أبيه(خوفو). كان ارتفاعه ١٤٣مترا والآن ١٣٦مترا. شيد الهرم فوق مساحة ٢١٥ مترا مربعاً، وله مدخلان في الجهة الشمالية، وما زال يحتفظ بجزء من كسوته الخارجية عند القمة.عثر ضمن مجموعته الهرمية على تماثيل من حجر الشست في معبد الوادي الخاص ، من بينها تمثال من أجمل ما أنتجه فن النحت المصري، وهو موجود بالمتحف المصري، وينسب له نحت صخرة تمثال أبي الهول.

يقع هرم خفرع جنوب غرب هرم أبيه خوفو. ويبلغ ارتفاعه ١٤٣,٥ متراً وطول كل ضلع ٢١٥,٥ متراً، وزاوية ميله ٥٣ درجةْ. يقع الهرم في مستوى سطح الأرض، والمدخل يؤدي إلى ممر هابط، سقفه من الجرانيت وزاوية انحداره ٢٢ درجة. وينتهي عند متراس يفضي إلى ممر أفقي، ثم ممر منحدر يؤدي إلى حجيرة يطلق عليها خطأ حجرة الدفن وهي فارغة منحوتة في الصخر، ويؤدي الدهليز إلى متراس آخر يرتفع إلى أعلى بممر أفقي ينتهي

بحجرة الدفن، وهذه الحجرة سقفها جمالوني مشيد بالحجر الجيري، وتكاد تكون منتصف الهرم، أطلق خفرع على هرمه اسم(العظيم).

الملك منكاورع: (٢٥٣٢ ق.م. و٢٥٠٤ ق.م)

هو خامس فراعنة الأسرة الرابعة، ابن الملك خفرع. واسمه يعني: «طويل العمر بقوة رع». تزوج من الأميرة "خامر عر نبتي الثانية".

بعض الكتاب يضعون تاريخ حكمه بين عامي ٢٥٣٢ ق.م. و٢٥٠٤ ق.م.، وإمتدت فترة حكمة إلى ٢٨ سنة، إلا أن بردية تورين تقول أنه حكم لمدة ١٨ عامًا، وهذا الرأي هو الأقرب للصحة إذا أخذنا في الاعتبار العديد من التماثيل غير المكتملة له. بنى منكاورع ثالث أكبر هرم في الجيزة وقد بناه بجوار هرمي أبيه وجده ويبلغ ارتفاعه ٦٦ مترًا تقريبًا. كان عهده أكثر حرية من أبيه وجده، حيث مارس الشعب شعائره الدينية بحرية لم يعهدها من قبل.

الفصل الثالث

ملوك الدولة الوسطى

(١)

منتوحتب

حمل هذا الاسم مجموعة من ملوك مصر في الأسرات الحادية عشرة و الثالثة عشرة والسابعة عشرة. وهذا الاسم مركب من مقطعين: الأول منتو؛ وهو اسم إله الحرب في مصر القديمة والثاني حتب وتعني راضياً أو منعماً.

منتوحتب الأول

كان منتوحتب الأول **Mentuhotep I** حاكماً لإقليم طيبة (الأقصر حالياً) في عصر الانتقال الأول الذي عاشته مصر في الفترة من ٢٢٠٠– ٢٠٦١ ق.م بعد سقوط الدولة القديمة. حمل منتوحتب الأول لقب «تتي عا» أي الجد الأول، و من المرجح أن منتوحتب الأول قد توفي نحو عام ٢١٣٠ ق.م.

منتوحوتب الثاني (٢٠٤٦ - ١٩٩٥ ق.م.)

ويعني اسمه الملكي (الإله مونتو راضٍ)، وهو ملك مصر وهو ابن إنتف الثالث ويعتبر من مؤسسى الأسرة الحادية عشرة. نقل العاصمة إلى طيبة بدلا من ممفيس عاصمة الدولة القديمة ، و وحد البلاد تحت حكمه، واضطر إلى اخماد بعض الثورات التي كانت ضده بالإضافة إلى أنه أعاد حال البلاد إلى ما كانت عليه في عصر الدولة القديمة. يعتبر منتوجتب الثاني مؤسساً وأول حاكم في عصر الدولة الوسطى في التاريخ المصري. بقايا معبده بالدير البحرى لا زالت موجودة بجوار معبد حتشبسوت ،أحبه المصريون كثيرا واعتبروه مثل مينا (مؤسس العصر العتيق والدولة القديمة) ومثل أحمس (مؤسس الدولة الحديثة) وتوجد صورة له بجانب الملكين مينا وأحمس.

حاول منتوحتب الثاني في سياسته الداخلية أن يركز سلطان الحكم في عاصمته وأن يحد من سلطات حكام الأقاليم، ومنع تداول حكم الأقاليم وراثياً. نجح منتوحتب الثاني فيما أراد، فاختفى لقب «حاكم الإقليم العظيم» وغيره من النعوت الضخمة التي انتحلها حكام الأقاليم لأنفسهم في عصر الانتقال الأول، ولم يعد حكام الأقاليم ينحتون مقابرهم في أقاليمهم، بل نحتوا أغلب مقابرهم حول مقابر الملوك في غرب العاصمة طيبة.

قام منتوحتب الثاني بالتخلص من العناصر غير الموالية له، وتعيين موظفيه الطيبيين في المواقع المهمة في الدولة، وشغل أحد هؤلاء الموظفين وظيفة حاكم مصر السفلى، وهي وظيفة جديدة استلزمتها ظروف وجود العاصمة في طيبة في الجنوب.

أقام منتوحتب الثاني العديد من المعابد، منها: معبد الإلهة ساتت في الفنتين (جزيرة فيلة) ومعبد الإلهة نخبت في الكاب (عاصمة مصر العليا قبل التوحيد)، كما أعاد بناء معبد الإله منتو في الطود (في محافظة قنا إلى الجنوب الغربي من مدينة الأقصر)، وأقام معبده الجنائزي في منطقة الدير البحري في غرب طيبة.

وفيما يتصل بالسياسة الخارجية للملك منتوحتب الثاني، فقد أرسل حملة إلى وادي الحمامات قضت على مصادر الشغب في هذه المنطقة، كما أعاد فتح الطريق إلى مناجم الفيروز في سيناء. لحماية حدود مصر الغربية أرسل حملة إلى قبائل التحنو الليبية، تمكنت من قتل قائد هذه القبيلة، وحاول استعادة ما كان لمصر من نفوذ في النوبة عند نهاية الأسرة السادسة.

بعد وفاته خلفه إبنه الوحيد على العرش وهو منتوحوتپ الثالث.

منتوحتب الثالث

خلف والده منتوحتب الثاني في الحكم، وكان طاعناً في السن، فلم يدم حكمه سوى اثنتي عشرة سنة، واصل فيها خطط تنمية البلاد، كما قام بتشييد التحصينات على حدود مصر الشرقية لمنع تسلل البدو من سورية و فلسطين، كما أرسل بعثة تجارية إلى بلاد البونت بقيادة وزيره حنو لإحضار البخور والأخشاب.

منتوحتب الرابع

دام حكمه سبع سنوات، وأرسل في العام الثاني من حكمه بعثة مؤلفة من عشرة آلاف رجل بقيادة وزيره أمنمحات إلى وادي الحمامات لإحضار الأحجار الضرورية للبناء.

(٢)

أمنمحات الأول

(٢٠٠٠-١٩٦٢ قبل الميلاد)

أطلق عليه امنمحات الأول أو أمنمحعت و هو ابن كبير الكهنة الذي يدعى سنوسرت وابن سيدة تدعى نيفريت[١] ، أصبح وزيرا لاخر ملوك الاسرة الحادية عشرة(منتوحتب الثانى). ولما مات الملك دون وريث أعلن أمنمحات نفسه ملكا على مصر حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م. و في هذه السنة بدأ عهد الأسرة–السلالة–الثانية عشرة. قام بتنظيم الحكومة والحد من سلطة النبلاء وازدهرت مصر في عهده. نقل العاصمة من طيبة إلى الفيوم قرب مدينة اللشت حاليا، وأسمى العاصمة (اثيت تاوى) وتعنى القابضة على الأرضين (وجهي مصر البحري والقبلي). واجه مشاكل كثيرة في بداية حكمه واضطر إلى ان يقنع الشعب باللين تارة

وبالقوة تارة. وقضى أمنمحات الأول على غارات الليبيين والأسيويين. و لعل أشهر ما تميز به عهده تلك المشكلة التى كان بطلها القائد سنوهى التي أصبحت أسطورة فيما بعد. حكم آخر عشر سنوات من حكمه بالاشتراك مع ابنه سنوسرت الأول.

واشتهر عصر هذا الملك بالقوة حيث وطد أمنمحات الأول نفوذ حكمه على حكام الأقاليم بعزله الحاكم الذي لا يطيع أمره. وازدهرت البلاد في عهدة هو وأبنه سنوسرت الأول وحفيده أمنمحات الثاني وابن حفيده سنوسرت الثاني وكانوا من الملوك العظماء الذين ازدهرت فيعهدهم البلاد المصرية وعمها الرخاء، فقد اهتم الملك سنوسرت

الثاني بالزراعة وأقام السدود في منطقة الفيوم لحجز مياه الفيضان واستغلالها خلال أشهر الجفاف، كما عمل ملوك تلك الأسرة على تأمين مصر من هجمات الليبيين والأسيويين. بل و اشتهرت دولتهم بالغزوات التى شنوها دفاعا عن مصر ليمتد نفوذهم إلي حدود وادي حلفا.

وكانت بلاد الجوار قد هددت مصر في ذلك الوقت مما دعى الملك إلى توجيه حملة على النوبة جنوب البلاد ولكنه لم يحتفظ بمكاسبه على الأرض. كما توجد أدلة على إرساله الحملات على الليبيين غرب البلاد وإقامة ما أسموه " حائط الحاكم الواقي " وكانت على هيئة عدة حصون منفردة.

وخلال العام ٢٠ من حكمه واخماده لتمرد كان قد أحيك ضده بالقصر ، أشرك أمنمحات الأول إبنه سنوسرت الأول في الحكم وحذره مما أسماه "أصدقاء السوء". وقد ورد في مخطوط تورينو أن فترة حكمه لم تكن محددة ، مما دعي الباحثين لافتراض ان سلطته استمرت منفردة مدة ١٩ سنه فقط ليعلن بعدها و على مدار الأحد عشر عاما المتبقية له في الحكم انه يشرك ابنه في حكم البلاد.

وبينما كان ابنه منغمسا في حملة ضد الليبيين توفي الملك امنمحات الأول خلال عامه الثلاثين في الحكم. وتشكل وفاة الملك امنمحعت الأول مطلع قصة سنوحي الشهيرة والتي ذُكر فيها تاريخ وفاة هذا الملك بالضبط.

"في العام ٣٠ من حكمه ارتفع سي–حتب رع في اليوم السابع من الشهر الثالث لفصل الخريف من أجل الاتحاد مع خالقة إلى السماء. "

وكان امنمحات قد تحلى بعدد من الأسماء (في العادة ٥ أسماء) تضم اسم الولادة (الشخصي)، واسمه كملك على الوجهين البحري والقبلي، والاسم المنتسب للإله حورس (الصقر) الحاكم على الأرض، واسم التتويج الذي يعبر عن علاقة الملك بالآلهه.

(٣)

سنوسرت الثالث

(١٨٧٨ ق.م.-١٨٣٩ ق.م.)

كان من خامس فراعنة الأسرة الثانية عشر. حكم من ١٨٧٨ ق.م. حتى ١٨٣٩ ق.م.، ويعتبر من أعظم فراعنة الدولة الوسطى. سماه الإغريق سيزوستريس الثالث ويعتبر مصدراً لأسطورة سيزوستريس. والاسم ينطق كذلك: سنووسرت الثالث. واصل سنوسرت الثالث توسيع المملكة المصرية الوسطى في النوبة (من ١٨٦٦ ق.م. حتى ١٨٦٣ ق.م.) حيث أقام قلاعاً نهرية ضخمة منها بوهن وتوشكى عند أورونارتي، ووصل حتى الشلال الثالث وهناك مسلة تذكر انجازاته الحربية في النوبة وفلسطين. كما بنى قلعة في مدينة بيبلوس الفينيقية وبنى قلعتى سمنة وقمنة ما وراء الشلال الثانى لحماية مصر الجنوبية والغربية. وفي سنة ١٨٩٤ ميلاديا، أفاد كشف أثري بوجود كتابات محفورة في الصخر الجرانيتي في جزيرة سهل (قرب أسوان)، تدون حفر قناة سيزوستريس، أنشأ سنوسرت الثالث معبداً ومدينة في أبيدوس، ومعبداً آخر في مدامود.

بنى أول هرم في دهشور

(ويسمى الهرم الأسود)، والذي شاب تشييده مشاكل انشائية دعت إلى ترك المشروع قبل اكتماله. وحوالي السنة الخامسة عشر من حكمه، قرر بناء هرم جديد في الهوارة. استُخدم هرم دهشور كمدفن للعديد من السيدات الملكيات.

وإلى سنوسرت الثالث يرجع الفضل الاول في حفر أول قناة مائية تربط ما بين البحر الأحمر والمتوسط عن طريق النيل سميت هذه القناة قناة سيزوستريس (التسمية الأغريقية لسنوسرت) وانشأ امتدادها واسماها قناة (كبريت)، و قد أدت هذه القناة إلى ازدياد حركة التجارة مع مصر وبلاد بونت من جانب وبين مصر وجزر البحر المتوسط (كريت وقبرص حاليا) من جانب آخر.

وحسب بردية رايند، الموجودة حاليا بمتحف برلين، و التى يعتقد أنها كُتبت في عهد أمنمحات الثالث، فقد حكم سنوسرت الثالث مدة ٣٩ سنة، آخر عشرين سنة منهم كان أمنمحات الثالث مشتركاً معه في الحكم.

(٤)

أمنمحات الثالث

(١٨٦٠ ق.م.-١٨١٤ ق.م.)

هو سادس فراعنة الأسرة الثانية عشر. حكم من ١٨٦٠ ق.م حتى ١٨١٤ ق.م، ويعتبر أعظم فراعنة الدولة الوسطى. وربما كان قد شارك في الحكم مع والده، سيزوستريس الثالث، لمدة ٢٠ سنة قبل ارتقائه الحكم.

بنى أمنمحات الثالث أول هرم في دهشور، (ويسمى الهرم الأسود)، والذي شاب بنائه مشاكل انشائية دعت إلى ترك المشروع قبل اكتماله. و في السنة الخامسة عشر من حكمه كملك، قرر بناء هرم جديد في الهوارة. و استُخدم هرم دهشور كمدفن للعديد من السيدات الملكيات.

و معبده الجنائزي في الهوارة (بالقرب من الفيوم)، الذي يرافقه هرم، عرفه كلٌ من هيرودوت وديودوروس سيكيولوس كقصر التيه أو لابيرنث **Labyrinth**. سترابو وصفه بأنه أعجوبة من عجائب الدنيا، وقال فيه هيرودوت: " إنه يفوق الوصف، يتكون من ١٢ بهوا، ومن٣ الآف غرفة، نصفها تحت الأرض ونصفها الآخر فوقها، والغرف العليا تفوق ما أخرجه الإنسان من آثار ،إذ أن سقوفها كلها شيدت من الأحجار ،ويحيط بكل بهو أعمدة مصنوعة من الأحجار البيضاء" .

وضم هرم الملك في هوارة بعض أعقد الاحتياطات الأمنية التي عُثر عليها في مصر، وربما الوحيدة التي تقترب من الحيل التي تقرنها هوليوود بمثل تلك المنشآت.

وبالرغم من ذلك فقد سرقت مقبرة أمنمحات الثالث في العهود القديمة. ابنته "نِفرو–پتاح" دُفنت في هرم منفصل (عُثر عليه في ١٩٥٦ م) على بعد ٢ كم جنوب غرب هرم الفرعون، كما بدأ عند قلعة سمنة القديمة بعمل مقياس على نهر النيل عند الشلال الثاني والذي كانت تقدر على أساسه الضرائب.

و قد اقام أمنمحات الثالث سد اللاهون عن طريق استغلال الأرض المرتفعة التي أمام منخفض الفيوم ليبنى عليها سد اللاهون الشهير.

ومن أشهر المدونات التى يعتقد أنها كُتبت في عهد أمنمحات الثالث بردية قادش. وقد استمتع بالحكم لفترة تتراوح بين ٤٥ و ٤٧ سنة كاملة بالرغم من أن أقرب تاريخ له يأتي من بردية من سنة الحكم السادسة و الأربعين. وفي العام ٢٢ من عهده أشرك أمنمحات معه في الحكم خليفته أمنمحات الرابع حسب نحت صخري (محطم حالياً) في كونوسو في النوبة، والذي يساوي السنة الأولى من عهد أمنمحات الرابع مع السنة ٤٦ أو ٤٧ أو ٤٨ من عهد أمنمحات الثالث. ابنته سوبك نِفرو فيما بعد خَلَفت أمنمحات الرابع كآخر حاكم في الأسرة الثانية عشرة وقد فسر بعض المؤرخين الاسم الملكي لأمنمحات الثالث بأنه "ني ماعت رع" ومعناه: "عدل رع وماعت".و من أسماؤه الأخرى:

- أمنِّمس
- لامارس، أميريس (حسب مانيتو).
- مويريس
- آ باو (الاسم الحورسي)

وعقب موته خلفته ابنته " سبك نِفرو" و التى لم يطل حكمها أكثر من ثلاثه اعوام وأربعه أشهر وعشرين يوما كما جاء في بردية تورين بين اعوام ١٧٨٢ و ١٧٧٨ ق.م. يحتمل ان تلك الملكه شيدت هرمها علي مقربه من هرم امنمحات الثالث في هواره، فقد عثر علي بعض اثار بإسمها علي مقربه من ذلك الهرم في القرن الماضي.

(٥)

سقنن رع

١٥٦٠ ق.م - ١٥٥٨ ق. م

"سقنن رع تاعا الثاني " من أعظم ملوك مصر حيث أنه أول من بدأ القتال الفعلى لطرد الهكسوس من مصر، والتي أنهاها ابنه أحمس الأول.

وهو ابن الملك سانخت آن رع تاعا الأول ويسمى أيضا سقنن رع تاعا الأول والملكة تتي شري. تواريخ حكمه غير مؤكدة ولكن يعتقد أنه تولى الحكم في ١٥٦٠ ق.م أو ١٥٥٨ ق. م .

تزوج سقنن رع تاعا الثاني من الملكة إياح حتب وأنجب منها كامس أخر ملوك الأسرة السابعة عشر وأحمس الأول أول ملوك الأسرة الثامنة عشر

و يعتبر الملك سقنن رع تاعا الثاني هو أول ملك بدأ القتال مع الهكسوس وتوجد وثيقة هي ورقة سالييه جاءت في شكل قصة منسوبة إلى عصر سقنن رع تخبرنا كيف بدأ الخلاف بين ملك الهكسوس أبوفيس والملك سقنن رع، حيث أرسل أبوفيس من أواريس الواقعة في شمال الدلتا رسالة إلى سقنن رع يخبره فيها أن اصوات أفراس النهر التي في بحيرة طيبة تزعجه وتقض مضجعه بالرغم من ان بينه وبين طيبة ٨٠٠ كيلو متر، ويأمره بأن يجد أى وسيلة للقضاء عليها، فكانت هذه الرسالة بمثابة إعلان للحرب.

هناك عدة نظريات لكيفية وفاة سقنن رع أكثرها شيوعا أنه قتل في معركته مع الهكسوس، وبعض النظريات ترى أنه قتل بينما كان نائما، حيث أنه كان راقدا على جنبه

الأيمن حين تعرض للهجوم إما لأنه كان نائما أو لأنه كان قد اصيب بالفعل وسقط على جنبه الأيمن قبل أن تأتيه الضربة المميتة.

وقد تم تحنيط جثته بتعجل وباختصار ويعتقد أن السبب أنه تم تحنيطه في مكان المعركة للحفاظ عليه من التعفن حتى ينقل إلى طيبة حيث تمت هناك محاولة ثانية لتحنيطه، وتوجد مومياؤه الآن في المتحف المصري بالقاهرة.

تم العثور على مقبرته في خبيئة دراع أبو النجا عام ١٨٨١ م، وقد كشفت المومياء لاحقا في ٩ يونيه عام ١٨٨٦ بواسطة جاستون ماسبيرو .

مات الملك سقنن رع وهو يحارب الهكسوس، كما توجد آثار ميتتة البشعة على جمجمته المليئة بالجروح والكسور نتيجة الضرب بالحراب والبلاطي، ووجدت أسنانه في وضع ضاغط بشدة على اللسان نتيجة الألم الشديد في اللحظات الأخيرة من عمر الملك.

وتملأ رأس الملك الكثير من الجروح الشديدة فيوجد طعنة خنجر خلف الأذن اليسرى للملك وصلت إلى عنقه، وتحطم صدره وأنفه بضربات بالمقامع. ويوجد أيضاً قطع نتج عن بلطة حرب مخترقاً العظم أعلى جبهته.

كان الملك سقنن رع معتدل القامة حيث كان طوله يبلغ ١٧٠ سم، عظيم الرأس وكان مفتول العضلات، وشعره أسود كثيفا مجعدا، ولم يكن تجاوز الثلاثين من عمره عند وفاته إلا بسنوات قليلة.

(٦)

الملك كامس

١٥٤٥ ق.م – ١٥٤٠ ق.م

هو أخر ملوك الأسرة السابعة عشر، وهو ابن الملك سقنن رع تاعا الثاني وأمه الملكة إياح حتب وأخ الملك أحمس الأول.

تولى الحكم بعد موت أبيه سقنن رع تاعا الثاني حوالي العام ١٥٤٥ق.م دعته أمه الملكة إياح حتب ليستكمل حرب أبيه مع الهكسوس.

قام كامس في العام الثالث لحكمه بالإبحار شمالا من طيبة في النيل وكان يقاتل تجمعات الهكسوس الصغيرة ويهدم تحصيناتهم في طريقه إلى الشمال، أما مدن الهكسوس الكبرى التي كانت تقابله بمواجهة قوية كان يقوم بحصارها وقطعها عن باقى مملكة الهكسوس حتى وصل إلى عاصمتهم أواريس. وقد عثر في العام ١٩٥٤م على لوحتبن أقيمتا في الكرنك لتمجيد انتصارات الملك

كامس على أبوفيس ملك الهكسوس وتتحدث إحدى هاتين اللوحتين عن انتصار كامس في أواريس عاصمة الهكسوس في الدلتا وتفاصيل الاستراتيجية التي أتبعها وعودته منتصرا إلى طيبة.

وتوفى كامس في أثناء حربه مع الهكسوس عام ١٥٤٠ ق.م على مشارف مدينة (امبوس) بعد أن كان دخلها منتصرا مظفرا جاءته ضربة الغدر من أحد جرحى الهكسوس فوافته المنية وكان آخر ما نطق به أن وصى أخاه أحمس أن يبلغ الجدة العظيمة توتيشيري أنه لحق أباه ومات ميتة سقنن رع.

ذكرت مقبرة كامس في بردية أبوت حيث يذكر انه تم نقل تابوت كامس من مقبرته ودفن في منطقة أخري (ذراع أبو النجا حالياً)، خوفا عليه من اللصوص في عصر رمسيس الرابع حيث اكتشفه مريت في ديسمبر عام ١٨٥٧ م تحت كومة من التراب. ذكر مريت أن المومياء كانت في حالة سيئة جدا، وقد وجد مع المومياء خنجر من الذهب والفضة، ومرآه من البرونز، وبردية مجدولة على أعلى ذراع كامس، كما وجد أيضا جعران وبعض التعاويذ، وقد ظل الكفن في مصر بينما يوجد الخنجر في متحف بروكسل ببلجيكا، والمرآه في متحف اللوفر.

الفصل الرابع

ملوك الدولة الحديثة

(١)

أحمس الاول

من ١٥٥٠ ق.م. حتى ١٥٢٥ ق.م.

أحمس الأول هو محرر مصر وطارد الهكسوس والأسيويين، ومؤسس الأسرة الثامنة عشر – أعظم الأسر الحاكمة في مصر. حكم من ١٥٥٠ ق.م. حتى ١٥٢٥ ق.م.

و أحمس هو ابن الملك سقنن رع تاعا الأول والملكة إياح حتب، وأخو الملك كامس، آخر ملوك الأسرة السابعة عشر. تولى أحمس في سن العاشرة و(يعنى اسمه وُلِد القمر أي : الهلال) مقاليد الحكم بعد وفاة والده ووفاة أخيه في الحرب ضد الهكسوس. واتخذ لدى توليه الحكم الاسم الملكي نب – پهتي – رع.

وقد واصل كفاح أبيه وأخيه في طرد الهكسوس من مصر ، بعد أن كان سقنن رع أول من بدأ بمهاجمة الهكسوس لمحاربتهم وإخراجهم من مصر ليقتل في إحدى معاركه معهم، ثم استكمل ولده كامس الحرب حتى طهر الصعيد من الهكسوس ليبدأ أحمس طردهم خارج البلاد. جرى أحمس بجيوشه عندما كان عمره ١٩ سنة واستخدم بعض الأسلحة الحديثة مثل العجلات الحربية وانضم إلى الجيش كثير من شعب طيبة بعد أن ذهب هو وجيوشه إلى أواريس (صان الحجرحاليا) عاصمة الهكسوس ليهزمهم هناك ويلاحقهم إلى فلسطين، وحاصرهم في حصن شاروهين وفتت شملهم هناك حتى استسلموا ولم يظهر الهكسوس بعدها في التاريخ. كانت هذه المعركة حوالي عام ١٥٨٠ ق.م.

اتسمت فترة حكمه بتطوير الجيش المصري فكان أول من أدخل عليه العجلات الحربية " والتي كان يستخدمها الهكسوس وهي سبب تغلبهم على المصريين "، فقد اعتمدوا على هذه المركبات التى تجرها الخيول في اعمال الكر و الفر في ميدان القتال ،

وطور كذلك من الأسلحة الحربية باستخدام النبال المزودة بقطعة حديد على الأسهم ثم بدأ بمحاربة الهكسوس بدءا من صعيد مصر والتف حوله الشعب فقام بتدريبهم بكفاءة حتى أصبحوا محاربين أقوياء ومهرة، وظل يحارب الهكسوس من الصعيد حتى وصل إلى عاصمة مصر آنذاك التي أقامها الهكسوس بجوار مدينة الزقازيق الحالية وظل يقاتلهم حتى فروا إلى شمال الدلتا وهو خلفهم فسيناء ثم إلى فلسطين ولم يرجع أحمس إلا بعد أن اطمئن على حدود مصر الشرقية أنها آمنه منهم ومن هجماتهم بعد القضاء عليهم

وبعد طرد الهكسوس وصل أحمس بجيشه إلى بلاد فينيقيا، كما هاجم بلاد النوبة لاستردادها مرة أخرى إلى المملكة المصرية التي وصلت حدودها جنوبا إلى الشلال الثاني. وصورت حملات أحمس في مقبرة اثنين من جنوده هما أحمس بن إبانا وأحمس بن نكيب .

وبعد انتهائه من حروبه لطرد الأعداء وتأمينه لحدود مصر، وجه اهتمامه إلى الشؤون الداخلية التي كانت متهدمة خلال فترة احتلال الهكسوس، فأصلح نظام الضرائب وأعاد فتح الطرق التجارية وأصلح القنوات المائية ونظام الرى. كما قام بإعادة بناء المعابد التي تحطمت وأتخذ من طيبة عاصمة له، وكان آمون هو المعبود الرسمى في عصره.

واستمر حكم أحمس مدة ربع قرن وتوفى وعمره تقريبا ٣٥ عاما بعد حياة اتسمت بالجلد .

وتزوج أحمس من نفرتاري التي أنجبت له ثلاثة أبناء أحدهم هو خليفته أمنحتب الأول وقد توفى الأول والثاني في سن صغير، وأربعة بنات هم مريت آمون وسات آمون وإياح حتب وست كامس.

ويعتقد أن لأحمس مقبرتان أحدهما في أبيدوس وتتكون من معبد منحدر ومقبرة جنائزية وبقايا هرم اكتشفت عام ١٨٩٩ م ، وعُرف أنه هرمه عام ١٩٠٢ م ، ومعبد للهرم . أما المقبرة الأخرى فكانت في طيبة وقد تعرضت للنهب بواسطة اللصوص.

اكتشفت مومياء أحمس عام ١٨٨١ م في خبيئة الدير البحرى مع مومياوات بعض من ملوك الأسر الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والواحد والعشرين، وتم التعرف على مومياءه في ٩ يونيه عام ١٨٨٦ بواسطة جاستون ماسبيرو، وكان طول المومياء١.٦٣ سم ولها وجه صغير نسبيا بالقياس مع حجم للصدر.

(٢)

الملكة حتشبسوت

١٥٠٣ ق.م. حتى ١٤٨٢ ق.م.

الاسم الأصلي لحتشبسوت هو : غنمت آمون حتشبسوت ويعنى : خليلة آمون المفضلة على السيدات أو خليلة آمون درة الأميرات .الملكة ماعت كا رع حتشپسوت أحدى أشهر الملكات في التاريخ، وخامس فراعنة الأسرة الثامنة عشرة، وحكمت من ١٥٠٣ ق.م. حتى ١٤٨٢ ق.م. تميز عهدها بقوة الجيش والبناء والرحلات التي قامت بها. وهي الابنة الكبرى لفرعون مصر الملك تحوتمس الأول وأمها الملكة أحمس وكان أبوها الملك قد أنجب ابنا غير شرعي هو تحتمس الثاني وقد قبلت الزواج منه على عادة الأسر الملكية ليشاركا معا في الحكم بعد موته، وذلك حلا لمشكلة وجود وريث شرعي له.

هذه الملكة تركت ألغازا كثيرة وأسرارا وربما يكون أكثر تلك الألغاز إثارة شخصية "سنموت" ذلك المهندس الذي بنى لها معبدها الشهير في الدير البحري والذي منحته ٨٠ لقبا وكان مسؤولا عن رعاية ابنتها الوحيدةأ وقد بلغ من حبه لمليكته أنه حفر نفقا بين مقبرتها ومقبرته. وإذا جاءت تلميحات المؤرخين لتشير إلى وجود حالة حب قد جمعت الاثنين سنموت وحتشبسوت فإنهما الملكة وخادمها، وقد شاركا في "حياة أسطورية" وانتهى كل منهما نهاية غامضة لا تزال لغزا حتى الآن.

وقد واجهت حتشبسوت مشاكل عديدة في بداية حكمها بسبب حكمها من وراء الستار بدون شكل رسمي. ويقول بعض الناس أنها قتلت زوجها وأخوها الملك تحتمس

الثاني للاستيلاء على الحكم، لكن لا يوجد دليل كاف على ذلك. ومن جهة أخرى واجهت حتشبسوت مشاكل مع الشعب حيث كان يرى أغلب الناس أنها امرأة ولا تستطيع حكم البلاد، إذ كان الملك طبقا للعرف ممثلا للإله حورس الحاكم على الأرض. لذلك كانت دائما تلبس وتتزين بملابس الرجال، وأشاعت أنها ابنة آمون لإقناع الشعب بأنها تستطيع الحكم. في الوقت نفسه كان ولي العهد الشرعي تحتمس الثالث لا زال صبيا وليس بمقدوره رعاية مصالح البلاد. فعملت حتشبسوت على حكم البلاد إلى أن يكبر، وراعت أن يتربى تحتمس الثالث تربية عسكرية بحيث يستطيع اتخاذ مقاليد الحكم فيما بعد. نشّطت حتشبسوت حركة التجارة مع جيران مصر حيث كانت التجارة في حالة سيئة خصوصا في عهد الملك تحتمس الثاني، وأمرت ببناء عدة منشآت بمعبد الكرنك، كما أنشأت معبدها في الدير البحري بالأقصر، واتسم عهدها بالسلام والرفاهية.

و اهتمت حتشبسوت بالأسطول التجاري المصري فأنشأت السفن الكبيرة واستغلتها في النقل الداخلي لنقل المسلات التي أمرت بإضافتها إلى معبد الكرنك تمجيدا للإله آمون، كما أرسلتها في بعثات للتبادل التجاري مع جيرانها، وزاد الإقبال على مواد ترفيهية أتت بها الأساطيل التجارية من البلاد المجاورة ، ومن أهمها البخور و العطور و التوابل و النباتات و الأشجار الاستوائية و الحيوانات المفترسة و الجلود .

بعثة المحيط الأطلسي: أرسلت الملكة حتشبسوت أسطولاً كبيرًا إلى المحيط الأطلسي وازدهرت التجارة مع أقطار المحيط الأطلسي لاستيراد بعض أنواع السمك النادر.

أرسلت الملكة حتشبسوت بعثة تجارية على متن سفن كبيرة تقوم بالملاحة في البحر الأحمر محملة بالهدايا والبضائع المصرية مثل البردى والكتان إلى بلاد بونت (الصومال حاليا)، فاستقبل ملك بونت البعثة استقبالا جيدا، ثم عادت محملة بكميات كبيرة من الحيوانات المفترسة والأخشاب والبخور والأبنوس والعاج والجلود والأحجار الكريمة. وصورت الملكة حتشبسوت أخبار تلك البعثة على جدران معبد الدير البحري على الضفة الغربية من النيل عند الأقصر. ولا تزال الألوان التي تزين رسومات هذا المعبد زاهية ومحتفظة برونقها وجمالها إلى حد كبير.

أيضا صورت على جدران معبد الدير البحري وصف بعثة حتشبسوت إلى محاجر الجرانيت عند أسوان لجلب الأحجار الضخمة للمنشآت. وقامت بإنشاء مسلتين عظيمتين من الجرانيت بأسوان تمجيدا للإله أمون يبلغ وزن كل منهما نحو ٣٥ طنا، ثم تم نقلهما على النيل حتى طيبة وأخذت المسلتان مكانتهما في معبد الكرنك بالأقصر. ويذكر أنه عند زيارة نابوليون بونابرت أثناء الحملة الفرنسية على مصر عام ١٨٧٩ أمر بنقل إحدى المسلتين إلى فرنسا، وهي تزين حتي الآن ميدان الكونكورد في العاصمة الفرنسية باريس.

ويعجب المؤرخون والمهندسون حتي يومنا هذا بقدرة المصريين على نقل تلك المسلتين من أسوان إلى الأقصر. فعملية تحميل المسلتين على السفن ثم نقلهما على النيل وإنزالهما على البر، ثم نقلهما على الأرض إلى مكان تشييدهما ليست بالسهلة على الإطلاق. وما يفوق ذلك أيضا هو تشييد المسلتين في المكان المختار لهما بالضبط أمام الصرح الذي شيدته الملكة حتسبسوت بمعبد الكرنك على بعد أمتار قليلة من الصرح. ولا يزال المهندسون حتى الآن يضعون النظريات للطريقة التي اتبعها المهندس المصري القديم للقيام بهذا العمل الجبار. ليس هذا فقط، فقد أصدرت حتشبسوت أوامرها بإنشاء مسلة تعتبر أكبر مسلة في تاريخ البشرية مكونة من قطعة واحدة من الحجر تزن فوق ١٠٠٠ طن لوضعها بمعبد الكرنك، إلا أن المهندسون المصريون القدماء تركوها بعدما اكتشفوا فيها شرخا يحول دون استخدامها. ويزور حاليا سياح من جميع أنحاء العالم لمشاهدة تلك المسلة العجيبة الغير كاملة التجهيز في محجر أسوان. ويسألون أنفسهم : كيف أراد المصريون القدماء نقل هذه المسلة العملاقة إلى معبد الكرنك؟ ويصف أحد علماء المصريات الألمان طرق تقطيع الحجر أن المصريين القدماء كانوا يتعاملون مع الحجر كما لو كان زبدا، وفعلا يمكن مشاهدة ذلك في محجر أسوان.

وفي الثقافة الشعبية تعد حتشبسوت من أشهر الملكات اللواتي تولينَّ حكم مصر وتعد من الجميلات. وحتشبسوت هي أول من ارتدت القفازات وذلك لوجود عيب خلقي بأصابعها(٦ أصابع أو أكثر في اليد الواحدة) لم يعرف الناس ذلك إلا بعد رؤية مومياءها ففي أغلب التماثيل التي صنعت لها كانت يداها تبدوان طبيعيتين لأنها كانت تأمر النحاتين بذلك، أيضا هي أول من طرزت القفازات بالأحجار الكريمة.

ولم تشهد فترة حكم حتشبسوت أية حملات عسكرية إلا واحدة قام بها تحتمس الثالث وهي للاستيلاء على غزة وكان ذلك بالقرب من نهاية حكمها. هناك مخطوط وجد في مقبرة سنموت يفصح عن حملات تأديبية في النوبة وبعض البلاد الأخرى التي كانت تحت السلطة المصرية وهي :

١. حملة تأديبية على النوبة في بداية حكمها، وقامت بها حتشبسوت. ورد ذلك في مخطوط لرئيس الخزانة تيي .

٢. حملة تأديبية على سورية وفلسطين، طبقا لمخطوط في الدير البحري، مضافا إليها حملة ضد تمرد في النوبة.

٣. حملة تأديبية في السنة ١٢ من حكمها (ورد ذلك في كتابة في تانجور–غرب)، وتذكر فيه أول تاريخ لإشتراك تحتمس الثالث في الحكم مع حتشبسوت.)

٤. حملة ضد تمرد في النوبة في العام ٢٠ من حكمها (مكتوبة على لوحة تومبوس Tombos.)

٥. حملة تأديبية على ماو بالقرب من منطقة " فرقة " بين السنتين ٢٠ و ٢٢ من حكمها.

وبعد فترة مزدهرة على عرش البلاد ، توفيت حتشبسوت في ١٠ من الشهر الثاني لفصل الخريف في سنة (١٤٨٢ قبل الميلاد). جاء ذلك في كتابة على لوحة وجدت بأرمنت. وقدر المؤرخ المصري القديم مانيتو فترة حكمها ب ٢١ سنة وتسعة اشهر. وقد اعتُقد في الماضي أنها قتلت بسبب التنازع على الحكم، ولكن تم التحقق الآن من مومياء حتشبسوت وهي تبدي بوضوح علامات موت طبيعي، أو أن سبب موتها يرجع إلى اصابتها بالسرطان أو السكر. وقبرها موجود في وادي الملوك. وربما قامت حتشبسوت بتوسيع مقبرة أبيها لكي تستعملها، ووجد تابوتها بحانب تابوت أبيها.

(٣)

تحتمس الثالث

١٤٢٥ ق.م - ١٣٧٣ ق.م

"من خبر رع، تحتمس الثالث (١٤٢٥ ق.م.– ١٣٧٣ ق.م) الفرعون الأسطورة.. سادس فراعنة الأسرة الثامنة عشر، ويعتبر أعظم حكام مصر وأحد أقوى الأباطرة في التاريخ.

توفي تحتمس الثاني تاركا العرش لابنه تحتمس الثالث، الذي لم يكن عمره قد تجاوز السادسة. وقامت حتشبسوت، وهي عمته وزوجة أبيه في آن واحد، بتنصيب نفسها وصية على عرش الملك الصغير تحتمس الثالث. وبعد عامين، نصبت نفسها ملكة للعرش، وحكمت لمدة عشرين عاما. بعد ذلك اختفت، واعتلى تحتمس الثالث عرش والده.

و اشتهرتحتمس ببراعه عسكرية إذ كان يتمتع بسمات شخصية خارقة وعبقرية عسكرية ليس لها مثيل إذ تدرب في ساحات المعارك في الأقصر، وقد اكسبته هذه التدريبات صلابة في شخصيته وخبرات عسكرية عظيمة. وتظهر لنا تماثيل تحتمس الثالث هذا الشاب المفتول العضلات وقد امتلك ميزات جعلته ملكا محاربا أسطوريا قام بست عشرة حملة عسكرية على آسيا (منطقة سورية وفلسطين) استطاع بها أن يثبت نفوذه هناك كما ثبت نفوذ مصر حتى بلاد النوبة جنوبا، كان أمير مدينة قادش في سوريا يتزعم حلفا من أمراء البلاد الأسيوية في الشام ضد مصر وصل عددهم إلى ثلاثة وعشرين جيشا، وكان من المتوقع أن يدعم

تحتمس الثالث دفاعاته وقواته على الحدود المصرية قرب سيناء، إلا أن تحتمس قرر الذهاب بجيوشه الضخمة لمواجهة هذه الجيوش في اراضيهم ضمن خطة توسيع الإمبراطورية المصرية إلى أقصى حدود ممكنة وهزيمة هذه الجيوش مجتمعة.

درب تحتمس الجنود على أفضل الأساليب القتالية وقسم جيشه إلى قلب وجناحين واستخدم تكتيكات عسكرية ومناورات لم تكن معروفة من قبل وبنى القلاع والحصون. ثم قام على رأس جيشه من القنطرة و قطع مسافة ١٥٠ ميلا في عشرة أيام وصل بعدها إلى غزة ثم قطع ثمانين ميلا أخرى في أحد عشر يوما بين غزة وأحد المدن عند سفح جبل الكرمل. هناك عقد تحتمس الثالث مجلس حرب مع ضباطه بعد أن علم أن أمير قادش قد جاء إلى مدينة مجدو وجمع حوله ٢٣٠ أميرا بجيوشهم وعسكروا في مجدو المحصنة ليوقفوا تقدم تحتمس الثالث وجيشه. كانت هناك ثلاثة طرق للوصول إلي مجدو اثنان منهما يدوران حول سفح جبل الكرمل و الثالث ممر ضيق ولكنه يوصل مباشرة إلى مجدو وقد أستقر رأى تحتمس على أن يمر الجيش من الممر الثالث في مغامرة قلبت موازيين المعركة فيما بعد، وتعتبر من أخطر مغامرات الجيوش في العالم القديم. كانت قوات العدو قد تمركزت عند أحد الطرق السهلة معتقدة أن الجيش المصري لن يغامر بالدخول في الممر الضيق. في فجر اليوم التالي أمر الملك تحتمس قواته بالهجوم على شكل نصف دائرة على مجدو فتفرق الأسيويين المدافعون عن المدينة وفروا هاربين وتركوا وراءهم عرباتهم الكبيرة ومعسكرهم الملئ بالغنائم ليدخلوا المدينة المحصنة. وبسبب انشغال أفراد الجيش المصري بالغنائم أغلقت أبواب المدينة، مما كلف الجيش المصري حصار مجدو سبعة شهور أخرى حتى أستسلم الأمراء وأرسلوا أبناءهم حاملين الأسلحة لتسليمها إلى الملك تحتمس الثالث. فيقول أحد المؤرخين القدامى في مصر القديمة يؤكد في نصوصه عن قوة مصر في عصر تحتمس الثالث فيقول (لا توجد قوة في الأرض تستطيع أن تواجه الجيش المصري الذي نال تدريبا عسكريا فائقا وفاز بقيادة ملك عبقرى هو فرعون مصر العظيم تحتمس الثالث).أيضا اهتم تحتمس بإنشاء أسطول بحرى قوى استطاع أن يبسط سيطرته على الكثير من جزر البحر المتوسط مثل قبرص، وأيضا بسط نفوذه على ساحل فينيقيا (سواحل لبنان وفلسطين حاليا)، وبذلك هو أول من أقام أقدم إمبراطورية

عرفها التاريخ امتدت من من أعالى الفرات شمالا حتى الشلال الرابع على نهر النيل جنوبا.وبذلك أصبحت مصر أقوى وأغنى امبراطورية في العالم عاش فيها المصريون قمة مجدهم وقوتهم.

يلقب تحتمس الثالث بأنه (أبو الامبراطوريات) وكذلك يُلقب باسم (نابوليون الشرق) و(أول إمبراطور في التاريخ) إذ يُعد من العبقريات الفذة في تاريخ العسكرية على مر العصور. تُدرس خططه العسكرية في العديد من الكليات والمعاهد العسكرية في جميع أنحاء العالم، وهو أول من قام بتقسيم الجيش إلى قلب وجناحين، وقد أستعانت الإمبراطورية البريطانية بالعديد من خططه في معاركها، خاصة ما قام به اللورد اللنبي في معاركه ضد الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وكان لهذه السياسة الحكيمة أثرها في تماسك الأمبراطورية المصرية لمدة قرن من الزمان ونشر الثقافة المصرية هناك.

و لعل أعظم ما يشهد على براعته السياسية

ما قام به من استدعاءه أبناء أمراء الأقاليم الآسيوية إلى طيبة عاصمة مصر في ذلك الوقت، ليتعلموا في مدارسها العادات والتقاليد المصرية ويثقفهم بالثقافة المصرية، ويغرس في نفوسهم حب الوطن ، حتى إذا عادوا إلى بلادهم وتولوا الحكم فيها أصبحوا من اتباعه المخلصين، وبالتأكيد لا يمكنهم أن يفكروا في القيام بحرب على مصر. ويشكك بعض المؤرخين في أن هذا هو فرعون خروج اليهود من مصر وذلك استنادا إلى إستنتاجات مفسري التوراة التي تقول إن الملك سليمان قد بنى بيت الرب في العام ٤٨٠ من خروج بنى إسرائيل من مصر والعام الرابع لحكمه وبتحديد العام الرابع لحكم سليمان واضافة ٤٨٠ سنة، سيقودنا هذا إلى نهاية تاريخ حكم تحتمس الثالث، ولكن هذا الافتراض مشكوك في صحته.

كما اشتهر عهد تحتمس بروعة أعماله المعمارية فقد بنى في طيبة العديد من المعابد منها معبدين أحدهما بجانب معبد حتشبسوت في الدير البحري، كما قام ببناء البوابتين العملاقتين السادسة والسابعة، وقاعة الاحتفالات في معبد الكرنك، وأكمل بناء معبد حابو الذي بدأته حتشبسوت، وأقام في منف معبد للآله بتاح، ويحتوى على ثلاث

حجرات الأولى لبتاح والثانية تخص حتحور ربة طيبة والثالثة للإلهه سخمت زوجة بتاح حيث يمثلها تمثال لها برأس لبؤة يعتليه قرص الشمس. وله معبد في أمدا وسمنة، وأقام معبداً في الفنتين للإلهه ساتت، وله آثار في كوم امبو وادفو وعين شمس وأرمنت.

كما أقام تحتمس الثالث ما لا يقل عن سبع مسلات معظمها موجود الآن في عدد من عواصم العالم، منها المسلة الموجودة في لندن وهي إحدى مسلتين أقامهما تحتمس الثالث أمام معبد الشمس بهليوبوليس وقد نقلهما مهندس إغريقي يدعى بنتيوس إلى الأسكندرية ليوضعا أمام معبد إيزيس. وقد سقطت هذه المسلة من فوق قاعدتها في خلال القرن الرابع عشر الميلادي، ويقال أن محمد على باشا أهداها إلى بريطانيا عام ١٨٣١ م ولكنها لم تصل إلى لندن إلا في عام ١٨٧٨م، حيث ظلت ملقاة على الأرض طوال ذلك الوقت لعدم التمكن من نقلها حتى تكفل بتكاليف نقلها السير أرزمس ولسن فصنع لها سفينة خاصة لنقلها. وقد تعرضت السفينة في طريقها للعودة للغرق نتيجة عاصفة قامت في خليج بسكاى ولكن تم إنقاذ المسلة ووصلت سالمة.

ومن الجدير بالذكر أن هذه المسلة قد أصيبت بخدوش من شظايا القنابل أثناء الحرب العالمية الثانية على نهر التيمز وهي معروفة باسم إبرة كليوباترا والتي كان تحتمس قد أقامها أمام معبد عين شمس. مسلة أخرى موجودة حاليا في إسطنبول هي إحدى مسلتين أقامهما تحتمس أمام الصرح السابع (بوابة عظيمة) بمعبد الكرنك وقد نقلها الإمبراطور ثيودورس عام ٥١٠ م، وفى الواقع تمثل هذه المسلة الجزء الأعلى فقط من مسلة كانت في الأصل أطول بكثير من أية مسلة موجودة الآن .

وله مسلة أخرى موجودة في نيويورك أقامها تحتمس أمام معبد الشمس فهذه المسلة ومسلة لندن توأمان، وهي قائمة الآن في سنترال بارك بنيويورك. كما أمر تحتمس في أواخر أيامه بأن تقام مسلة أمام الصرح الثامن من معبد الكرنك ولكنها لم تُستكمل بسبب وفاته، وتركت في مكانها لمدة ٣٥ عاما إلى ان عثر عليها تحتمس الرابع وأقامها في المكان الذي كانت معدة له، وتوجد الآن في روما أمام كنيسة القديس يوحنا باللاتيران. قام قسطنطين الأكبر عاهل الدولة الرومانية بنقل هذه المسلة التي تزن ٤٥٥ طن إلى الإسكندرية عام ٣٣٠ بعد الميلاد لأرسالها إلى بيزنطة لتجميل عاصمته الجديدة، ولكنه

فشل في نقلها فبقيت وظلت في مكانها مدة ٢٧ عاما حتى قام ابنه قسطنطيوس بنقلها إلى روما وأقامها في ميدان ماكسيماس ، وفى عام ١٥٨٧ م كشف عنها ووجدت محطمة إلى ثلاث قطع فتم إصلاحها وترميمها على يد دومنيكو فونتانا بأمر من البابا سكتس الخامس ونصبت في مكانها الحالى بميدان اللاتيران، كما أمر أيضا بأن يرفع الصليب على قمتها إعتقادا منه أن ذلك رمز لانتصار المسيحية على الوثنية.

أقام تحتمس الثالث أقدم إمبراطورية في التاريخ وهي أقصى حدود لمصر في تاريخها حيث وصلت حدود مصر إلى نهر الفرات و سوريا شرقا وإلى ليبيا غربا وإلى سواحل فينيقيا وقبرص شمالا و إلى منابع النيل جنوبا حتى الجندل الرابع أو الشلال الرابع. وكانت الإدارة في عهده قوية يقوم بها رجال من ذوى الكفاءات العالية، حيث أعطى تحتمس كل إقليم حكما ذاتيا تابعا للعرش نظرا لاتساع الإمبراطورية واختلاف الأجناس وتباين الأعراف والقوانين من منطقة لأخرى.

مات تحتمس وعمره ٨٢ سنة بعد أن حكم أربعة وخمسين عاما كما جاء في نص امنمحات "... من العام الأول حتى العام الرابع والخمسين فى الشهر الثالث من فصل الشتاء اليوم الأخير من عهد فخامة الملك " من خبر رع " ملك دولة مصر الشمالية ومصر الجنوبية "...ولم يعرف تاريخ مصر ملكا بكى عليه المصريون وحزنوا عليه حزنا شديدا مثل ما حدث مع تحتمس الثالث. وبعد وفاته أقيمت مراسم الحداد والدفن الملكية تبعه فيها كل المصريين وهي أضخم جنازة في التاريخ القديم، ودفن في مقبرة بوادي الملوك كان قد أعدها لنفسه وهي المقبرة رقم ٣٤، حيث يعد من أوائل الملوك الذين بنوا مقابر لأنفسهم في وادى الملوك. وقد اكتشفت مقبرته في عام ١٨٩٨ على يد العالم فيكتور لوريت ووجد المقبرة قد تعرضت للنهب ولم تكن بها المومياء التي عثر عليها في الدير البحري عام ١٨٨١. و من أشهر مقولاته لوزيره الشهير رخمى رع "لا يرضى الرب بالتحيز(الفساد)، كن يقظا فمنصب الوزير عماد الأرض كلها فليس للوزير أن يستعبد الناس، استمع للشاكى من الجنوب والدلتا أو أى بقعة.. تصرف بالعدل فالمحاباة يمقتها الرب.. كن عادلا مع من تعرفه ومن لا تعرفه...».

(٤)

أمنحتب الثالث

١٣٩١ ق.م- ١٣٥٣ ق.م

أمنحتِپ الثالث (أحياناً يكتب أمنوفيس الثالث) هو تاسع فراعنة الأسرة الثامنة عشر، ومن أعظم حكام مصر على مر التاريخ. حكم مصر في الفترة من ١٣٩١ ق.م – ١٣٥٣ ق.م أو ١٣٨٨ ق.م الى ١٣٥١ ق.م

و كان أمنحتب الثالث في أوائل سنوات حكمه مهتما بالرياضة وخاصة الصيد والقنص فقد كان صيادا عظيما حيث عثر له على جعرانا يسجل فيه أنه اقتنص مائة ثور برى في رحلة صيد ملكية استغرقت يومين وجعران آخر أصدره في السنة العاشرة ذكر فيه أنه منذ ارتقائه العرش قتل ١٠٢ من الأسود في رحلات الصيد أبدى اهتماماً قليلاً بالعمليات الحربية حيث واجه أمنحتب بعض القلائل في السنة الخامسة من حكمه في بلاد كوش (النوبة) ولكن القتال كان يدور مع فئة قليلة من الأعداء. وبعد أن انتصر عليهم وسع رقعة ملكه حتى وصل إلى الشلال الرابع، وقد دون تذكاراً لهذه الحملة على صخور جزيرة كونوسو بالنوبة، كما وصفت حملته على بلاد النوبة على لوحة سمنة وهى الآن في المتحف البريطانى.

وقد قامت ثورة أخرى في بلدة أبهت الواقعة بعد الشلال الثاني وكانت النوبة لها إدارة ذاتية بإشراف الأبن الملكى لكوش فأرسل أمنحتب نائبه في أقطار الجنوب وابن الملك لقمع الثورة ولم يشترك فيها أمنحتب الثالث، واتسم معظم حكمه بالاستقرار.

بنى أمنحتب معبداً في طيبة ولكنه دمر بالكامل بعد ذلك، كما بنى أيضا عدة معابد في طيبة، وفى الكرنك بنى معبداً للإله منتو إله الحرب الذي كان رب إقليم طيبة ثم حل محله الإله آمون، ومعبداً آخر للإلهة موت زوجة الإله آمون رع.

ساهم أمنحتب الثالث في معبد آمون وهو المعبد الرئيسى في الكرنك ببنائه الصرح الثالث للمعبد، وكان امنحتب مخلصا للإله رع وبنى له معبد الكرنك ليتجاوز الكهان عن أن امه كانت امرأة أجنبية. أعظم بناء أقامه أمنحتب في طيبة معبده الجنائزى، ووجدت له آثار في الدلتا وطرة وفى بنها ومنف والجيزة والكاب وأرمنت وأيضا في سيناء.

ولأمنحتب الثالث تمثالان جالسان يعرفان باسم تمثالى ممنون في طيبة الغربية، منحوت كل منهما من قطعة واحدة من الحجر الرملي الأحمر، ويبلغ ارتفاعه ١٥ مترا بدون القاعدة أقامهما المهندس أمنحتب بن حابو، وكانا يزينا واجهة معبده الجنائزي، الذي دُمر بالكامل وهما الآن قائمين بجانب الطريق المؤدى إلى المعابد الملكية ومقابر الملوك الموجودة بالجبانة. وسبب شهرة هذين التمثالين أنه عندما حدث زلزال في عام ٢٧ ق.م هز منطقة طيبة وأدى إلى انشطار التمثال الشمالى إلى نصفين عند وسطه وبعد ذلك كان الحجر يرسل ذبذبات صوتية عن طريق فعل داخلى ناتج عن التغيرات الفجائية للرطوبة ودرجة الحرارة عند الفجر فظهرت أسطورة تقول أن التمثال يصدر أصوات رثاء أم البطل الأثيوبى ممنون، أورورا ربة الفجر على ابنها الذي سقط في ميدان طروادة كل صباح ومنه أخذ اسم التمثالين. كما قام أمنحتب الثالث بإصدار العديد من الجعارين التذكارية نعرف منها خمس جعارين أبقاها الزمن، أقدمها يؤكد لقب الملكة تى باعتبارها الملكة الرئيسية .

وترتبط أصول عائلة أمنحتب الثالث إلى الملكة تِيْيِ التى تزوجها في السنه الثانية لحكمه ولم يكن لها أصول ملكية ولكن والداها كانا يشغلان مناصب راقية في الدولة. أنجبت له أمنحتب الرابع خليفته، وكان له العديد من الزوجات منها زيجات دبلوماسية من أميرات أجنبيات مثل الأميرة جلوخيبا بنت ملك متنى وأميرة نهرين، وتزوج من اخته إيزيس وفى العام الثلاثين من أخت أخرى له تدعى ست أمون. والمعروف أنه أنجب ستة من الأبناء منهم ولدان هما تحتمس وهو الابن الأكبر ومات في حياته وأمنحتب الرابع، وأربع بنات. ويحتمل أن يكون أمنحتب الرابع قد شارك والده في العرش.

توفى أمنحتب الثالث بعد أن حكم لمدة ٣٨ عام وهو في سن الخمسين ربما بسبب مرض غير معلوم، واكتشفت المقبرة التي اعدها لنفسه في عام ١٧٩٩ وهى المقبرة رقم ٢٢ بوادي الملوك. اكتشفها جولوه ودفلييه وقد وجدت فارغة والجدران مهدمة بفعل الضغط والعوامل الجوية، ولم تكن مومياؤه بداخلها حيث وجدت مومياؤه في مقبرة بالقرب من الدير البحري وتم أخفاؤها بواسطة الكهنة واكتشفت في عام ١٨٨١.

(٥)

إخناتون

١٣٥٣ ق.م - ١٣٣٦ ق.م

خناتون (**Akhenaten**، **Ikhnaton**) أو أمنحوتب الرابع هو عاشر فراعنة الأسرة الثامنة عشر حكم مع زوجته الرئيسية نفرتيتي لمدة ١٧ سنة منذ عام ١٣٦٩ ق.م. (توفي ١٣٣٦ قبل الميلاد وة حدد أيضا أنه استمر حتى ١٣٣٤ قبل الميلاد). كلمة إخناتون معناها (المخلص لآتون).

اشتهر اخناتون بأنه حاول توحيد آلهة مصر القديمة بما فيها الإله أمون رع في شكل الإله الواحد آتون، رغم أن هناك شكوكا في مدى نجاحه في هذا. ونقل العاصمة من طيبة إلي عاصمته الجديدة أخيتاتون (قرية تل العمارنة حالياً بالمنيا)، وفيها ظهر الفن الواقعي ولاسيما في النحت والرسم وظهر أدب جديد يتميز بالأناشيد للإله الجديد آتون .

إنشغل الملك إخناتون بإصلاحاته الدينية وانصرف عن السياسة الخارجية وإدارة الإمبراطورية الممتدة حتي أعالي الفرات والنوبة جنوبا، فانفصل الجزء الآسيوي منها، ولما مات خلفه سمنخ كا رع ثم أخوه توت عنخ أمون الذي ارتد عن عقيدة آتون وترك العاصمة إلى طيبة وأعلن عودة عقيدة أمون معلنا أنه توت عنخ آمون، وهدم كهنة طيبة آثار إخناتون ومدينته ومحوا اسمه من عليها.

هناك العديد من النظريات حول مصير أخناتون إلا أنه لا يوجد دليل قاطع على ما حل به بعد سنوات من انتقاله إلى عاصمته الجديدة.

وقد استمر البحث عن مقبرة الملك إخناتون منذ العثور على أولى مقابر وادي الملوك في القرن الـ١٩ والقرن العشرين دون الوصول إلى نتيجة حاسمة، حتى بدأت الدراسات التي أجراها المجلس الأعلى للآثار وجامعة القاهرة على المومياوات. حيث أعلن في فبراير ٢٠١٠ أن الفريق قد اكتشف عبر تحليل البصمة الوراثية وتحليل الجينات الوراثية أن «مومياء في المقبرة ٥٥ في وادي الملوك هي مومياء والد الملك الذهبي توت عنخ آمون، وكان يعتقد أن المومياء تعود لرجل توفي بين سن ٢٠ و٢٥ عاما، إلا أنه تبين من نتيجة الأبحاث أنه توفي بين سن ٤٥ و٥٠ عاما، وهو ابن لأمنحتب الثالث والملكة تي، مما يشير إلى أنه هو نفسه إخناتون.

و بالبحث عن أصول إخناتون و جد انه الأبن الأصغر للملك أمنحوتب الثالث من الملكة تي الزوجة العظمى المفضلة لدى أمنحوتب الثالث، ولم يكن مقدرا لأخناتون أن يكون ولى العهد حتى وفاة الأخ الأكبر له تحوتمس.

امتد عهد الملك أمنحوتب الثالث لنحو ٣٨ عاماً توفي بعدها تاركا العرش لابنه أمنحوتپ الرابع وربما بعد حكم مشترك دام بين ١ إلى ٢ أو ١٢ عاما، حيث يعتقد أنه شارك والده في الحكم وهو في سن السادسة عشرة ويعتقد أن فترة حكم اخناتون هي من ١٣٥٣ قبل الميلاد – ١٣٣٦ قبل الميلاد أو ١٣٥١ قبل الميلاد – ١٣٣٤ قبل الميلاد.

وهناك الكثير من الجدل حول ما إذا كان أمنحتب الرابع تولى العرش بعد وفاة والده، أمنحوتب الثالث، أو كان هناك حكم مشترك وبالمثل، ورغم أنه من المقبول أن اخناتون نفسه توفي في السنة ١٧ من حكمه، وهناك الكثير من الجدل حول ما إذا كان سمنخ كا رع شارك إخناتون في الحكم ربما ٢ أو ٣ سنوات سابقة، بعد اخناتون ،أصبح سمنخ كا رع الفرعون الوحيد فرعون، ومن المرجح انه حكم مصر لمدة تقل عن سنة.

وعلى صعيد الحياة الدينية حاول إخناتون عند توليه عرش البلاد توحيد آلهة مصر القديمة بما فيها الإله أمون رع في شكل عبادة إله الشمس وحده، ورمز له بقرصها الذي سماه آتون، وقال عن معبوده (أنه واحد لا شريك له). وفي العام الرابع لحكمه اختار اخناتون موقعا لعاصمته الجديدة، وشرع في بنائها في العام التالي، وأطلق عليها اسم

أخيتاتون أي أفق أتون، وموقعها الحالى هو تل العمارنة . وقد لعب الملك وزوجته الجميلة نفرتيتي، دور الوسيط، بين الرب آتون والشعب.

تعددت زوجات أخناتون وهن :

* نفرتيتي وهي الزوجة الملكية لأخناتون وقد تزوجها في بداية حكمه، وأنجب منها ست بنات وربما هناك اثنان من أولاده أبناء من زوجه أخرى كيا.

* كيا وهي زوجة ثانوية أتخذها أخناتون ويرجح انها والدة توت عنخ أمون (١٣٣٢ – ١٣٢٢ ق.م.).

وبنات أخناتون والملكة نفرتيتي هم:

* ميريت آتون ، ابنته الكبرى في أواخر حكمه، وإن كان من الأرجح أنها حصلت على هذا اللقب بسبب زواجها من سمنكارع.

* ميكيتاتون ابنه إخناتون الثانية .

* عنخ سن پا أتن الأبنة الثالثة والتي أصبحت زوجه لتوت عنخ آمون فيما بعد.

هناك شك في العلاقة بين أخناتون وبين أخيه (سمنكارع) والعلاقة بين أخناتون ووالدته الملكة تي.

اثنا عشر عاما بعد وفاة أمنحوتب الثالث لا تزال الملكة تي والدته تذكر في نقوش على أنها الملكة والمحبوبة من الملك بينما كان حب أخناتون لسمنخ كا رع وتعلقه به خارجا عن نطاق المألوف فأطلق عليه لقبا نسويا من القاب زوجته.وهو (الجمال الفائق لآتون) ولا يخجل من أن يطلق عليه (محبوبه) ولكن من المرجح أن سمنكارع كان الأخ غير الشقيق أو ابنا لإخناتون، بل إن البعض اقترح أن سمنكارع كان هو الاسم المستعار لنفرتيتي أو كيا، وبالتالي واحدة من زوجات اخناتون.

(٦)

توت عنخ آمون
١٣٣٤ ق.م إلى ١٣٢٥ ق.م

توت عنخ آمون كان أحد فراعنة الأسرة المصرية الثامنة عشر في تاريخ مصر القديم، وكان فرعون مصر من ١٣٣٤ إلى ١٣٢٥ ق.م. في عصر الدولة الحديثة. يعتبر توت عنخ آمون من أشهر الفراعنة لأسباب لا تتعلق بإنجازات حققها أو حروب انتصر فيها كما هو الحال مع الكثير من الفراعنة؛ وإنما لأسباب أخرى تعتبر مهمة من الناحية التاريخية ومن أبرزها هو اكتشاف مقبرته وكنوزه بالكامل دون أي تلف. واللغز الذي أحاط بظروف وفاته هو أن كثيرين اعتبروا وفاة فرعون في سن مبكرة جدًا أمرًا غير طبيعي وخاصة مع وجود آثار لكسور في عظمي الفخذ والجمجمة، بالإضافة إلى قيام وزيره بالزواج من أرملة توت بعد وفاته وتنصيب نفسه فرعونًا. كل هذه الأحداث الغامضة، والاستعمال الكثيف لأسطورة لعنة الفراعنة المرتبطة بمقبرة توت عنخ آمون التي استخدمت في الأفلام وألعاب الفيديو جعلت من توت عنخ آمون أشهر الفراعنة وأدي إلى وجود ألغاز وأسئلة لا جواب لها اعتبر البعض وفاته من أقدم الاغتيالات في تاريخ الإنسانية.

توت عنخ آمون كان عمره ٩ سنوات عندما أصبح فرعون مصر واسمه باللغة المصرية القديمة تعني "الصورة الحية للاله آمون"، كبير الآلهة المصرية القديمة. عاش توت عنخ آمون في فترة انتقالية في تاريخ مصر القديمة حيث أتى بعد أخناتون الذي حاول توحيد آلهة مصر القديمة في شكل الإله الواحد الأحد. وتم في عهده العودة إلى عبادة

آلهة مصر القديمة المتعددة. تم اكتشاف قبره عام ١٩٢٢ في وادي الملوك من قبل عالم الآثار البريطاني هوارد كارتر. وأحدث هذا الاكتشاف ضجة إعلامية واسعة النطاق في العالم.

ترجع أصول توت عنخ آمون إلى جده الملك أمنحتب الثالث الذي أنجب من كبرى زوجاته الملكة تيي ابنه أمنحوتب الرابع والذي يعرف باسم أخناتون. تزوج أخناتون من الملكة نفرتيتي وكانت هي زوجته الرئيسية بالإضافة إلى زوجة ثانوية تدعى كيا؛ والتي يرجح انها والدة توت عنخ أمون. أعلن المجلس الأعلى للآثار المصرية في شهر أبريل من العام ٢٠١٠م أنه بناء على اختبارات الحمض النووى المعروف أختصارا ب DNA تبين أن توت عنخ آمون هو ابن الملك أخناتون.

أصبح توت عنخ أمون ملك مصر وهو طفل بعد وفاة أخيه سمنخ كا رع، وقد تزوج من عنخ إسن أمون.توفى توت عنخ آمون في ظروف غامضة ومجهولة، ليحكم بعده وزيره السابق آى الذي تزوج من عنخ إسن أمون أرملة توت عنخ آمون.

و أثناء حكم توت عنخ آمون بدأت ثورة في تل العمارنة (الحالية) ضد حركة الفرعون السابق أخناتون الذي نقل العاصمة من طيبة إلى عاصمته الجديدة أخت أتون بالمنيا، وحاول توحيد آلهة مصر القديمة المتعددة بما فيها الإله آمون في شكل الإله الواحد آتون. في سنة ١٣٣١ ق.م أي في السنة الثالثة لحكم توت عنخ أمون الذي كان عمره ١١ سنة وبتأثير من الوزير آي رفع الحظر المفروض على عبادة الآلهة.

هناك اعتقاد سائد أن وفاة توت عنخ آمون لم يكن لأسباب مرضية وإنما قد يكون من جراء عملية اغتيال قام الوزير خيرخيرو رع آي بتدبيرها، وهناك العديد من الأدلة التي يوردها المؤمنون بهذه النظرية منها على سبيل المثال زواج الوزير خيرخيرو رع آي من أرملة توت عنخ آمون، حيث عثر على ختم فرعوني يحمل اسم آي وعنخ إسن أمون أرملة توت عنخ أمون، وأيضا رسالة بعثتها عنخ إسن أمون أرملة توت عنخ آمون إلى ملك الحيثيين تطلب منه إرسال أحد أبنائه لغرض الزواج بها بعد موت زوجها، وقام ملك الحيثيين بإرسال أحد أبنائه، ولكنه مات قبل أن يدخل أرض مصر.

وهناك اعتقاد أنه تم اغتياله على الأرجح بتدبير من الوزير خيرخيرو رع آي الذي فيما يبدو كان يخطط للاستيلاء على عرش مصر فقام بقتل الملك توت عنخ أمون وقتل ابن ملك الحيثيين ولكن هذه فرضيات ولايوجد دليل قاطع لإثبات كل هذه النظريات.

ومن الجدير بالذكر أن الأدلة التاريخية تشير إلى وجود وزيرين لتوت عنخ أمون أحدهما آي الذي تم ذكره والآخر كان اسمه حورمحب. وهناك أدلة أثرية تؤكد انه بعد وفاة توت عنخ أمون أستلم الوزير آي مقاليد الحكم لفترة قصيرة ليحل محله الوزير الثاني حورمحب الذي تم في عهده إتلاف معظم الأدلة على فترة حكم توت عنخ آمون والوزير آي.

ولفترة طويلة كان سبب وفاة توت عنخ أمون مسألة مثيرة للجدل وكانت هناك الكثير من نظريات المؤامرة التي رجحت فكرة أنه لم يمت ميته طبيعية وإنما تم قتله في عملية اغتيال. في ٨ مارس ٢٠٠٥ ونتيجة لاستخدام التصوير الحاسوبي الشريحي الثلاثي الأبعاد على مومياء توت عنخ آمون صرح عالم الأثار المصري زاهي حواس أنه لا توجد أية أدلة على أن توت عنخ أمون قد تعرض لعملية اغتيال، وأضاف أن الفتحة الموجودة في جمجمته لا تعود لسبب تلقيه ضربة على الرأس كما كان يعتقد في السابق وانما تم أحداث هذه الفتحة بعد الموت لغرض التحنيط. وعلل زاهي حواس الكسر في عظم الفخذ الأيسر الذي طالما تم ربطه بنظرية الاغتيال بأنه نتيجة كسر في عظم الفخذ تعرض له توت عنخ أمون قبل موته، وربما يكون الالتهاب الناتج من هذا الكسر قد تسبب في وفاته.

أظهرت التحاليل الحديثة أيضا أن عظم سقف التجويف الفمي لتوت عنخ آمون لم يكن مكتملا وكان طول قامته ١٧٠ سم وكان الطول العرضي لجمجمته أكبر من الطول الطبيعي مما حدا بالبعض إلى اقتراح مرض متلازمة مارفان كسبب للموت المبكر، وهذه الحالة وراثية تنقل عن طريق مورثات جسمية مهيمنة.

كان التقرير النهائي لفريق علماء الآثار المصريين أن سبب الوفاة هو تسمم الدم نتيجة الكسر في عظم الفخذ الذي تعرض له توت عنخ آمون والتي أدى إلى حدوث غنغرينا الذي هو عبارة موت الخلايا والأنسجة وتحللها نتيجة إفراز إنزيمات من العضلات الميتة بسبب عدم وصول الأكسجين إليها عن طريق الدم.

قبل هذا التقرير كانت هناك محاولات لمعرفة سبب الموت باستعمال أشعة أكس X-rays على مومياء توت عنخ أمون جرت في جامعة ليفربول وجامعة ميتشجان في العامين ١٩٦٨، ١٩٧٨ على التوالي، وتوصلت الجامعتان إلى اكتشاف بقعة داكنة تحت جمجمة توت عنخ آمون من الخلف وتم تفسيرها بأنها نزيف في الدماغ مما أدى إلى انتشار فرضية أنه قد تلقى ضربة في رأسه أدت إلى نزيف في الدماغ ثم الموت .

وفى دراسة نشرت في مارس من العام ٢٠١٠م أوضحت أن سبب موت توت عنخ آمون هو إصابته بمرض الملاريا ومضاعفات كسر في الساق، كما أشارت الدراسة إلى وجود بعض الأمراض الوراثية ناتجة عن خلل جينى متوارث في العائلة.

كان لاكتشاف مقبرة توت عنخ أمون احتفالا خاصا في عام ١٩٢٢ م

كان ما يسمى وادي الملوك الواقع على الضفة الغربية من نهر النيل بالقرب من طيبة ولمدة ٤٥٠ سنة أثناء عهد الدولة الحديثة من تاريخ قدماء المصريين، بمثابة مقبرة لفراعنة تلك الفترة حيث يوجد في هذا الوادي الصخري الذي تبلغ مساحته ما يقارب ٢٠,٠٠٠ متر مربع، ٢٧ قبرا ملكيا تعود لثلاثة أسر وهي الأسرة المصرية الثامنة عشرة والأسرة المصرية التاسعة عشرة والأسرة المصرية العشرون .

يعتقد أن وادي الملوك يضم على أقل تقدير ٣٠ قبراً أخرى لم يتم اكتشافها لحد الآن. القبور المكتشفة في وادي الملوك لحد الآن وحسب الترتيب الزمني لحكم الفراعنة تعود إلى تحوتمس الأول وأمنحوتب الثاني وتوت عنخ آمون وحورمحب وهم من الأسرة المصرية الثامنة عشرة، ورمسيس الأول وسيتي الأول ورمسيس الثاني وآمينمسيس وسيتي الثاني وسبتاح وهم من الأسرة المصرية التاسعة عشرة وست ناختي ورمسيس الثالث ورمسيس الرابع ورمسيس الخامس ورمسيس التاسع وهم من الأسرة المصرية العشرين. وهناك قبور أخرى لفراعنة مجهولين لا زالت المحاولات جارية لمعرفتهم.

كان بناء قبر الفرعون يبدأ عادة بعد أيام من تنصيبه فرعونا على مصر، وكان البناء يستغرق على الأغلب عشرات السنين وكان العمال يستعملون أدوات بسيطة مثل الفأس لحفر أخاديد طويلة وتشكيل غرف صغيرة في الوادي، وبمرور الزمن كانت هناك قبور تبنى

فوق قبور أخرى وكان شق الأنفاق والأخاديد الجديدة يؤدي في الغالب إلى انسداد الدهاليز المؤدية إلى قبر الفرعون الأقدم. انعدام التخطيط المنظم هذا كان السبب الرئيسي الذي أدى إلى بقاء هذه الكنوز وعدم تعرضها للسرقة لألاف السنين.

في ٤ نوفمبر ١٩٢٢ عندما كان عالم الآثار المتخصص في تاريخ مصر القديمة، البريطاني هوارد كارتر يقوم بحفريات عند مدخل النفق المؤدي إلى قبر رمسيس السادس في وادي الملوك، لاحظ وجود قبو كبير، واستمر بالتنقيب الدقيق إلى أن دخل إلى الغرفة التي تضم ضريح توت عنخ آمون. وكانت على جدران الغرفة التي تحوي الضريح رسوم رائعة تحكي على شكل صور قصة رحيل توت عنخ أمون إلى عالم الأموات، وكان المشهد في غاية الروعة للعالم هوارد كارتر الذي كان ينظر إلى الغرفة من خلال فتحة وبيده شمعة، ويقال أن مساعده سأله "هل بإمكانك أن ترى اي شيء ؟" فجاوبه كارتر "نعم إني أرى أشياء رائعة".

و في ١٦ فبراير ١٩٢٣ كان هوارد كارتر (١٨٧٤ – ١٩٣٩) أول إنسان منذ أكثر من ٣٠٠٠ سنة تطأ قدمه أرض الغرفة التي تحوي تابوت توت عنخ أمون. لاحظ كارتر وجود صندوق خشبي ذا نقوش مطعمة بالذهب في وسط الغرفة. وعندما قام برفع الصندوق لاحظ أن الصندوق كان يغطي صندوقا ثانيا مزخرفا بنقوش مطعمة بالذهب.

وعندما رفع الصندوق الثاني لاحظ أن الصندوق الثاني كان يغطي صندوقا ثالثا مطعما بالذهب وعند رفع الصندوق الثالث وصل كارتر إلى التابوت الحجري الذي كان مغطى بطبقة سميكة من الحجر المنحوت على شكل تمثال لتوت عنخ آمون. وعند رفعه لهذا الغطاء الحجري وصل كارتر إلى التابوت الذهبي الرئيسي الذي كان على هيئة تمثال لتوت عنخ آمون. وكان هذا التابوت الذهبي يغطي تابوتين ذهبيين آخرين على هيئة تماثيل للفرعون الشاب. لاقى هاورد صعوبة في رفع الكفن الذهبي الثالث الذي كان يغطى مومياء توت عنخ أمون عن المومياء، ففكر أن تعريض الكفن إلى حرارة شمس صيف مصر اللاهبة ستكون كفيلة بفصل الكفن الذهبي عن المومياء، ولكن محاولاته فشلت واضطر في النهاية إلى قطع الكفن الذهبي إلى نصفين ليصل إلى المومياء التي كانت ملفوفة بطبقات من الحرير.

وبعد ازالة الكفن المصنوع من القماش وجدت مومياء توت عنخ آمون وكان بكامل زينته من قلائد وخواتم والتاج والعصى وكانت كلها من الذهب الخالص. لإزالة هذه التحف اضطر فريق التنقيب إلى فصل الجمجمة والعظام الرئيسية من مفاصلها وبعد ازالة الحلي أعاد الفريق تركيب الهيكل العظمي للمومياء ووضعوه في تابوت خشبي.

قررت وزارة السياحة المصرية السماح بعرض مومياء الملك الفرعوني الشاب توت عنخ آمون أمام الجمهور لأول مرة منذ اكتشافها مع ضريحها الذهبي في مدينة الأقصر .

ونقلت وكالة أسوشيتد برس للأنباء عن مدير هيئة الآثار المصرية زاهي حواس قوله إن العلماء المصريين بدؤوا قبل أكثر من عامين ترميم مومياء الفرعون توت عنخ آمون التي تعرضت لأضرار بالغة بعد إخراجها لفترة وجيزة من تابوتها الحجري عند إخضاعها للتصوير الطبقي المحوري.

وأضاف حواس أن الجزء الأكبر من جسد المومياء مفتت إلى ١٨ قطعة تبدو – حسب وصف حواس– كحجارة تحطمت أجزاء عندما اكتشفها عالم الأثار البريطاني هوارد كارتر أول مرة وأخرجها من قبرها وحاول نزع القناع الذهبي الذي كان يغطي وجه الملك توت عنخ آمون.

أشار حواس إلى أن الغموض الذي أحاط بتوت عنخ آمون وضريحه الذهبي أثار فضول وحماسة المعجبين بالدراسات المصرية القديمة منذ كشف كارتر موقع المومياء في ٤ نوفمبر ١٩٢٢، وما كانت تخبئه من كنوز الذهب والأحجار الكريمة.

وقد حاول علماء الآثار في السنوات الأخيرة كشف اللغز وراء طريقة وفاة الفرعون الشاب الذي يعتقد بأنه كان الحاكم الـ١٢ من الأسرة الفرعونية الـ١٨ وصعد إلى العرش حاكما لمصر القديمة وعمره لم يتجاوز ثمانية أعوام.

فوضعت محاولة لكشف هذه الأسرار أخرج العلماء مومياء توت عنخ آمون من قبرها ووضعها على طاولة التصوير الطبقي المحوري المتطور لمدة ربع ساعة عام ٢٠٠٥ من أجل الحصول على صورة ثلاثية الأبعاد لمومياء يزيد عمرها عن ٣٠٠٠ عام.

واستبعدت نتائج الفحص الطبي أن يكون الفرعون الشاب قد مات قتلا، لكنها لم تستطع أن تحدد تحديدا دقيقا طريقة وفاته التي وقعت في العام ١٣٢٣ قبل الميلاد.

كتشفت الصور أن الملك توت عنخ آمون تعرض لكسر في فخذه اليسرى، بسبب حادث ما على الأرجح، أدى إلى إصابته لاحقا بمرض قاتل تعذر تحديده. كما قدمت الصور في حينه كشفا غير مسبوق حول حياة الفرعون الشاب الذي يعد من أشهر ملوك مصر القديمة، ومنها أنه كان معافى بسبب تغذيته الجيدة رغم نحول بنيته نسبيا التي لا يتجاوز طول قامتها ١٧٠ سنتميترا عند وفاته.

وتعددت المحاولات لمعرفة لغز وفاته، ففي ١٧ من فبراير عام ٢٠١٠ أعلن زاهي حواس أمين عام المجلس الأعلى للآثار في مؤتمر صحفي بحديقة المتحف المصري مجموعة من الاكتشافات العلمية المذهلة التي تحل العديد من ألغاز نهايات الأسرة الثامنة عشرة، ومنها لغز وفاة الملك الشاب توت عنخ آمون، بتحليل الحمض النووى لمومياء الملك توت أظهرت النتائج أن سبب الوفاه يرجع لطفيل الملاريا، ومن المرجح أن المضاعفات الناجمة بشكل حاد عن المرض أدت لوفاته، كما كشف تحليل الحمض النووي والمسح بالأشعة المقطعية لمومياء توت عنخ آمون أن الملك إخناتون هو والد الملك توت.

وكشفت النتائج أيضا عن أن الأمراض الجينية والوراثية لعبت دوراً في وفاة توت عنخ آمون، حيث كان يعانى من خلل جيني متوارث في العائلة. قال حواس: "نحن نعرف أنه كان هناك ضعف وأمراض في هذه المومياوات، وربما مشاكل ذات علاقة بالقلب والأوعية الدموية". وعندما قام الباحثون بإجراء مسح لمومياء توت عنخ آمون، وجدوا إصابته بالعديد من الأمراض مثل إصابته بحدب في عموده الفقري، إلى جانب تشوه إصبع القدم الكبير، الأمر الذي أدى إلى ضمور في قدمه اليسرى.

وقال حواس إن الرسومات القديمة كانت تصور توت عنخ آمون وهو يطلق السهام، جالساً في العربة التي تجرها الخيل، وليس واقفاً، وهو أمر غير عادي.. وفي قبره، عثرنا على ١٠٠ عصاة للمشي، وفي البداية اعتقدنا أنها تمثل السلطة والقوة، ولكن تبين أنها عكازات قديمة كان يستخدمها، فهو بالكاد كان يستطيع السير والمشي."

كما أوضح حواس إلى أن المسح الكمبيوتري للمومياء في العام ٢٠٠٥ كان يهدف إلى التحقق من أنه تعرض للقتل، نظراً لأن الصور السابقة بأشعة إكس كشفت عن

وجود ثقب في جمجمته، مضيفاً أنه تبين أن هذا الثقب تم أثناء عملية التحنيط، غير أنه تم اكتشاف كسر في عظم الساق الأيسر، ربما يكون له دور في وفاة الفرعون الصغير.

ترجع أهمية مجموعة الملك توت عنخ آمون إلى العديد من الأسباب؛ أولها أن كنز الملك توت عنخ أمون هو أكمل كنز ملكي عُثر عليه ولا نظير له، إذ يتكون من ثلاثمئة وثمان وخمسين قطعة تشمل القناع الذهبي الرائع وثلاثة توابيت على هيئة الإنسان، أحدها من الذهب الخالص والآخران من خشب مذهب. ثانياً :أن تلك الأمتعة ترجع إلى الأسرة الثامنة عشر التي عاشت في أزهى عصور الدولة الحديثة حيث انفتحت البلاد على أقاليم الشرق الأدنى القديم بفضل الحملات العسكرية والعلاقات التجارية من تصدير واستيراد للموارد والمنتجات المصنعة ونشاط أهل الحرف والفنانين. وأخيراً؛ أن هذه المجموعة الهائلة قد ظلت في مصر، وتوضح كيف كان القبر الملكي يجهز ويعد فهناك أمتعة الحياة اليومية كالدمى واللعب، ثم مجموعة من أثاث مكتمل وأدوات ومعدات حربية، وتماثيل للأرباب تتعلق بدفن الملك وما يؤدى له من شعائر، وبوق توت عنخ آمون الشهير المصنوع من الفضة وأخر من النحاس، وكل هذه المحتويات موجودة الآن بالمتحف المصري بالقاهرة. رابعاً: من هذا الكنز أو المجموعة الهائلة نتعرف على الكثير من حياة الملك وحبة للصيد وعلاقته بزوجته "عنخ أسن آمون" التي من المعتقد أن تكون قريبته، بالإضافة لمعرفة أهم أعماله وحاشيته، وأخيراً كرسي العرش الوحيد الذي وصل لنا من حضارة المصريين القدماء.

(٧)

حور محب

(١٣٣٨ - ١٣٠٨ ق.م)

و اسمه أحيانا يكتب (حور ام حب ميري أمون) كان آخر فراعنة الأسرة المصرية الثامنة عشرة في تاريخ مصر القديم، وجلس على عرش مصر من ١٣٣٨ إلى أواخر ١٣٠٨ قبل الميلاد في عصر الدولة الحديثة.

معنى اسمه كاملا حورمحب ميري آمون "حور في عيد، محبوب آمون".

يعرف القليل عن خلفية الفرعون حورمحب آخر ملوك الأسرة المصرية الثامنة عشرة.وفقا لعالم المصريات الفرنسي نيكولاس جريمال (من السوربون) لا يبدو أن حورمحب هو نفسه باتمحب (آتون موجودا في ابتهاج) الذي كان القائد العام لجيش أخناتون.

يلاحظ جريمال أن أوائل وظيفة حورمحب السياسية بدأت في ظل توت عنخ آمون حيث أنه مبين إلى جانب الملك في مصلى قبر حورمحب في ممفيس (منطقة سقارة). في أوائل حياته السياسية، كان بمثابة "المتحدث الملكي الخارجي باسم مصر "، وقاد شخصيا إحدى البعثات الدبلوماسية لزيارة حكام النوبة، وأدى ذلك إلى المعاملة بالمثل في الزيارة التي قام بها "أمير النوبة "لتوت عنخ آمون"، الحدث الذي صور في قبر الوالي هوى وسرعان ما ارتفع حورمحب في الأهمية في ظل توت عنخ آمون، وأصبح القائد العام للجيش، ومستشار فرعون.

ومن الجدير بالذكر أن الأدلة التاريخية تشير إلى وجود وزيرين لتوت عنخ أمون أحدهما خپر خپرو رع آي (آي) والأخر كان حورمحب، وهناك أدلة أثرية تؤكد أنه بعد وفاة توت عنخ أمون استلم الوزير آي مقاليد الحكم لفترة قصيرة ليحل محله الوزير الثاني

حورمحب الذي تم في عهده إتلاف معظم الأدلة على فترة حكم توت عنخ آمون والوزير آي وهذا يشير لدى البعض إلى نظرية المؤامرة وأن وفاة توت عنخ آمون تمت نتيجة عملية اغتيال وليست لأسباب مرضية.

بدأ حور سلسلة شاملة من الإصلاحات الداخلية لكبح اساءة استخدام السلطة والامتيازات التي كانت قد بدأت في ظل أخناتون، ويرجع ذلك إلى مركزية سلطة الدولة والامتيازات في أيدي عدد قليل من المسؤولين. وعين القضاة وأعاد السلطات الدينية المحلية وقسم السلطة القانونية بين الصعيد والوجه البحري بين الوزراء من طيبة ومنف على التوالي.

أفقدت سياسة أخناتون مصر إمبراطوريتها التي أسسها تحتمس الأول وتحتمس الثالث، ولما تولى حورمحب الحكم أعاد الانضباط إلى الإدارة الحكومية. كان الملك حورمحب أول من وضع تشريعات وقوانين لتنظيم حياة العامة في التاريخ ، واهتم بإصدار العديد من القوانين التي تنظم العلاقة بين الفرد والسلطة الحاكمة.

أقام حورمحب معبد جبل عاد فيما بين وادى حلفا وأبوسنبل ةأيضاً بهو الإحتفالات في معبد الأقصر وبه سبعة أعمدة على كل جانب ويحيط به جدار وله سقف، وكان يؤدى من فناء امنحتب الخارجى إلى فناء أكبر بكثير يبدو أنه قد أقيم في تاريخ تال حيث كانت تقام في هذا المكان أعياد الإله واحتفالاته، وكانت جميع جدران المعبد في الأصل مزينة بالنقوش الرائعة.

استعد حورمحب لبناء مقبرة غير ملكية له بمنطقة سقارة وجلس القائد حورمحب بعد ذلك على العرش فقام ببناء مقبرة ملكية في وادي الملوك، وقد عثر على مقبرة الملك حورمحب في وادي الملوك حيث مقبرة الملك توت عنخ آمون، وبه أيضاً مقابر تحتمس الثالث ورمسيس الثالث والرابع والخامس وسيتي الأول.جدران مقبرة الملك حورمحب مصورة بالنقش البارز.

اختار حورمحب، رفيقه في الجيش الوزير رمسيس كخليفة له على العرش. حكم رمسيس الأول الذي أسس الأسرة التاسعة عشرة لمدة عامين فقط وذلك بسبب تقدمه في العمر وقت اعتلائه العرش، وهو جد الفرعون العظيم رعمسس الثاني.

(٨)

رمسيس الثاني

١٣٠٣ ق.م – ١٢١٢ ق.م

رمسيس الثاني هو ثالث فراعنة الأسرة التاسعة عشرة، وكان والده الملك سيتي الأول.

و ُلد رمسيس الثاني عام ١٣٠٣ قبل الميلاد وحكم مصر لمدة ٦٧ سنة من ١٢٧٩ ق.م. حتى ١٢١٢ ق.م. صعد إلى الحكم وهو في أوائل العشرينات من العمر. ظُن من قبل أنه عاش حتى أصبح عمره ٩٩ عاماً، إلا أنه على الأغلب توفي في أوائل تسعيناته. الكتاب الإغريق القدامى (مثل هيرودوت) نسبوا إنجازاته إلى الملك شبه الأسطوري سنوسرت الثالث، الذي عاش في عصر الدولة الوسطى، وسماه اليونانيون سيزوستريس.

كان رمسيس الثاني ابن ملك مصر سيتي الأول والملكة تويا، وأهم زوجاته الملكة نفرتاري المحبوبة له، كما كان له عدد من الزوجات الثانويات ومن ضمنهم زوجته إيزيس نوفرت وماعت حور نفرو رع، والأميرة حاتّي. وبلغ عدد أبنائه نحو ٩٠ ابنة وابن منهن: بنتاناث ومريت أمن، ست ناخت .ومن أبنائه الأمير مرنپتاح الذي خلف والده كملك على عرش مصر. وأخيرا الأمير خع ام واست الذي رمم آثار أجداده. وكان من صغرة شجاعاً ويدل على ذلك انه كان يلعب مع اسده الحبيب وهو كان في التاسعة من عمرة، ثم البسة والدة التاج بمناسبة احتفالة بعيد ميلاده التاسع، ومن يومها راح سيتي الأول يعلم رمسيس الثاني كيف يكون حاكما وقائدا محبوبامن شعبه .

ومثل معظم ملوك المصريين، كان لرمسيس عدة أسماء. أهم اثنين منهما: اسمه الملكي واسمه الأصلي. وتلك الأسماء تُكتب بالعربية كالتالي: وسر معت رع – ستب ان وأيضا الصقر الذهبى رع، والاسم الثاني : رع مسو – مري أمون. معني الاسم الأول: "قوي رع وماعت، المختار من رع ،ويعني الاسم الثاني بالعربية : روح رع، محبوب أمون". في النسخة الحيثية من معاهدة السلام المذكورة آنفاً مع حاتّوسيليس الثالث، يظهر اسم الملك كالتالي: وَشْمُوَارع شَتِبْنَرع رعمَشِشَ مَيْأمَنَ.

وتحلى ملك مصر بعدد من الأسماء (في العادة ٥ أسماء) تضم اسم الولادة (الشخصي)، واسمه كملك على الوجهين البحري والقبلي، والاسم المنتسب للإله حورس (الصقر) الحاكم على الأرض، واسم التتويج الذي يعبر عن علاقة الملك بالآلهه. وفي التالي نقدم تلك الأسماء الخاصة بالملك رمسيس الثاني وعلاقته بالآلهة آمون ورع ومعات وحورس.وفي العرض التالي تُقرأ الحروف من اليسار إلى اليمين، بعكس ما كان يكتب الكاتب المصري القديم، فقد كان يكتب عادة من اليمين إلى اليسار.

قاد رمسيس الثاني عدة حملات شمالاً إلى بلاد الشام، وفي معركة قادش الثانية في العام الرابع من حكمه (١٢٧٤ ق.م.)، قامت القوات المصرية تحت قيادته بالاشتباك مع قوات مُواتالّيس ملك الحيثيين استمرت لمدة خمسة عشر عاما ولكن لم يتمكن أي من الطرفين من هزيمة الطرف الآخر. وبالتالي ففي العام الحادي والعشرين من حكمه (١٢٥٨ ق.م.)، أبرم رمسيس الثاني معاهدة مع حاتّوسيليس الثالث، وهي أقدم معاهدة سلام في التاريخ.

قاد رمسيس الثاني أيضاً عدة حملات في بلاد النوبة جنوب الشلال الأول، وقد أنشأ رمسيس مدينة (بر رعميسو) في شرق الدلتا ومنها أدار معاركه مع الحيثيين. وقد رأى البعض أنه إتخذها عاصمة جديدة للبلاد وهذا بالطبع غير صحيح فلقد كانت عاصمة البلاد في مكانها في طيبة، وأعظم ما ترك من معابد وآثار تركها هناك. وقدكان رمسيس الثانى متميز في فنون القتال والحروب، وكان ذكى يفكر ويأتى بالحل في نفس اللحظة وقد كان ماهرا أيضاً في ركوب الخيل والقتال بالسيوف والمبارزة ورمى السهام وقد كان أيضاً طيبا ذا روح أخلاقية ومحب لشعبه .

قام رمسيس خلال مدة حكمه ببناء عدد كبير من المبانى يفوق أي ملك مصري أخر، فقد أتم إنشاء المعبد الذي بدأه والده في أبيدوس، ثم بنى معبداً صغيراً خاصاً به بجوار معبد والده، ولكنه تهدم ولم يتبق منه إلا أطلال، وفى الكرنك أتم بناء المعبد الذي بدأه جده رمسيس الأول، وأقام في طيبة الرامسيوم (أطلق علماء القرن التاسع عشر على هذا المعبد الجنائزى اسم الرامسيوم نسبة إلى رمسيس الثاني)، وهو معبد جنائزى ضخم بناه رمسيس لآمون ولنفسه. وتوجد له رأس ضخم أخذت من هذا المعبد ونقلت إلى المتحف البريطانى.

وأقام أيضا التحفة الرائعة معبدى أبو سمبل، المعبد الكبير له المنحوت في الصخر ويحرس مدخل المعبد أربعة تماثيل ضخمة لرمسيس الثاني وهو جالسٌ، ويزيد ارتفاع كل تمثال عن ٢٠ مترا، والمعبد الصغير المنحوت أيضا في الصخر لزوجته نفرتاري وكان مكرسا لعبادة الإلهة حتحور إلهه الحب والتي تصور برأس بقرة. وتوجد في واجهة المعبد ٦ تماثيل ضخمة واقفة ٤ منهم لرمسيس الثاني و٢ للملكة نفرتارى ويصل ارتفاع التمثال إلى حوالي ١٠ متر.

ووجود كل هذه الآثار له في الجنوب يدحض ادعاء البعض أن عاصمة الحكم في عهده كانت في الدلتا في مدينة (بر رعميس) لأن كل ما خلفه من آثار ومعابد عظيمة كانت في جنوب مصر حيث العاصمة كما هي طيبة.

كانت آثار النوبة مهددة بالغرق تحت مياة بحيرة ناصر، ولكن تم إنقاذها بمساعدة اليونسكو، وكانت عملية إنقاذ معابد أبو سمبل هي الأكبر والأكثر تعقيداً من نوعها، حيث تم نقل المعبدين الكبير والصغير إلى موقعهما الحالى، الذي يرتفع عن الموقع القديم بأربعة وستين متراً، ويبعد عنه بمسافة مائة وثمانين متراً .

وأقام رمسيس الثاني العديد من المسلات منها مسلة ما زالت قائمة بمعبد الأقصر، ومسلة أخرى موجودة حاليا في فرنسا بميدان الكونكورد بباريس، قام بنقلها مهندس فرنسي يدعى ليباس.

كما قام رمسيس بأول معاهده سلام في العالم مع حاتوسيليس الثاني ملك الحيثيين

دفن الملك رمسيس الثاني في وادي الملوك، في المقبرة ، إلا أن مومياؤه نُقلت إلى خبيئة المومياوات في الدير البحري، حيث اكتُشفت عام ١٨٨١م بواسطة جاستون ماسبيرو ونقلت إلى المتحف المصري بالقاهرة بعد خمس سنوات. كان رمسيس يبلغ ارتفاع قامته ١٧٠ سم، والفحوص الطبية على مومياءه تظهر آثار شعر أحمر أو مخضب، ويعتقد أنه عانى من روماتيزم حاد في المفاصل في سنين عمره الأخيرة، وكذلك عانى من أمراض في اللثة.

نقل تمثال رمسيس الثاني في بداية الخمسينيات ووضع بأشهر ميادين القاهرة (ميدان باب الحديد) الذي تغير اسمه إلى ميدان رمسيس، وفي سبتمبر عام ٢٠٠٥م تم نقله من ميدانه الشهير الذي يقع في وسط القاهرة أمام محطة السكك الحديدية وتم وضعه في منطقة الأهرامات بمحافظة الجيزة لإجراء الترميمات عليه لمدة عام ولحين الانتهاء من إنشاء المتحف المصري الجديد.

و فيما تداول من ادعاءات أن الملك رمسيس هو فرعون موسى

فقد تم تاويل ذلك نظرا لاعتماد علماء الغرب على ما لديهم من أسفار العهد القديم ومع تتبع الأزمنة الواردة به فقد ظن الكثيرون من المستشرقين وعلماء الغرب ان رمسيس الثاني هو نفسه فرعون موسى الذي عاصر وجود بني إسرائيل في مصر ومن أصحاب هذه النظرية : أولبرايت – إيسفلت – روكسي – أونجر – الأب ديفو ، ولمن يرون ذلك عدة آراء يحاولون بها اثبات هذه الفرضية، فذهب البعض إلى القول إنه إذا كان رمسيس الثاني قد اعتلى العرش عام ١٢٧٩ ق.م وذلك بناءاً على التاريخ المصري لاعتلائه العرش في الشهر الثالث من فصل شمو يوم ٢٧، ولكن ينقض نظرية الاعتماد على التوارايخ، وربما يكون أول من نادى بهذه النظرية يوسيبيوس القيصري الذي عاش في الفترة من ٢٧٥ حتى ٣٣٩ ميلادية.

وقد شكك معظم علماء المصريات في فرضية أن يكون رمسيس الثاني هو فرعون موسى نتيجة بحث تاريخي مفصل ولأن فحص مومياؤه أثبتت أنه لم يمت غرقا على عكس ما حاول أتباع هذه النظرية من الترويج لها بادعاء وجود آثار ماء في رئتيه.

* أما الطبيب الفرنسي موريس بوكاي فقد ذكر في كتابه (الإنجيل والقرآن والعلم الحديث) أنه يظن أن مرنبتاح ابن رمسيس الثاني هو الأقرب لأن يكون فرعون موسى، وكان اعتماده في ذلك أن التوراة والإنجيل تؤكد وجود فرعونين عاصرا فترة النبى موسى عليه السلام أحدهما قام بتربيته والآخر هو من عرف بفرعون الخروج الذي طارد موسى وبنى إسرائيل وأغرقة الله في خليج السويس.

إلا أن الملك مرنبتاح نفسه قد قدم صك براءته من هذه النظرية فلقد قدم لنا مرنبتاح الدليل على كون تاريخ خروج موسى كان قبله بمئات السنين وذلك بما نقشه على لوحته الشهيرة من ما يعرف بأنشودة النصر والتي تباهى فيها بإنتصاراته على كل ما يحيط به من ممالك ومنهم (إسرائير) كما كان المصريون يدعون تلك القبائل آنذاك، ووصفت اسرائير بالوصف المصري القديم الرامز إلي القبائل وليس الشعوب المستقرة ذات الأوطان.

وكذلك لم يعثر على أي أثر ينتمى إلى فترة حكم رمسيس الثاني ذكر فيه أى شيئ عن بنى إسرائيل أو أثر يشير إلى النوازل التي عاقب الله بها حاكم مصر وشعبه حتى يدفعه لقبول طلب نبى الله موسى بتحريرهم وخروجهم من أرض مصر.

وكما ذكرنا فإن أول ذكر لبنى إسرائيل في الآثار المصرية القديمة كان في عهد الملك مرنبتاح ابن رمسيس الثاني وخليفته في الحكم على اللوحة التي تم اكتشافها وتعرف باسم لوحة إسرائيل أو إنشودة النصر وفيها يسجل مرنبتاح انتصاراته على أرض كنعان وقبائل إسرائير مما ينفى نفيا قاطعا أى إمكانية لكون رمسيس الثاني هو فرعون التسخير وأن مرنبتاح هو فرعون الخروج.

(٩)

رمسيس الثالث

١١٨٣ ق.م - ١١٥٢ ق.م

رمسيس الثالث أشهر حاكم في الأسرة العشرين. حكم مصر في الفترة ١١٨٣ ق.م. – ١١٥٢ ق.م.. عرفه الإغريق باسم: رامپسينيتوس. اقتدى بوالده رمسيس الثاني في تنفيذ مشاريع إنشائية ضخمة.

رمسيس الثالث له اسمان رئيسيان، يكتبان بالعربية كالتالي: وسر–معت–رع–مري–إمن، رع–مس–س–هيكاع–إؤنو. ويعني "القوي بماعت ورع، محبوب آمون، حمله رع، حاكم أون". وكان آخر الملوك العظماء في عهد الملوك الرعامسة .

و من أهم معاركه:

– معركة زاهى: في عهده تجددت أخطار شعوب البحر المتوسط الذين هاجموا مصر ولكن رمسيس الثالث استطاع هزيمة قواتهم البرية عند مدينة رفح وانتصر على سفنهم الكبيرة عند مصب النيل الغربي وبهذا استطاع أن يبعد خطرا لا يقل أهمية عن الهكسوس،

– معركة دلتا: طمع الليبيون في عهده في الاستيلاء على مصر لكن رمسيس الثالث هزمهم بالقرب من وادى النطرون.

بعد انتهاء حكم الملك "رمسيس الثالث" ضعفت البلاد نتيجة لضعف الملوك وتدخل كهنة "آمون" بطيبة فى شؤون الحكم، وتعرضت البلاد للأخطار الخارجية. استطاع كبير

كهنة الإله "آمون" تولى الحكم وأن يعلن نفسه ملكاً، وبذلك انتهى عهد الدولة الحديثة عام ١٠٨٥ ق.م .

رمسيس الرابع أو هقا ماعت رع

هو ثالث حكام الأسرة العشرين، كان خامس أبناء رمسيس الثالث وأصغرهم سنًا، وصار ولي العهد بحلول العام الثاني والعشرين من حكم والده، وقد حكم مصر إما من ١١٥١ ق.م حتى ١١٤٥ ق.م أو من ١١٥٥ ق.م حتى ١١٤٩ ق.م، ويعتقد أنه كان في الأربعينات من عمره حينما اعتلى عرش مصر.

الفصل الخامس

ملوك العصر المتأخر

بعنخي

هو أول من أسس حكم الأسرة ٢٥ لمصر من الدولة الحديثة واستمر أولاده وأحفاده يحكمون مصر حتى انتهى حكمهم بحكم الأسرة السادسة والعشرين. وتبدأ قصة إستيلاء الفرعون بعنخي على الحكم حينما كان بيعنخى أو بى ابناً للملك النوبى كاشتا ، حيث بدأ بيعنخى حكمه من نباتا، ثم ما لبث أن مد سلطانه شمالاً حتى طيبة في الأقصر حالياً ، بالإضافة إلى سلطانه على إمارات مصر الوسطى .

ولم يلبث أن نما نفوذه حينما حارب تف– نخت ، أحد ملوك الأسرة الرابعة والعشرين الذى كان يحكم مصر السفلى ، وأجبره على الإختباء فى مستنقعات الدلتا فى شمال وادى النيل.

ومن أهم أعماله:

ترك الفرعون بعنخي بعض الآثار فى مصر خلافاً لتوسعاته فى معبد آمون بطيبة. و تعاقب من بعده مجموعة من الملوك الآخرين، وقد اكتنفت فترات حكمهم الغموض الشديد و كانوا وفقا للترتيب الزمنى :

طهرقا

الفرعون طهرقا من فراعنة الأسرة ٢٥ الذين حكموا مصر فى عصر الدولة الحديثة. بدأ كحاكم للنوبة ويعتقد بعض علماء الآثار أن الفرعون طهرقا هو ابن با – نحسى على الرغم من اعتقاد بعض الباحثين فى أنه كان أخاه.

و من أهم اعماله :

اهتم كثيراً بمصر واستقر فى طيبة. قام طهرقا ببناء العديد من الآثار فى أنحاء البلاد، وذلك لتدعيم وضعه. ومن أهم هذه الآثار مجموعة الأعمدة التى أقيمت فى الساحة الكبيرة بمعبد آمون العظيم بالكرنك، والتى لم يبق منها سوى عمود واحد فقط .

الأسرة السادسة والعشرين

- نخاو الأول ٦٦٤-٦٧٢ ق. م
- بسماتيك الأول (واح إيب رع) ٦١٠-٦٦٤
- نخاو الثاني (وحم ايب رع) ٥٩٥-٦١٠
- بسماتيك الثاني (نفر ايب رع) ٥٨٩ – ٥٩٥
- أبريس ٥٧٠ – ٥٨٩
- أحمس الثاني ٥٢٦- ٥٧٠
- بسماتيك الثالث ٥٢٥ – ٥٢٦

فى الفترة من ٦٥٤ ق. م حتى ٥٢٥ ق . م

تمكن المصريون من طرد ملوك النوبة وقبضوا علي زمام الأمور بمعونة الإغريق ، وأسس بسماتيك الأول الأسرة ٢٦ وخلالها انتعشت التجارة مع الإغريق .. وفي نهاية حكم هذه الأسرة سقطت مصر في يد قمبيز ملك الفرس سن ٢٥٢ ق. م.

فى الفترة ما بين ٥٢٥ ق . م إلى ٤٠٤ ق. م

فتح الفرس مصر وحكموها ما يقرب من ١٢٤ عاماً وملوك هذه الأسرة من الفرس وهم :

- قمبيز
- داريوس الأول
- جزر كسس الأول
- ارتكزر كسس الأول
- دار يوس الثاني

الاسرة الثامنة والعشرين

فى الفترة ما بين ٤٠٤ – ٣٩٩ ق.م

ملك مصري واحد كافح خلال ست سنوات تمكن من انتزاع السلطة من الفرس ذلك هو- اميرتي .

الاسرة التاسعة والعشرين

- **نفريتس393-399**
- **بسموتيس393**
- **هكوريس380-393**

الاسرة ثلاثون ٣٤٣ - ٣٨٠ ق.م

- **نخت نبو الأول (خبرو كا رع) ٣٨٠–٣٦٢**
- **تاخوس ٣٦٠ – ٣٦٥**
- **نخت نبو الثاني (سنجم ايب رع ان اينحور) ٣٦٠–٣٤٣**

الباب الثاني

اليونان و الرومان

الفصل الاول

العصر المقدوني

(١)

الإسكندر المقدوني

ولد الإسكندر في بيلا، العاصمة القديمة لمقدونيا القديمة. وهو ابن فيليبوس الثاني المقدوني ملك مقدونيا القديمة وابن الأميرة أوليمبياس أميرة إيبيروس، وكان أرسطو معلمه الخاص. درّبه أرسطو تدريبا شاملا على فن الخطابة والأدب وحفزه على الاهتمام بالعلوم والطب والفلسفة. في صيف عام ٣٣٦ ق.م.اغتيل فيليبوس الثاني فاعتلى العرش ابنه الإسكندر، فوجد نفسه محاطًا بالأعداء ومهدداً بالتمرد والعصيان من الخارج. تخلص مباشرة من المتآمرين عليه وأعدائه في الداخل فحكم عليهم بالإعدام، كما فعل مع أمينتاس الرابع المقدوني .ثم انتقل إلى ثيساليا حيث حصل حلفاءه هناك على استقلالهم وسيطرتهم واستعادة الحكم في مقدونيا .وقبل نهاية صيف ٣٣٦ ق.م. أعادَ تأسيس موقعه في اليونان وتم اختياره في كورينث قائدًا .

كقائد للجيش قام الإسكندر بحملة ناجحة إلى نهر الدانوب وأثناء عودته سحق في أسبوع واحد الذين كانوا يهددون أمته من الليرانس مرورا بمدن ثيبيس /طيبة /ثيفا التي تمردت عليه، حيث قام بتحطيم كل شيء فيها ما عدا المعابد وبيت الشعر اليوناني بيندار . وقام بتحويل السكان الناجين وكان عددهم حوالي ٨.٠٠٠ فرد إلى العبودية. سرعة الإسكندر في القضاء على مدينة ثيبيس /طيبة /ثيفا كانت بمثابة عبرة إلى الولايات اليونانية الأخرى التي سارعت إلى إعلان رضوخها على الفور.بدأ الإسكندر حربه ضد الفرس في

ربيع عام ٣٣٥ قبل الميلاد حيث عبر (هيليسبونت Hellespont) (دانيدانيليس الجديدة) بجيش مكون من ٣٥،٠٠٠ مقدوني وضباط من القوات اليونانية بمن فيهم أنتيغونوس الأول (Antigonus I) وبطليموس الأول وكذلك سلوقس الأول (Seleucus I) . وعند نهر جرانيياس بالقرب من المدينة القديمة لطروادة، قابل جيشا من الفرس والمرتزقة اليونان الذين كانوا حوالي ٤٠،٠٠٠ وقد سحق الإسكندر الفرس، وكما أشير في الكتابات القديمة خسر ١١٠ رجلا فقط. وبعد هذه الحرب الضارية أصبح مسيطرا على كل ولايات آسيا الصغرى .

وعندما دخل مصر قام الإسكندر بالحج إلى المعبد العظيم ووسيط الوحي إله الشمس آمون - رع المعروف بزيوس عند اليونان في ربيع عام ٣٣١ ق.م. ، حيث كان المصريون القدامى يؤمنون بأنهم أبناء إله الشمس آمون-رع، وكذلك كان حال الإسكندر الأعظم اللذي آمن بأن الحج الذي قام به أتى ثماره، فنصبه الكهنة فرعونا على مصر وأحبه المصريون وأعلنوا له الطاعة والولاء، واعتبروه واحدا منهم ونصبه الكهنة ابنًا لآمون وأصبح ابنًا لكبير الآلهة حيث لبس تاج آمون وشكله كرأس كبش ذو قرنين، فلقب بذلك "الإسكندر ذو القرنين".. بعدها قام بالعودة إلى الشرق مرة أخرى.

وقبل مغادرته مصر حرص الاسكندرعلى أن ينظم مصر تنظيماً دقيقاً. فقد أبقى على النظم المصرية القديمة، وقام بتنويع الحكم بين المصريين والإغريق الذين وضع بين أيديهم السلطة العسكرية والمالية، وأبقى للمصريين السلطة الإدارية. كما وزع السلطات بالتساوي، لذا لم يعين حاكماً عاماً مقدونياً، وبذلك ضمن رضى المصريين وعدم قيام الثورات الوطنية .

لقد أبقى مصر كولاية، كما أبقى على منف، العاصمة المصرية، كعاصمة على الولاية، وحرص على عدم تغيير التقسيم الإداري لمصر. حرص الإسكندر على فتح أبواب مصر للمهاجرين الإغريق خاصة المقدونيين، لأن مصر كما تخيلها الإسكندر كانت ولاية مقدونية إغريقية حكماً وفكراً وثقافة. وكان ذلك نقطة تحول في تاريخ مصر، إذ دخلت طوراً جديداً من أطوار حضارتها المتنوعة، خاصة بعد تأسيس أسرة البطالمة التي حققت إلى حد كبير ذلك الحلم .

كان الإسكندر من أعظم الجنرالات على مر العصور حيث وصف كتكتيكي وقائد قوات بارع وذلك دليل قدرته على فتح كل تلك المساحات الواسعة في فترة وجيزة. كان شجاعا وسخيا، وشديدا صلبًا عندما تتطلب السياسة منه ذلك. وكما ذكر في كتب التاريخ القديمة بأنه كان مدمن كحول فيقال أنه قتل أقرب أصدقائه كليتوس في حفلة شراب ثم ندم ندماً عظيما على ما فعله بصديقه. وصفوه بأنه ذا حكمة بحسب ما يقوله المؤرخون بأنه كان يسعى لبناء عالم مبني على الأخوة بدمجه الشرق مع الغرب في إمبراطورية واحدة. لقد درب آلاف من شباب الفرس بمقدونيا وعينهم في جيشه، وتبنى بنفسه عادات وتقاليد الفرس وتزوج نساء شرقيات منهم روكساناالتي توفيت عام ٣١١ ق.م. ابنة أوكسيراتسالتي لها صلة قرابة مباشرة بالملك داريوس الثالث وشجع ضباط جيشه وجنوده على الزواج من نساء فارسيات .

قبل أن يغادر الإسكندر مصر، إستعرض قواته للوداع وأقام للشعب المصري والإغريقي مهرجاناً رياضياً وثقافياً كرمز للتعاون بين الحضارتين العريقتين، كما أوصى موظفيه في مصر بالقيام ببعض الإصلاحات للمعابد وتجديد معبد الكرنك .

لقد كانت الفترة التي قضاها الإسكندر في مصر قصيرة لم تتعد ستة شهور من خريف عام ٣٣٢ ق.م إلى ربيع عام ٣٣١ ق.م. لكنها كانت عامرة بالإصلاحات والأحداث التي حولت مصر إلى فلك الحضارة الإغريقية في البحر المتوسط .

كان يتمنى أن يعود إليها مرة أخرى ليرى ثمار ما غرس، لكن القدر لم يحقق له هذا الرجاء، إذ عاد إلى مصر محمولاً على عربة، محنطاً في تابوت لتكون الإسكندرية هي مثواه الأخير .

الفصل الثاني

ملوك دولة البطالمة

(١)

بطليموس الأول

(٣٦٧ ق.م- ٢٨٣ ق.م).

أول ملوك الفراعنة البطالمة ومؤسس الأسرة البطلمية بالإسكندرية كما أنه عاش في قصر والد الاسكند الأكبر وكان بن عمه، كما أنه كان له دور كبير في تقدم وازدهار مصر فهو أول من جعل المصريين يتعاملون بالعملة المعدنية بدلاً من المقايضة كما سمى بالمنقذ لأنه أنقذ مصر من الأعداء وكان واحداً من جنرالات الاسكندر الأكبر وفرعون مصر. تولى حكم مصر بعد وفاة الاسكندر الأكبر وتقسيم الإمبراطورية وفعل كما فعل الإسكندر من ولاء وإيمان بمقدسات المصريين فنصب فرعونا وأحبه المصريون.اهتم بطليموس بشؤون البلاد و عمل على رفعتها وتحسينها فقام بإنشاء المزارع الجديدة وجعل للزراعة

أكثر من موسم في العام الواحد وأدخل حيوانات جديدة مثل الجمال والخنازير لوجود عدد كبير من اليونانيين في مصر (حيث كان المصريون القدماء يعتبرون الخنزير حيوانا قذرا لا يجوز أكل لحمه)، كما اعتنى بإنشاء مناحل كثيرة لتصدير عسله إلى الصين كما عمل على الاهتمام بالصناعة وبخاصة صناعة الكتان، وعمل على ترويج التجارة وقام بإنشاء أول عملة معدنية في التاريخ كما أنه أدخل الساقية في الزراعة المصرية .

وعلى الجانب الديني، كان له أكبر الاثر في قربه من المصريين حيث اعترف بالآلهة المصرية وقام بضم إيزيس للآلهة الاغريقية. واحترم عادات وتقاليد المصريين حتى أصبح منهم وأحبه المصريون واحترموه كذلك كما فعلوا مع سابقة الإسكندر الأكبر .

كما كان بطليموس الأول قائدا عسكريا بارعا عمل على تطوير الجيش و بناء الدولة فقام بأنشاء أسطول ضخم لحماية مصر من الأخطار. وبدأت في عهده عودة مصر كقوة عظمى في العالم.

بطليموس الثاني

هو أحد الملوك البطالمة وإبن الملك بطليموس الأول، اعتلى عرش مصر سنة ٢٨٥ ق.م .

وقد تم اختياره دون إخوته الأكبر منه سناً مما خلق جواً من العداء بينه وبين إخوته، الأمر الذي سبب الكثير من الاضطرابات الداخلية والخارجية، وقد دفعه ذلك إلى محاربتهم ومحاربة من انضموا إليهم حتى أنه عقد معاهدات مع أعدائه للتغلب عليهم فعقد معاهدة مع روما سنة ٢٧٣ ق.م .

قام بطليموس الثاني بغزو ليبيا عندما حاول أخيه "ماجاس" الاستقلال عن مصر وقد تمكن من السيطرة على سوريا حتى بحر إيجة بالإضافة إلى بعض جزر اليونان. كان الأسطول البحري المصري من أقوى الأساطيل البحرية في ذلك الوقت إلا أنه انهزم بهذا الأسطول سنة ٢٥٧ ق.م أمام ملك مقدونيا أنتيجون، وفقد على إثر تلك المعركة السيطرة على بعض أقاليم سورية والجزر اليونانية.

اشتهرت فترة حكمه بالحروب شبه المستمرة وقد حاول وضع نهاية لهذه الحروب في آخر فترة عمره بأن زوج ابنته لأنطيوخوس حاكم سوريا .

طمح بطليموس بأن يجعل الإسكندرية من المدن الشهيرة من الناحيتين الفنية والتجارية؛ فأجرى الكثير من التحسينات على ميناء الإسكندرية، وقرر أنشاء فنار الإسكندرية لإرشاد السفن وكانت أول منارة في العالم وهي تعد من عجائب الدنيا السبع القديمة .

بنى بطليموس الثاني منارة الإسكندرية وكانت تسمى فاروس، موقعها كان على طرف شبه جزيرة فاروس وهي المكان الحالي لقلعة قايتباي في المدينة. تعتبر أول منارة في العالم أقامها سوسترات في عهد "بطليموس الثاني" عام ٢٨٠ ق.م وترتفع ١٢٠ مترا ودمرت فيما بعد في زلزال عنيف ضرب الإسكندرية عام ١٣٠٣ م .

بطليموس الثالث

هو ثالث البطالمة في مصر، وكان الابن الأكبر لبطليموس الثاني حاكم مصر. جاء إلى الحكم سنة ٢٤٦ ق.م بعد موت أبيه وقد لقبه المصريون بالحسن . سيطر على سوريا وآسيا الصغرى وبعض المناطق المحيطة في سنة ٢٤٦ ق.م .

احتفظ بطليموس الثالث بالمناطق المفتوحة في آسيا الصغرى وطرابلس ودمشق وبجزيرة قبرص، وقد نتج عن هذين الفتحين الكبيرين مجد عسكري ومنفعة مادية، وانعكس ذلك على حب المصريين له واستحق لقبه الحسن. وبعد وفاته بدأت مصر تسقط كقوة عظمى في العالم . توفى عام ٢٢٢ ق.م .

بطليموس الرابع

اعتلى العرش في الرابعة والعشرين من عمره، وكان ضعيف الشخصية وكان الحاكم الفعلى للبلاد هي والدته أونين.لكن والدة بطليموس، أبدت استيائها من سلوك ابنها ورغبت في استبداله بأخيه الأصغر منه سناً، ماجاس. نتيجة لذلك ٌقتلت والدته مسمومة كما قتل أيضاً أخاه وعمه. وفى عهده وقعت الحرب السورية الرابعة عندما حاول الملك السورى أنطيوخس الثالث غزو مصر.

بطليموس الخامس

تولى العرش تحت لقب أبيفانس (الإله الظاهر) وكان لا يزال طفلاً في الخامسة من العمر، فوضع تحت وصاية بعض الأمراء، فابتعدوا عن مهام الدولة الرئيسية واختلفوا مع بعضهم، وقد قامت انقسامات وصراعات داخلية في عهده أدت إلى حرب أهلية دموية في

شوارع الإسكندرية. أستغل الملك السوري أنطيوخس الثالث هذه الفرصة للتدخل والاستيلاء على مصر والقضاء على أسرة البطالمة وضمها إلى أملاكه لتصبح تابعة لسوريا، فاحتل فينيقيا وزحف بجيشه على مصر، وعندئذ تدخلت روما بالرغم من أنها كانت خارجة لتوها من حرب طاحنة مع قرطاج بقيادة هانيبال وقد أنهكتها. أضطر ملك سوريا أنطيوخس أمام الموقف المتشدد لروما أن يكتفى بأنتصاراته وضم البلاد التي استولى عليها خارج أراضى مصر إلا أنه قام بتزويج أبنته من بطليموس الخامس التي سميت فيما بعد بكليوبترا الأولى .

(٢)

كليوباترا السابعة

(يناير ٦٩ ق.م - ٣٠ قبل الميلاد)

كليوباترا السابعة ملكة مصر، الشهيرة في التاريخ والدراما بعلاقتها بيوليوس قيصر ثم ماركوس أنطونيوس ووالدة بطليموس الخامس عشر (قيصرون).

أصبحت ملكة عند وفاة والدها بطليموس الثاني عشر، في العام ٥١ قبل الميلاد وحكمت تباعا مع شقيقيها بطليموس الثالث عشر وبطليموس الرابع عشر.. وابنها بطليموس الخامس عشر قيصرون بعد انتصار جيوش الروم أوكتافيان) الامبراطور أوغسطس الجديد فيما بعد على قواتها المشتركة، انتحرت كليوباترا وكذلك فعل أنطونيوس، ووقعت مصر تحت سيطره الرومان .

ولدت العام ٦٩ قبل الميلاد، وصفت كليوباترا بأنها أثرت بنشاط على السياسة الرومانية في فترة حرجة، كما وصفت بأنها جاءت لتمثل، كما لم تفعل أي امرأة أخرى من العصور القديمة، النموذج الأول لرومانسية المرأة الفاتنة .

هي ابنة الملك بطليموس الثاني عشر "أوليتيس"، وكان قد قدر لكليوباترا أن تصبح آخر ملكة للسلالة البطلمية التي حكمت مصر بعد موت الإسكندر الأكبر في ٣٢٣ قبل الميلاد وضمها إلى روما في ٣٠ قبل الميلاد .

أطلقت كليوباترا علي نفسها لقب "إيزيس الجديدة " وهو لقب ميزها عن الملكة كليوباتراالثالثة، والتي زعمت أيضا انها تجسيد حي للآلهة إيزيس .

عندما توفي بطليموس الثاني عشر في ٥١ قبل الميلاد، انتقل العرش إلى ابنه الصغير، بطليموس الثالث عشر، وابنته كليوباترا السابعة .

وكانت كليوباترا ابنة الـ ١٨عامًا تكبر شقيقها بنحو ثماني سنوات، فأصبحت هي الحاكم المهيمن. الدلائل تشير إلى أن المرسوم الأول الذي فيه اسم بطليموس يسبق كليوباترا كان في أكتوبر العام ٥٠ قبل الميلاد .

أدركت كليوباترا انها في حاجة لدعم الرومان، أو بشكل أكثر تحديدا دعم قيصر، إذا كان عليها استعادة العرش .

يقول المؤرخون أن كلا من كليوباترا وقيصر سعيا لاستخدام الآخر، فقيصر سعى للمال لتسديد الديون التي تكبدها من والد كليوباترا أوليتيس، من أجل الاحتفاظ بالعرش. في حين أن كليوباترا كانت عازمة على الاحتفاظ بعرشها، واذا أمكن استعادة أمجاد البطالمة الأوائل واسترداد أكبر قدر ممكن من سطوتهم، التي شملت سوريا وفلسطين وقبرص. وتوطدت أواصر العلاقة بينهما وولدت له بعد رحيله طفلا أسمته بطليموس قيصر أو بطليموس الخامس عشر (وأطلق عليه الإسكندريون اسم قيصرون) .

وقع الملك بطليموس الثالث عشر تحت تأثير مستشاريه الذين عملوا على إبعاد كليوباترا وطردها من الإسكندرية للانفراد بالسلطة، فلجأت إلى شرقي مصر واستطاعت تجنيد جيش من البدو لاستعادة موقعها. عند وصولها إلى بيلوزيوم (بور سعيد حاليا) حيث كان يتصدى لها جيش أخيها، وصلت سفينة القائد الروماني بومبي على أثر هزيمته في معركة فرسالوس (٤٨ ق.م)، فما كان من أوصياء الملك الاّ أن دبّروا مقتله، وقدّموا رأسه إلى القائد المنتصر يوليوس قيصر الذي وصل الإسكندرية في ٢ أكتوبر عام ٤٨ ق.م. وقد نجحت كليوباترا في اختراق صفوف خصومها بعد أن حاول أخوها بطليموس الثالث عشر التقرب إلى القيصر حيث وجدها فرصة لإعلان ولائه الكامل، وعمل قدر طاقته على تملّقه والتقرب اليه. هكذا بدأت علاقة تاريخية بين قيصر وكليوباترا في القصر الملكي، فقد قرر الوقوف إلى جانبها وإعادتها إلى عرش مصر. لكن أوصياء أخيها حرّضوا جماهير

الإسكندرية ضد كليوباترا، وزحف الجيش الموالي لهم وحاصروا قيصر وكليوباترا في القصر الملكي، فبدأت حرب الإسكندرية التي حسمها يوليوس قيصر في مطلع عام ٤٧ ق.م بعد أن وصلته النجدات وانتهت بمقتل الملك بطليموس الثالث عشر وأعوانه، وتسلمّت كليوباترا عرش مصر مع أخيها الأصغر بطليموس الرابع عشر وبقي قيصر إلى جانبها ثلاثة أشهر .

بعد اغتيال قيصر في روما انقسمت المملكة بين أعظم قواده أوكتافيوس وأنطونيوس فقرر أوكتافيوس أن يضم مصر إلى الامبراطورية الرومانية، لكن كان أمامه الكثير من العواقب، ومن أشدها ماركوس أنطونيوس" مارك أنتوني" الذي أراد في أن ينفرد بحكم الإمبراطورية الرومانية، ومن ثم فكرت كليوباترا في أن تصبح زوجة لماركوس أنطونيوس الذي قد يحكم في يوم ما الإمبراطورية الرومانية. جاء مارك أنتوني إلي مصر وجاءت له كليوباترا خفية لخوفها من ثورات المصريين ضدها وكان مختبئة في سجادة وخرجت منها أمام أنتوني كعروس البحر في ابهي صورها، ووقع انتوني في حبها .

كان مارك أنتوني متزوجا من أوكتافيا أخت أوكتافيوس (أغسطس) وكان القانون يمنع الرومان من التزوج بغير رومانية وهنا ظهرت مشكله ارتباطه بكليوباترا فأصبح حليفاً لها بدلاً من أن يضم مصر للإمبراطورية الرومانية. و كان ذلك سببا في العداوة بين أغسطس وأنطونيوس لأن أوكتافيا كانت أخت أغسطس. تم تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى شرق وغرب، وكان الشرق بما فيه مصر من نصيب أنطونيوس، وكان طبيعيا أن تصبح كليوباترا تحت سلطة السيد الجديد أنطونيوس، فلتحاربه بسلاح الحب والجمال. ولم تنتظر حتى يأتي إليها في الإسكندرية، ولكنها أبحرت على متن سفينة فرعونية ذهبية مترفة من الشواطئ المصرية، وكان أنطونيوس قد أرسل في طلبها عام ٤١ ق.م عندما وصل إلى مدينة ترسوس في كيليكية، وذلك ليحاسبها على موقفها المتردد وعدم دعمها لأنصار يوليوس قيصر.

أعجبت كليوبترا بأنطونيوس ليس فقط لشكله حيث كان وسيما (على حد قول المؤرخين) لكن أيضا لذكائه لأن كل التوقعات في هذا الوقت كانت تؤكد فوز أنطونيوس، من ثم أعد أنطونيوس جيشا من أقوى الجيوش وتابعت كليوباترا الجيش عن كثب وتابعت خطة الحرب .

جرت معركة أكتيوم البحرية الفاصلة غربي اليونان وقررت مصير الحرب. خسر أنطونيوس كثيرا من سفنه في محاولته كسر الحصار الذي ضُرب حوله، وتسارعت الأحداث وعملت كليوباترا كل ما في وسعها لتفادي الكارثة بعد وصول أنباء الهزيمة إلى مصر. قام أنطونيوس بمحاولة يائسة للتصدي لقوات أوكتافيانوس، قيصر روما الجديد، وقد وصلت إلى مشارف الإسكندرية في صيف عام ٣٠ ق.م.وإنهزمت قوات أنطونيوس، وعندما بلغه نبأ كاذب بموت كليوباترا فضّل الموت على الحياة .

و في فجر أحد أيام منتصف أغسطس ٣٠ ق. م قدم أحد خدام الملكة كيلوباترا ثعبان الكوبرا ((يرجح أنها كوبرا مصرية)) وكان هذا الثعبان هو وسيلة انتحارها بعد أن سمعت بهزيمة زوجها القائد الرومانى مارك أنطونيوس في الحرب. كان ثعبان الكوبرا السامة قد ظل شعاراً للملكية في العصر البطلمى تعلو هامات الملوك.استخدمت في إنتحارها اثنان من الثعابين إذا جاز لنا أن نصدق قول الشعراء الرومان فرجيل وهوراس وبروبيرتيوس **Propertius**، وقد ذكر بعض المؤرخين أن الكتف الملكية اليسرى هي التي تلقت اللدغة الأولى القاتلة، وقال آخرون أنه ثدى كليوباترا الأيسر العارى. انتحرت كليوباترا في حالة اليأس هذه بأن وضعت حية سامة على صدرها، وكان الغازى الجديد أوكتافيوس قيصر يأمل أن تسير الملكة التي تحكم مصر في موكب نصرته في روما ولكنه سرعان ما دفن جثمانها وأتجه لتنظيم الحكومة، فأعلن ضمه مصر لسلطان الشعب الرومانى، وجاء أعلانه في جملة قصيرة للغاية لا تضم أكثر من خمس كلمات. بعد وفاة كليوباترا قتل الرومان ابنها قيصرون خشية أن يطالب بالإمبراطورية الرومانية كوريث ليوليوس قيصر وولي لعهده .

الفصل الثالث

العصر الرومانى

بعد سقوط دولة البطالمة وإعلان مصر ولاية تابعة للدولة الرومانية لم يكن الهم الأول للقيصر الروماني وقتها الا وهو السيطرة على مصر لمجرد انها منهل للعديد من الثروات.

أسقطت ثورة الشعب الروماني الملك الطاغية تارلينيوس واعتبر الرومان عام ٥٠٩ ق.م مفترقاً أساسياً في حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأطلقوا عليه اسم عام المجد وكان ذلك بعد سلسلة من الأحداث السياسية والعسكرية التي لا تزال غامضة حتى وقتنا الحاضر. توصل الشعب الروماني إلى تنظيم جديد للسلطة في روما، وابتداءً من ذلك التاريخ بدأت العملية الفعلية لبناء الإمبرطورية الرومانية، فعملوا على التوسع الجغرافي حيث وضعوا نصب أعينهم هدفاً أساسيا ينحصر في التوسع الجغرافي باستخدام القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية، ورأوا أن هذه الطريقة هي الأفضل لتحقيق طموحات هذه الدولة الفتية، فبدأوا بحروب شبيهة بالغزوات القبلية المحدودة تستهدف إخضاع العشائر والعائلات المحيطة بروما وكان ذلك خلال مراحل قيام الجمهورية الأولى التي قامت بتأسيس الإمبراطورية الرومانية، ثم بدأت مرحلة قيام الجمهورية الثانية التي شهدت تحول الدولة الصاعدة من قوة لاتينية داخل شبه الجزيرة الإيطالية إلى قوة عسكرية عالمية تتأثر بمايجري وتؤثر في مركز العالم القديم (حوض البحر الأبيض المتوسط)، وفي هذه المرحلة انتهت حروب روما داخل شبه الجزيرة الإيطالية، وبدأت حروب الرومان مع الفينيقيين القرطاجيين الذين كانت عاصمتهم مدينة قرطاجة الكائنة في شمال أفريقيا، وقد سميت هذه الحروب بالحروب البونيقية .

حكومة مصر (الرومية) لم يكن لها إلا غرض واحد، وهو أن تبتز الأموال من الرعية لتكون غنيمة للحاكمين، ولم تهتم بأن تجعل قصد الحكم توفير الرفاهية للرعية أو ترقية حال الناس والعلو بهم في الحياة أو تهذيب نفوسهم أو إصلاح أمور أرزاقهم. فكان الحكم على ذلك حكم الغرباء لا يعتمد إلا على القوة ولا يحس بشيء من العطف على الشعب المحكوم.

أوغسطس ٢٧ق.م- ١٤م

هو جايوس أوكتافيوس ابن أخ يوليوس، واتخذه له إبناً بالتبني، وبعد مقتل يوليوس اشترك أوكتافيوس مع أنطونيوس ولبيدوس في الحكم فترة من الوقت، وبعد هذا حارب أوكتافيوس أنطونيوس وأنتصر عليه في معركة إكتيوم البحرية سنة ٣١ق.م. وعلى إثر هذه المعركة انتحر أنطونيوس وكليوباترا بعد حصار الإسكندرية. وبعد هذا إنفرد اوكتافيوس بالحكم، وفي سنة ٢٧ق.م منحه مجلس الشيوخ لقب أوغسطس وهو اسم لاتيني معناه (الجدير بالاحترام كإله) واللقب يلمح بالألوهية. وقد توارث هذا اللقب القياصرة من بعده، ومنهم نيرون الإمبراطور الذي لقب في ذلك الوقت بالأوغسطس. وأعلن أوغسطوس قيصر الإمبراطورية سنة ٢٣ق.م. وفي مدة حكمه وُلِدَ المسيح.

طيباريوس ١٤م- ٣٧م

كان ابناً بالتبني لأوغسطس. كان حاد الطباع، وقد طرد اليهود من روما لفترة ما. وقد بنى الوالي هيرودس أنتيباس مدينة طبرية على بحر الجليل إكراماً لاسمه. وبدأت خدمة المسيح في السنة الخامسة عشرة من حكمه. وكانت عملة الجزية التى قدمها اليهود للمسيح تحمل صورته والكتابة التي كانت عليها ترجمتها "طيباريوس قيصر ابن أوغسطس الإلهي". وصلب المسيح في أيامه حيث كان بيلاطس البنطي والياً على اليهودية. وقد مال في أواخر أيامه للقسوة والديكتاتورية وعجل كاليجولا خليفته باغتياله.

كاليجولا ٣٧م- ٤١م

كان مضطرباً ذهنياً كمجنون. وكانت أيامه أسوأ أيام الإمبراطورية. أصر على إقامة تمثال هائل له في أورشليم جلب حقد اليهود عليه، واغتاله جنوده سنة ٤١م.

كلوديوس ٤١م- ٥٤م

كان قديراً كإمبراطور، وسع الإمبراطورية، فضم موريتانيا وأعلن اليهودية ولاية رومانية وغزا بريطانيا. بدأ حكمه بالعطف على اليهود، ثم طردهم مع جماعة من المسيحيين من روما. حدثت في أيامه عدة مجاعات منها المجاعة العظيمة التي دامت ثلاث سنين وتنبأ بها أغابوس، وقد وقع كلوديوس ضحية تآمر نساء القصر فقتلته الإمبراطورة أجريبينا سنة ٥٤م لتضمن خلافة العرش لابنها نيرون إذ كانت آمالها أن تتخذه أداة تحكم هي بها المملكة.

نيرون ٥٤م- ٦٨م

كان إبناً لكلوديوس بالتبني. بدأ حكمه بفترة من الحكم الصالح وذلك بتأثير معلمه الفيلسوف سينيكا. ولكن الشاب الصغير نيرون الذي صار سيداً للعالم وهو في سن السادسة عشرة سرعان ما انقلب إلى كابوس مخيف واشتهر بالفساد والفجور، تملكته الرغبة في أن يبرع كمغني ولاعب قيثارة وسائق عربة حربية، وإندفع للهو والفساد، وسادت أيامه الاغتيالات والمؤامرات، وكان من ضحيتها أمه أجريبينا التي ماتت وهي تلعن ابنها بل قتل معلمه سينيكا. وأشهر جرائمه أنه أحرق روما سنة ٦٤م. فلقد احترقت عشرة أحياء من جملة ١٤ حياً في المدينة. وكان في خياله أن يبني روما من جديد. وبينما كانت النيران تتصاعد بعنف وصراخ الضحايا يرتفع إلى أجواء المدينة كان نيرون جالساً في برج مرتفع يتسلى بمنظر الحريق وبيده آلة طرب يغني عليها أشعار هوميروس في وصف حريق طروادة. وقد هلكت آلاف عديدة من البشر في هذا الحريق. وحينما امتدت أصابع الاتهام له جعل من المسيحيين كبش فداء واتخذ الحادثة ذريعة لبداية اضطهاد دموي للكنيسة استمر أربع سنوات تجرع فيها المسيحيون كل صنوف التعذيب الوحشية التي لم تنته إلا بموته. (انظر المزيد عن هذا الموضوع هنا في موقع الأنبا تكلا في أقسام المقالات و التفاسير الأخرى). وكان من ضحاياه الرسولان بطرس وبولس اللذان استشهدا سنة ٦٨م. وبصفة عامة سادت في عهده الفوضى والجريمة فأعلنه مجلس الشيوخ عدواً للشعب. ولقى حتفه منتحراً في

عام ٦٨م مخلفاً وراءه حالة من الإفلاس والفوضى نتيجة بذخه الشديد وكثرة الحروب الأهلية في مدة حكمه. ونيرون هو القيصر الذي أشار إليه سفر الأعمال (٢٥:٢١، ٢٦:٣٢).

فسباسيان ٦٩م- ٧٩م

أعلن فسباسيان إمبراطوراً على روما سنة ٦٩م أثناء ثورة اليهود في فلسطين فأسند إلى ابنه الأكبر تيطس مهمة إخمادها، فحاصرها حصاراً رهيباً ثم سقطت في يده فخربها وخرب جنوده الهيكل، وحملت كنوزه، خاصة المنارة الذهبية ومائدة خبز الوجوه الذهبية وعرضوها في مواكب إنتصار تيطس وفسباسيان. وكان سقوط أورشليم سنة ٧٠م وتم تأليه فسباسيان بأمر من مجلس الشيوخ بعد موته.

تيطس ٧٩م- ٨١م

فاق أباه في شعبيته أثناء مدة حكمه القصيرة وعُرِف باسم حبيب الجنس البشري.

دوميتيان ٨١م- ٩٦م

هو الابن الأصغر لفسباسيان، كان إدارياً قديراً عظيماً طوال فترة حكمه، ولكنه كان مستبداً. كان يخاطب "بمولانا وإلهنا" واغتيل في مؤامرة سنة ٩٦م. وقد أثار دوميتيان إضطهاداً عنيفاً ضد المسيحيين وهو الذي أمر بإلقاء يوحنا اللاهوتي الحبيب تلميذ المسيح في زيت مغلي ثم نفاه إلى جزيرة بطمس .

الباب الثالث

الفتح الاسلامي

في عهد الخليفة عمر بن الخطاب قام القائد العربي المسلم عمرو بن العاص بضم مصر لدولة الخلافة الإسلامية فيما عرف بالفتح الإسلامي لمصر بعد أن أتم ضم فلسطين بعد أن كانت تابعة للرومان وكان يهدف لتأمين الفتوحات. كان الخليفة عمر بن الخطاب يخشى على الجيوش الإسلامية من الدخول لإفريقيا ووصفها بأنها مفرقة، أما القائد عمرو بن العاص فكان مغرما بمصر قبل الإسلام، وبعد أن حقق انتصارا على الروم في معركة أجنادين استأذن الخليفة في غزو مصر الذي أبدى الرفض في البداية، وما لبث أن وافق عمرو بن العاص وأرسل له الإمدادات.

وتوجه عمرو بن العاص بجيشه صوب مصر عبر الطريق الحربي البري مجتازا سيناء مارا بالعريش والفرما، ثم توجه إلي بلبيس والتي كانت حصينة، وشهدت معارك عنيفة، ثم حاصر حصن بابليون واستولى عليه . كان يحكم مصر ذلك الوقت الرومان متخذين من الإسكندرية عاصمة للبلاد وقد أقاموا حصوناً عسكرية بطول البلاد وعرضها بها حاميات رومانية .كان أقوى هذه الحصون حصن بابليون الذي ما أن سقط حتى تهاوت باقي الحصون في الدلتا والصعيد أمام الجيوش الإسلامية، وتم لعمرو بن العاص الاستيلاء على مصر بسقوط الإسكندرية في يده عام 21هـ. عقد مع الروم معاهدة انسحبوا على أثرها من البلاد وأنتهي الحكم الروماني لمصر وبدأ الحكم الإسلامي بعصر الولاة وكان عمرو بن العاص أول الولاة المسلمين. وتختلف الرويات الإسلامية والقبطية في سرد حوادث الفتح وتجمع على أن الرومان عذبوا المصريين أثناء حكمهم وجعلوا مصر ضيعة للإمبراطور الروماني وعرفت بمخزن غلال روما وكان اختلاف عقيدة المصريين عن حكامهم سببا في اضطهادهم من قبل الرومان مرتين مرة لاختلاف الدين

فالدولة الرومانية كانت وثنية والمصريين مسيحيين ولما أعترفت الدولة الرومانية بالمسيحية أعتنق الرومان مذهباً مغايرا للمذهب مسيحي مصر .

عُين ولاة مصر الإسلامية من قبل الخلفاء الراشدين، ففى عهد الخليفة عمر بن الخطاب تولى مصر كل من :

عمرو بن العاص

أحد فرسان قريش وأبطالها، وهو من أذكى رجال العرب، وأشدهم دهاءً وحيلة. أسلم قبل فتح مكة، وكان سبب إسلامه أنه كان كثير التردد على الحبشة، وكان صديقًا لملكها النجاشي، فقال له النجاشي ذات مرة: يا عمرو، كيف يغرب عنك أمر ابن عمك؟ فوالله إنه لرسول الله حقًا. قال عمرو: أنت تقول ذلك؟ قال: أي والله، فأطعني.

فخرج عمرو من الحبشة قاصدًا المدينة، وكان ذلك في شهر صفر سنة ثمان من الهجرة، فقابله في الطريق خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة، وكانا في طريقهما إلى النبي فساروا جميعًا إلى المدينة، وأسلموا بين يدي رسول الله ، وبايعوه .

أرسل إليه الرسول يومًا فقال له: خذ عليك ثيابك، وسلاحك، ثم ائتني، فجاءه، فقال له رسول الله : " أني أريد أن أبعثك على جيش، فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك رغبة صالحة من المال" فقال: يا رسول الله، ما أسلمتُ من أجل المال، ولكنى أسلمتُ رغبة في الإسلام، ولأن أكون مع رسول الله ... فقال: "نعم المال الصالح للرجل الصالح" .

وكان عمرو بن العاص مجاهدًا شجاعًا يحب الله ورسوله، ويعمل على رفع لواء الإسلام ونشره في مشارق الأرض ومغاربها، وكان رسول الله يعرف لعمرو شجاعته وقدرته الحربية، فكان يوليه قيادة بعض الجيوش والسرايا، وكان يحبه ويقربه، ويقول عنه: "عمرو بن العاص من صالحي قريش، نعم أهل البيت أبو عبد الله، وأم عبد الله، وعبد الله" .

وقد وجه رسول الله سرية إلى ذات السلاسل في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة، وجعل أميرها عمرو بن العاص رضي الله عنه، وقد جعل النبي عمرو بن العاص واليًا

على عُمان، فظل أميرًا عليها حتى توفي النبي . وقد شارك عمرو بن العاص في حروب الردة وأبلى فيها بلاءً حسنًا .

وفي عهد الفاروق عمر –رضي الله عنه– تولى عمرو بن العاص إمارة فلسطين، وكان عمر يحبه ويعرف له قدره وذكاءه، فكان يقول عنه: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميرًا. ، وكان عمر إذا رأى رجلاً قليل العقل أو بطيء الفهم يقول: خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد .

وكان عمرو يتمنى أن يفتح الله على يديه مصر، فظل يحدث عمر بن الخطاب عنها، حتى أقنعه، فأمَّره الفاروق قائدًا على جيش المسلمين لفتح مصر وتحريرها من أيدي الروم، فسار عمرو بالجيش واستطاع بعد كفاح طويل أن يفتحها، ويحرر أهلها من ظلم الرومان وطغيانهم، ويدعوهم إلى دين الله عز وجل، فيدخل المصريون في دين الله أفواجًا. وأصبح عمرو بن العاص واليًا على مصر بعد فتحها . وقد أرسل عمرو بن العاص برسالة إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – يصف فيها مصر و كان نصها كالآتي:

"اعلم يا أمير المؤمنين أن مصر قريةُ غبراء، وشجرة خضراء، طولها شهر، وعرضُها عشر، يكنفها جبل أغبر، ورمل أعفر، يخط وسطها نيلُ مبارك الغدوات، ميمون الروحات، تجرى فيه الزيادة والنقصان كجري الشمس والقمر، له أوان يدر حلابه، ويكثر فيه ذبابه، تمدّه عيون الأرض وينابيعها، حتى إذا اضلخمّ عجاجه، وتعظمت أمواجه، خاصة على جانبيه فلم يمكن التخلص من القرى بعضها إلى بعض الا في صغار المراكب، وضفاف القوارب، وزوارق كأنهن في المخايل ورقّ الأصائل، فإذا تكامل في زيادته نكص على عقبيه كأول ما بدأ في جريته، وطما في درته، فعند ذلك يخرج أهل ملّة محقورة وذمة مخفورة، يحرثون بطن الأرض، ويبذرون بها الحب يرجون بذلك النماء من الرب، لغيرهم ما سعوا من كدّهم، فناله منهم بغير جدّهم فإذا أحدق الزرع وأشرق، سقاه الندى وغذّاه من تحته الثرى .

فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء، إذا هي عنبرة سوداء، فإذا هي زمردة خضراء، فإذا هي ديباجة رقشاء، فتبارك الله الخالق لما يشاء الذي يصلح هذه البلاد وينميها ويقرّ قاطنيها فيها ألا يُقبل قول خسيسها في رئيسها، وألا يستأدى خراج ثمرة إلا

في أوانها، وأن يصرف ثلث ارتفاعها في عمل جسورها وترعها، فإذا تقرّر الحال مع العمال في هذه الأحوال، تضاعف ارتفاع المال، والله تعالى يوفق في المبدأ والمآل."

ومن أهم أعمال عمرو بن العاص في مصر أنه أنشأ مدينة الفسطاط، وبنى المسجد الجامع الذي يعرف حتى الآن باسم جامع عمرو، وكان شعب مصر يحبه حبًا شديدًا، وينعم في ظله بالعدل والحرية ورغد العيش، وكان عمرو يحب المصريين ويعرف لهم قدرهم. ظل عمرو بن العاص واليًا على مصر حتى عزله عنها عثمان بن عفان –رضي الله عنه–، ثم توفي عثمان، وجاءت الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية –رضي الله عنهما–، فوقف عمرو بن العاص بجانب معاوية، حتى صارت الخلافة إليه، فعاد عمرو إلى مصر مرة ثانية. وتوفي عمرو – رضي الله عنه، وقد تجاوز عمره (٩٠) عامًا .

أما أثناء خلافة عثمان بن عفان التي بدأت فى سنة ٦٤٤م ولى مصر :

– عبد الله بن سعد ٦٤٦م .

وبعد مقتل عثمان وتولي على بن أبى طالب أميرا للمؤمنين في العام ٦٥٦م ولى على مصر كل من :

– محمد ابن حذيفة فى ٦٥٧م

– قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى حيث صرف عنها بعد شهور ٦٥٧م .

– محمد بن أبى بكر الصديق فى ديسمبر ٦٥٧م وحتى يوليو ٦٥٨م .

وبعد قيام الدولة الأموية (٤٩ هـ / ٦٦١م – ١٣٢هـ – ٧٥٠م) نقل معاوية بن أبى سفيان عاصمة الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى دمشق وحكم مصر فى عهده كل من:

– عمرو بن العاص للمرة الثانية ٦٥٩ – ٦٦٤م .

– عقبة بن عامر ٦٦٥ – ٦٦٧م .

– مسلمة بن مخلد الأنصارى ٦٦٧ – ٦٨٢م .

ثم خلف يزيد بن معاوية أباه على امرة المسلمبن ليعين على مصر :

– سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدى ٦٨٢ – ٦٨٤م .

– عبد الرحمن بن عتبه بن جحرم الفهرى ٦٨٤م .

في بويع مروان بن الحكم بالشام فى ٦٨٤م ودخل مصر. تولى الخلافة عبد العزيز بن مروان في فبراير ٦٨٥. بويع عبد الملك بن مروان في العام ٦٨٥م وظل أميرا للمؤمنين حتى يونيو ٧٠٥م وتولى حكم مصر أخوه الوليد بن عبد الملك. بعد وفاة امير المؤمنين عبد الملك بن مروان فى سبتمبر ٧٠٥م بويع الوليد بن عبد الملك اميرا للمؤمنين حيث تولى مصر قرة بن شريك العبسى ٧٠٩ – ٧١٤م، ثم عبد الملك بن رفاعه الفهمى ٧١٤ – ٧١٧م .

توفى الوليد بن عبد الملك فى فبراير ٧١٧م واستخلف سليمان بن عبد الملك الذى توفى فى نفس السنة، ثم بويع عمر بن عبد العزيز بن مروان أميرا للمؤمنين ولقب خامس الخلفاء الراشدين. وحكم مصر في عهدة :

– أيوب بن شرحبيل من قبل عمر ٧١٧ – ٧٢٠م .

توفى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في يناير ٧٢٠م واستخلف يزيد بن عبد الملك وحكم مصر فى عهده كل من :

– بشر بن صفوان الكلبى ٧٢٠ – ٧٢١م .

– حنظلة بن صفوان الكلبى ٧٢١ – ٧٢٤م .

توفى يزيد بن عبد الملك فى يناير ٧٢٤م، وبويع هشام بن عبد الملك أميراً للمؤمنين وتولى مصر فى عهده كل من :

– محمد بن عبد الملك بن مروان، ومكث شهرا واحدا .

– الحر بن يوسف ٧٢٤ – ٧٢٧م.

– الوليد بن رفاعة بن الفهمى ٧٢٧ – ٧٣٥م .

– عبد الرحمن بن الفهمى ٧٣٥م .

– حنظله بن صفوان الكلبى ٧٣٧ – ٧٤١م .

– حفص بن الوليد بن الحضرمى ٧٤١ – ٧٤٤م .

توفى هشام بن يزيد بن عبد الملك في مارس ٧٤٣م وبويع ابنه يزيد ولكنه توفى فى نفس السنه سبتمبر ٧٤٣م وبويع أخوه إبراهيم بن الوليد لمدة شهرين .. ثم خلفه مروان بن محمد بن عبد الملك وبويع أميرا للمؤمنين فى نوفمبر ٧٤٣م .

وتولى مصر فى عهده كل من :

- حسان بن عتاهيه مارس ٧٤٤م (لمدة أيام) م .
- حفص بن الوليد الحضرمى ٧٤٤ – ٧٤٥م .
- الحوثرة بن سهيل الباهلى ٧٤٥ – ٧٤٩م .
- المغيرة بن عبيد الفزارى ٧٤٩م .
- عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير ٧٥٠م .

وكانت نهاية الدولة الاموية فى دمشق والشرق على يد العباسيين أغسطس ٧٥٠م حيث دخل صالح بن على الفسطاط فى أغسطس 750م، بينما انتقلت الخلافة الأموية والتى اسسها عبد الرحمن الأموى المعروف بصقر قريش إلى بلاد الأندلس حيث بقيت حتى (١١٩٢) م .

الدولة العباسية

١٣٢هـ / ٧٥٠م - ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م

تولى بنو العباس مقاليد الحكم فى الدولة الإسلامية واتخذوا بغداد عاصمة للخلافة، وكما هى العادة كانت مصر أهم ولايات الدولة وأقواها وأغناها.. وقد حاول بعض الولاة الاستقلال بمصر قرب نهاية الدولة العباسية .

وقد ولى مصر فى عهد ابو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس كل من:

– صالح بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ٧٥٠م .
– أبو عون عبد الملك بن يزيد ٧٥١م .
– صالح بن على بن عبد الله ٧٥٣ – ٧٥٥م .

توفى أبوالعباس في العام ٧٥٤م واستخلف أبو جعفر المنصور وأمر صالح بن على ليتولى ولاية مصر .

– أبو عون عبد الملك بن يزيد ٧٥٥م .
– موسى بن كعب بن عيينه ٧٥٨م .
– محمد بن الأشعث الخزاعى ٧٥٩م .
– حميد بن قحطبة ٧٦٢م .
– يزيد بن حاتم المهلبى ٧٦٢ – ٧٦٨م .
– عبد الله بن عبد الرحمن بن حديج ٧٦٨ – ٧٧٢م .

توفى أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور في العام ٧٧٥م وبويع الخليفة محمد أبو عبد الله المهدى بن المنصور ولقب بالمهدى، وتولى ولاية مصر في عهدة كل من :

– عيسى بن لقمان الجمحى ٧٧٨ – ٧٧٩م .
– واضح مولى ابو جعفر ٧٧٩م .
– منصور بن يزيد بن منصور الرعينى ٧٧٩م .
– يحيى بن داود الحرشى ٧٧٩ – ٧٨٠م .
– سالم بن سوادة التميمى ٧٨٠ – ٧٨٤م .
– موسى بن مصعب ٧٨٤م – ٧٨٥م .
– عسامه بن عمر المعافرى .
– الفضل بن صالح بن العباسى يوليو ٧٨٥م .

توفى المهدى وبويع موسى بن المهدى ولقب بالهادى وتولى مصر فى عهده :

- على بن سلمان العباسى ٧٨٦ – ٧٨٧م.

توفى الهادى وبويع هارون الرشيد فى ٧٨٦ وتولى مصر في عهدة كل من :

- موسى بن عيسى بن العباسى ٧٨٧ – ٧٨٩م .
- مسلمه بن يحيى البجلى ٧٨٩ – ٧٩٠م .
- محمد بن زهير الأزدى ٧٩٠م .
- داود بن يزيد المهلبى ٧٩٠م .
- موسى بن عيسى ٧٩١م .
- إبراهيم بن صالح بن عبد الله العباسى ٧٩٢م .
- عبد الله بن المسيب بن زهير ٧٩٢م .
- اسحاق بن سليمان رجب ٧٩٣ – ٧٩٤م .
- هرثمة بن أعين ٧٩٤م .
- عبد الملك بن صالح بن على العباسى .
- عبد الله بن المسيب العباسى فى ٧٩٥م .
- عبد الله بن المهدى العباسى ٧٩٥م .
- موسى بن عيسى بن العباسى ٧٩٦ – ٧٩٧م .
- اسماعيل بن عيسى العباسى ٧٩٧ – ٧٩٨م .
- الليث بن الفضل ٧٩٨ – ٨٠٣م .
- احمد بن اسماعيل بن عبد الله العباسى ٨٠٣ – ٨٠٥م .
- عبد الله بن محمد العباسى ٨٠٥ – ٨٠٦م .
- الحسين بن جميل ٨٠٦ – ٨٠٨م .
- مالك بن دلهم الكلبى ٨٠٨ – ٨٠٩م .
- الحسن بن التختاخ ٨٠٩م .

توفى هارون الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين ٨٠٩م، وتولى مصر في عهده :

– حاتم بن هرثمة بن أعين ٨١٠ – ٨١١م .

– جابر بن الأشعث الطائى ٨١١م .

إلا أن محمد الأمين قد خلع و بويع على خلافة المسلمين المأمون في العام ٨١٢م وتولى مصر في عهده كل من :

– عباد بن محمد حيان ٨١٢ – ٨١٣م .

– المطلب بن عبد الله الخزاعى ٨١٤م .

– العباس بن موسى بن عيسى العباسى ٨١٤م .

– السرى بن الحكم ٨١٥م .

– سليمان بن غالب بن جبريل ٨٦١م .

– ابو النصر بن السرى ٨٢٠ – ٨٢٢م .

– عبد الله بن السرى (بايعه الجند) ٨٢٢م .

– عبد الله بن طاهر بن الحسين ٨٢٦ – ٨٢٧م .

– عيسى بن يزيد الجلودى ٨٢٩م .

– عمير بن الوليد ٨٢٩م .

– عبدوية بن جبلة ٨٣٠ – ٨٣١م .

– عيسى بن منصور ٨٣١م .

قدم أمير المؤمنين المأمون لزيارة مصر فى ٨٣٢م حيث ولى حكم مصركيدر نصر بن عبد الله ٨٣٢ – ٨٣٤م .

وتوفى المأمون بأرض الروم فى اغسطس ٨٣٣م وتولى امارة المؤمنين ابو اسحاق محمد المعتصم بن الرشيد وتولى مصر فى عهده :

– مظفر بن كيدر ٨٣٤م .

ثم صرفت مصر الى ابى جعفر اشناس واصبح من حقه تعيين ولاتها حيث ولى حكم مصر كل من :

– مالك بن كيدر ٨٣٩ – ٨٤١م .

– على بن يحيى ارمنى ٨٤١– ٨٤٣م .

و توفى أمير المؤمنين أبو إسحاق المعتصم وبويع هارون الواثق بالله بن المعتصم فى ديسمبر ٨٤١م حيث ولى حكم مصر في عهده :

– عيسى بن منصور ٨٤٣ – ٨٤٧م .

- هرثمه بن النضر الجبلى ٨٤٨م

– حاتم بن هرثمه بن النضر ٨٤٩م

– على بن يحيى ارمنى ٨٤٩م

– اسحاق بن يحيى بن معاذ ٨٥٠م

– خوط عبد الواحد بن يحيى ٨٥١م

– عنبسه بن اسحاق الضبى، وكان أخر من ولى مصر من العرب٨٥٦م ، وصرف عنها ٨٥٦م .

الباب الرابع

الملوك المستقلون

الفصل الاول

الدولة الطولونية

(أحمد بن طولون)

فى عهد الخليفة الواثق، كانت مصر من نصيب "باكباك" التركى حيث ازداد نفوذ الأتراك، وأخذوا يتولون المناصب الكبري، ويتقاسمونها فيما بينهم .

ولكن "باكباك" فَضَّلَ أن يبقى فى العاصمة "بغداد" ويبعث من ينوب عنه فى ولاية مصر. ووقع الاختيار على أحمد بن طولون .

أحمد بن طولون

تعود جذور أحمد بن طولون إلى أصول تركية، وكان أبوه من مماليك "نوح بن أسد" والي" بخارى"؛ فأعتقه لِمَا رأى فيه من قدرة وكفاءة، ثم أرسله إلى الخليفة المأمون؛ فأعجب به، وألحقه ببلاط الخلافة، وتدرَّج في المناصب العسكرية حتى صار رئيسًا لحرس الخليفة .

وفي مدينة "بغداد" عاصمة دولة الخلافة وُلِد أحمد بن طولون في (٢٣ رمضان ٢٢٠هـ – ٢٠ سبتمبر ٨٣٥م، وعُني به أبوه عناية فائقة؛ فعلمه الفنون العسكرية، وتلقى الفقه والحديث، وتردد على حلقات العلماء ينهل منها، ورُزق حسن الصوت في قراءة القرآن، وكان من أدرس الناس له وأعلمهم به. ثم رحل إلى طرسوس بعد أن تولى بعض أمورها بناء على رغبته؛ ليكون على مقربة من علمائها الذين اشتهروا بالفقه والحديث والتفسير، وبعد رجوعه صار موضع ثقة الخلفاء العباسيين لعلمه وشجاعته، والتحق بخدمة الخليفة "المستعين بالله" في (٢٤٨-٢٥٢هـ - ٨٦٢-٨٦٦م)، وصار موقع ثقته وتقديره .

كان من عادة الولاة الكبار، الذين يعينهم الخليفة للأقاليم الخاضعة له أن يبقوا في عاصمة الخلافة؛ لينعموا بالجاه والسلطان، والقرب من مناطق السيادة والنفوذ، وفي الوقت

نفسه ينيبون عنهم في حكم تلك الولايات من يثقون بهم من أتباعهم وأقاربهم، ويجدون فيهم المهارة والكفاءة. وكانت مصر في تلك الفترة تحت ولاية القائد التركي "باكباك" زوج أم أحمد بن طولون، فأناب عنه وفقًا لهذه العادة ابن زوجته "أحمد" في حكم مصر، وأمدَّه بجيش كبير دخل مصر في (٢٣ رمضان ٢٥٤هـ -١٦ سبتمبر ٨٦٨م).

وما إن نزل أحمد بن طولون إلى مصر حتى واجهته مصاعب عديدة ومشكلات مستعصية، وشغله أصحاب المصالح بإشعال ثورات تصرفه عما جاء من أجله، لكن ابن طولون لم يكن كمن سبقه من الولاة؛ فسرعان ما اشتد نفوذه، وأخمد الفتن التي اشتعلت بكل حزم، وأجبر ولاة الأقاليم على الرضوخ له وتنفيذ أوامره، وكانوا من قبل يستهينون بالولاة، ولا بقراراتهم؛ استخفافًا بهم، ويعملون على ما يحلو لهم .

وازدادت قدم ابن طولون رسوخًا، وقويَ سلطانه بعد أن أسندت ولاية مصر إلى "يارجوخ" والد زوجة ابن طولون، فعمل على تثبيت صهره، وزاده نفوذًا بأن أضاف إليه حكم الإسكندرية. ولم يكتفِ ابن طولون بما حقق من نفوذ في مصر؛ فتطلع إلى أن تكون أعمال الخراج في يده. وكان عامل الخراج يُعيَّن من قِبَل الخليفة العباسي، ولم يكن لوالي مصر سلطان عليه، غير أن أحمد بن طولون نجح في أن يستصدر من الخليفة "المعتمد على الله" في (٢٥٦، ٢٧٩هـ - ٨٧٠، ٨٩٢م) قرارًا بأن يضيف إليه أعمال الخراج؛ فجمع بهذا بين السلطتين المالية والسياسية، وقويت شوكته، وعظم سلطانه، وكان أول عمل قام به أن ألغى المكوس والضرائب التي أثقل بها عامل الخراج السابق كاهل الشعب.

ولما كثرت اعتداءات الدولة البيزنطية على ثغور الشام في أنطاكية وطرسوس والمصيصة، وغيرها.. لم يجد الخليفة المعتمد أفضل من ابن طولون يوليه أمر الشام؛ لدفع هذا الخطر، ورد البيزنطيين، خاصة أن دولة الخلافة كانت مشغولة بالقضاء على فتنة للزنج في البصرة، حيث شبت كالحريق الهائل، وأصبحت تهدد كيان الدولة وتهز أركانها .

وفي سنة (٢٦٤هـ - ٨٧٨م) خرج ابن طولون بحملة عسكرية إلى الشام لتثبيت نفوذه وتأديب البيزنطيين وحماية حدود الدولة الشمالية، وفي هذه الحملة دخلت في طاعته مدن الشام الكبرى كدمشق، وحمص، وحلب، وأنطاكية. واصل ابن طولون زحفه حتى مدينة الرقة، وبينما هو يستعد لمحاربة البيزنطيين وافته الأنباء بأن ابنه العباس، الذي تركه في مصر

نائبًا عنه، قد أعلن الثورة عليه، وانفرد بالحكم دونه؛ فقفل راجعًا إلى مصر، وحاول بالطرق السلمية أن يضع حدًّا لهذه المشكلة مع ابنه، الذي فرّ مع أتباعه إلى برقه بليبيا، ونصحه بالعودة إليه، ووعده بالعفو عنه، لكنه ركب رأسه وغرَّته قوته، ورفض النصح، ولم يعد أمام ابن طولون سوى سلاح القوة، بعد أن أخفقت سياسة اللين، فنجح في القبض عليه، والزجّ به في السجن سنة (٢٦٨هـ – ٨٨٢م).

وعلى الرغم من أن "المعتمد على الله" كان يتولى منصب الخلافة فإنه لم يكن له من الأمر شيء!! وكانت مقاليد الأمور في يد أخيه "الموفق" ولي عهده. وحاول ابن طولون بعد أن امتد سلطانه، واتسع نفوذه أن يغري الخليفة المعتمد بالقدوم عليه في مصر، وأن يجعل من مصر مقرًا لدولة الخلافة؛ فكتب إليه بهذا الشأن في سنة (٢٦٨هـ – ٨٨٢م)، ووعده بالنصر والحماية، لكن الخليفة لم يُجبه إلى عرضه إلا بعد ذلك بعام، فأرسل إليه يخبره أنه خارج إليه، وكان ابن طولون في دمشق يستعد لقمع فتنة شبَّتْ في طرسوس، غير أن محاولة الخليفة اللحاق بأحمد بن طولون فشلت، وتمكن الموفق من رد الخليفة إلى "سامراء" عاصمة الخلافة، وإثنائه عن محاولته .

وترتب على هذا أن قام الموفق بعزل ابن طولون عن مصر، لكن القرار لم يلقَ قبولاً من ابن طولون الحاكم القوي وصاحب النفوذ والسلطان. لم يكتفِ ابن طولون بعدم التنفيذ، بل عقد اجتماعًا في دمشق جمع فيه القضاة والفقهاء والأشراف من أنحاء ولايته، وأعلن خلع الموفق عن ولاية العهد؛ لتحكمه في الخليفة الشرعي واستبداده بالأمر دونه، وكتب بذلك إلى عماله في أنحاء مصر والشام، غير أن صوت العقل تدخل بين الطرفين، وعُقد بينهما صلح، وأقر ابن طولون على ما تحت يديه من البلاد .

كان أحمد بن طولون رجل دولة من الطراز الأول؛ فعُنيَ بشؤون دولته؛ وما يتصل بها من مناحي الحياة، ولم تشغله طموحاته في التوسع وزيادة رقعة دولته عن جوانب الإصلاح والعناية بما يحقق الحياة الكريمة لرعيته؛ ولذا شملت إصلاحاته وإسهاماته شؤون دولته المختلفة .

وكان أول ما عُني به هو إنشاء عاصمة جديدة لدولته شمالي "الفسطاط" سنة (٢٥٦هـ – ٨٧٠م) عُرِفت بـ"القطائع"، وقد بناها على غرار نظام مدينة "سامراء" عاصمة

الخلافة العباسية، واختار مكانها على جبل "يشكر" بين الفسطاط وتلال المقطم، وبنى بها قصرًا للإمارة، وجعل أمامه ميدانًا فسيحًا يستعرض فيه جيوشه الجرارة، ويطمئن على تسليحها وإعداده. ثم اختطّ حول القصر ثكنات حاشيته وقواده وجنوده، وجعل لكل فئة من جنوه قطعة خاصة بهم؛ فللجنود من السودان قطعة، وللأتراك قطعة، وكذلك فعل مع أرباب الحرف والصناعات. ومن هنا جاءت تسمية المدينة الجديدة بـ"القطائع"، وهي العاصمة الثالثة لمصر بعد الفسطاط والعسكر .

وأنشأ في وسط المدينة مسجده المعروف باسمه إلى اليوم؛ وهو من أكبر المساجد، وتبلغ سعته ٨٤٨٧ مترًا مربعًا، ولا يزال شاهدًا على ما بلغته الدولة الطولونية من رقي وازدهار في فنون العمارة، ويعد من أقدم الأبنية الإسلامية التي بقيت على ما كانت عليه. واشتهر المسجد بمئذنته الملوية التي تشبه مئذنة مسجد سامراء. وقد انتهى ابن طولون من بنائه سنة (٢٦٥هـ – ٨٧٩م)، وبلغ من عنايته به أن عين له طبيبًا خاصًّا، وجعل به خزانة بها بعض الأدوية والأشربة لإسعاف المصلين من رواد المساجد في الحالات الطارئة .

وأنشأ ابن طولون "بيمارستانا" سنة (٢٥٩هـ – ٨٧٣م) لمعالجة المرضى مجانًا دون تمييز بينهم؛ حيث يلقون عناية فائقة، وتقدَّم لهم الأدوية، ويُستبقَى منهم من يحتاج إلى رعاية ومتابعة داخل البيمارستان. ولم يكن المرضى يدخلون بثيابهم العادية، وإنما كانت تقدم لهم ثياب خاصة، كما هي الحال الآن، وكان المريض يودع ما معه من مال وحاجات عند أمين البيمارستان، ثم يلحق بالمكان المخصص له إلى أن يتم شفاؤه فيسترد ما أودعه. وكان ابن طولون يتفقد المرضى، ويتابع أعمال الأطباء .

واهتم ابن طولون بالزراعة؛ فعُني بتطهير نهر النيل، وشق الترع، وإقامة الجسور، وشجع الفلاحين على امتلاك الأراضي حتى تزداد عنايتهم بها، وخصص لذلك ديوان الأملاك، كما أصلح مقياس النيل في الروضة لمتابعة الزيادة والنقصان في منسوب مياه نهر النيل، وأمدّ الفلاحين بما يحتاجونه من البذور والآلات الزراعية، وكان من شأن هذا أن ازدادت رقعة الأراضي حتى بلغت نحو مليون فدان .

وازدهرت الصناعة في عهده، وخاصة صناعة النسيج التي كانت أهم الصناعات في عهده، وتقدمت صناعة الورق والصابون والسكر وصناعة الأسلحة، كما نشطت التجارة في مصر والشام؛ نظرًا لموقعهما المتميز في طرق التجارة العالمية .

وكان من نتيجة هذه النهضة أن عمَّ الرخاء، وازدادت مالية الدولة، وامتلأت خزانة الدولة بفائض من المال، استغله ابن طولون في تحسين أحوال الناس المعيشية، وفي بناء جيش قوي بلغ –في بعض الروايات– مائة ألف جندي، وأنشأ أسطولاً بحريًّا لحماية شواطئ الدولة، وإقامة الحصون المنيعة في يافا والإسكندرية وعكا.

بعد عقد صلح بين ابن طولون والموفق، وحلول الصلح بينهما، زحف ابن طولون سنة ليقمع الفتنة التي شبت في طرسوس، فلما وصل إلى هناك، وكان الوقت شتاء والثلج كثيرًا، لم يعُقْه ذلك عن نصب المجانيق على سور طرسوس لإخماد الثورة، لكنه مرض ولم يستطع الاستمرار في الحصار؛ فأسرع بالعودة إلى مصر، حيث لقي ربه في (١٠ من ذي القعدة ٢٧٠هـ الموافق ١٠ من مايو ٨٨٣م .

الفصل الثاني

الدولة الإخشيدية

(محمد بن طغج الإخشيدي)

الدولة الإخشيدية، هي الدولة المصرية خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي). فعندما سقطت الدولة الطولونية عام ٢٩٢ هـ استعاد العباسيون مصر والشام (بلاد الشام)، لكن في عام ٣٢١ هـ عيّن الخلفية العباسي "محمد الإخشيد" والياً على المنطقة. وبعد ذلك بسنتين (٣٢٣ هـ) أعلن محمد استقلاله عن الخلافة العباسية وأصبح خارجاً عن سلطة العباسيين تقريباً. ومع الوقت استغل محمد بعض الفرص لإضافة المزيد من المناطق إلى دولته فاستولى على الحجاز في العام ٣٣١ هـ. وبعد ذلك حكم ٤ من أحفاده وأقاربه بعده ثم استطاع الفاطميون الاستيلاء على مصر والشام وأسقطوا بذلك الدولة الإخشيدية.

محمد بن طغج الإخشيدي

لقد أصبح "محمد بن طغج" مؤسس الدولة الإخشيدية فى مصر. وظلت الأمور على ما يرام بين محمد بن طغج الإخشيدي والخلافة العباسية حتى جاء اليوم الذى أرسل فيه الخليفة الراضى جيشًا بقيادة "محمد بن رائق" إلى الشام لانتزاع مصر من الإخشيد سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م .

وعندئذ ألغى الإخشيد اسم الخليفة العباسى من الخطبة وأعلن استقلاله بمصر، واستطاع هزيمة القائد ابن رائق والاحتفاظ بملكه سليمًا.وكان ابن رائق قد هزم محمد الإخشيدى فى بداية الأمر، وانشغل جنود ابن رائق بجمع الأسلاب، فخرج كمين لابن الإخشيد عليهم، وهزمهم، وفرقهم، وتفرغ الإخشيد بعد هزيمة قائد الخليفة إلى الداخل،

فنجح فى القضاء على الفتن والقلاقل الداخلية، وراح يعمل على دراسة أحوال العالم العربى المجاور لمصر.

أخذ محمد الإخشيدي يفكر فى وحدة تقف فى وجه العدوان الخارجى من قبل الروم. وبعد سنتين من قيام الدولة الإخشيدية ضم الإخشيد إليه الشام بعد موت ابن رائق سنة ٣٣٠هـ ؛ ليعيد القوة إلى الشرق العربي، وليتسنى له الوقوف فى وجه الروم البيزنطيين، وهنا خاف أباطرة الروم، وأسرعوا يخطبون وده كما فعلوا مع أحمد بن طولون.

وفى العام التالى لهذه الوحدة، مد الإخشيد نفوذه إلى مكة والمدينة، وراح يتولى أمر الحجاز ويشرف على الحرمين الشريفين. ولقى الإخشيد ربه سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م .

كافور الاخشيدي

وبعد وفاة محمد بن طغج تولى وزيره "أبو المسك كافور" الوصاية على ولديه الصغيرين، وأثبت هذا الوصى مقدرة فى إدارة شؤون البلاد والدفاع عنها ضد الأخطار التى تهددها من طائفة "القرامطة"، وأفلح فى القضاء عليها.

حافظ كافور على وحدة مصر والشام وبلاد العرب، وامتد سلطان الدولة الإخشيدية إلى "جبال طوروس"، فى أقصى شمال الشام وصارت قوية الجانب يرهبها البيزنطيون. وأبو المسك كافور هذا هو الذى خلع عليه الشاعر المتنبى أجمل قصائد المدح، ثم عاد وهجاه؟ نعم، إنه هو بعينه، فلقد كان المتنبى يطمع فى أن يوليه كافور "ولاية" تنافس مملكة سيف الدولة بن حمدان، فمدحه لينال رضاه، فلما لم يولِّه هجاه .

لقد بلغت إمارة كافور على مصر ثلاثًا وعشرين سنة حكم فيها باسم أبناء الإخشيد عدا سنتين انفرد فيها بالأمر وظل اسمه طوال هذه المدة موضع الهيبة والإجلال، ويدعي له من منابر المساجد من طرسوس بأطراف الشام ومصر والحجاز، ولقد كان كافور شهمًا جيد السيرة .

ترى من يخلفه بعد وفاته؟ وهل تظل الدولة الإخشيدية بعده رافعة أعلامها؟!

سقوط الدولة بعد كافور :

لقد لقي كافور ربه فخلفه "أبو الفوارس أحمد بن علي أبو الحسن" حفيد الإخشيد، وكان طفلا لم يبلغ الحادية عشرة من عمره، وكان لابد في مثل هذه الظروف أن تعود الفوضى إلى البلاد، وأن يكثر من حولها الطامعون .

واشتدت هجمات الفاطميين من بلاد المغرب على مصر حيث حاول الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الاستيلاء عليها، وعجزت الدولة العباسية عن الوقوف إلى جانب الإخشيديين، فلم يكن بد من استيلاء الفاطميين عليها سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م، ليحلوا محل الدولة الإخشيدية .

الفصل الثالث

الدولة الفاطمية

(المعز لدين الله الفاطمي)

هو المعز أبو تميم معدّ بن منصور، وهو رابع الخلفاء الفاطميين في إفريقية، وأول الخلفاء الفاطميين في مصر، والإمام الرابع عشر من أئمة الإسماعيلية. حكم من ٩٦٩ حتى ٩٧٥. وقد أرسل أكفأ قواده وهو جوهر الصقلي للاستيلاء على مصر من العباسيين فدخلها وأسس مدينة القاهرة .

ولى المعز لدين الله الخلافة الفاطمية خلفا لأبيه المنصور أبي طاهر إسماعيل، الخليفة الثالث في قائمة الخلفاء الفاطميين، وكان المعز رجلا مثقفا يجيد عدة لغات مولعا بالعلوم والآداب متمرسا بإدارة شئون الدولة وتصريف أمورها، كيسا فطنا يحظى باحترام رجال الدولة وتقديرهم .

وانتهج المعز سياسة رشيدة، فأصلح ما أفسدته ثورات الخارجين على الدولة، ونجح في بناء جيش قوي، واصطناع القادة والفاتحين وتوحيد بلاد المغرب تحت رايته وسلطانه ومد نفوذه إلى جنوب إيطاليا .

ولم تغفل عينا المعز لدين الله عن مصر، فكان يتابع أخبارها، وينتظر الفرصة السانحة لكي يبسط نفوذه عليها، متذرعا بالصبر وحسن الإعداد، حتى يتهيأ له النجاح والظفر .

كان المعز لدين الله الفاطمي محبا لمجالس الأدب ومولعا بالمناقشات الدينية ولهذا كان يجمع رجال الدين من المسلمين والمسيحيين واليهود للمناقشة في مجلسه شريطة أن يتقبل الجميع مايثار بلا غضب أو انفعال أو خصام.. وكان من ضمن أفراد هذا المجلس رجل يهودي اعتنق الإسلام لكي يصبح وزيرا في الدولة هو "يعقوب بن كلس" ويتردد أنه في إحدي هذه الجلسات التي كانت تضم كل من، .. بطريرك الأقباط في ذلك الوقت الأنبا ابرام السرياني، والوزير يعقوب بن كلس اليهودي الأصل ومعه زميل له يدعي موسي.. وفي هذه الجلسة حاول اليهوديان أن يوقعا الحاكم مع الأقباط فقالا للحاكم بأننا

وجدنا في انجيل النصاري آية تقول "إن من له إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلي هناك فينتقل ولا يكون شيئا غير ممكن " وبالتالي فعليك بصفتك الحاكم أن تطلب من البابا البطريرك أن ينقل الجبل الجاثم شرق القاهرة وإن لم يستطع يكون دينهم باطلا ويجب إبادتهم !

وقبل أن ينفض المجلس طلب الخليفة المعز من البابا إبرآم السرياني اثبات صحة هذه الآية.. أي اثبات إمكانية نقل جبل المقطم إذا صحت الآية.. وبعد أن صلي البطريرك طلب من الخليفة مهلة ثلاثة أيام حتي يثبت له هذه المعجزة .

ورجع البابا ليجمع شعبه ويطلب منهم الصوم ثلاثة أيام مع الصلاة المستمرة واعتكف هو ورجال الدين داخل كنيسة العذراء بالمعلقة.. وفجر اليوم الثالث ظهرت السيدة العذراء للبابا أثناء غفوته وأخبرته بأن يخرج إلي الشارع فسيجد رجلاً له عين واحدة وهو يحمل جرة ماء.. إن هذا الرجل ستتم المعجزة علي يديه .. وأسرع البابا إلي الشارع ناحية السوق فوجد فعلا رجلا بهذه الأوصاف فأمسك به وأدخله إلى الكنيسة وأخبره بأن اختير لتقع معجزة نقل جبل المقطم علي يديه .. واضطرب الرجل وأخبر البابا بأنه رجل فقير ويعمل إسكافيا فكيف يقع الاختيار عليه؟! ولكن البابا البطريرك أكد له أن السيدة العذراء ظهرت لتبلغه بهذا الأمر.. ووافق الرجل واشترط أن يتكتم حقيقة أمره مادام هو حي علي الأرض .

كان هذا الرجل يدعي سمعان الخراز نسبة إلي مهنته التي كانت موزعة بين دباغة الجلود والاسكافي وهو من يقوم بإصلاح الأحذية.. المهم أنه طلب من البابا البطريرك أن يصعد إلي الجبل ومعه رجال الدين حاملين الأناجيل والصلبان والشموع.. وأيضا المجامر مملوءة بالبخور ويقفون في جانب أعلي الجبل وأن يصعد الخليفة وحاشيته ورجال الدولة أعلي الجانب المقابل من الجبل.. وأن يصعد الشعب أيضا ليري ويشاهد الجميع هذه المعجزة التي وعد بها الرب .

وفي الموعد المحدد.. أي بعد ثلاثة أيام من الصوم والصلاة خرج الخليفة المعز من داره ممتطيا جواده وخلفه حشد كبير من حاشيته ورجال الدولة متوجها إلي جبل المقطم. وهناك وجد في انتظاره البابا إبرام السرياني ومعه رجال الكنيسة والشعب خلفه..

وقف الخليفة ومن معه علي جانب من الجبل.. وعلي الجانب المقابل وقف البابا إبرام ورجال الكنيسة والشعب خلفه.. وكان من ضمن أفراد الشعب سمعان الخراز الذي وقف خلف البابا مباشرة ..

وبعد أن قام البابا بالصلاة طلب من شعبه أن يرددوا كلمة "كيريالسيون" (وهي كلمة باللغة القبطية معناها يارب ارحم) اربعمائة مرة.. بواقع مائة مرة كل جهة من الجهات الأربع شرقا وغربا وشمالا وجنوبا.. وبعدها سجد البابا وشعبه ثلاث مرات.. وعندئذ شعر الجميع بزلزلة غاية في القوة تجتاح الجبل ..وفي كل سجدة يتحرك الجبل.. ومع كل قيام يرتفع الجبل إلي أعلي وتظهر الشمس من تحته ثم يتحرك من مكانه إلي هذا المكان الذي استقر به.. قال المعز لدين الله "عظيم هو الله تبارك اسمه".. وما إن هدأت الامور حتي تلفت البابا باحثا عنه سمعان الخراز فاكتشف أنه اختفي تماما..!

ويدعى من يردد هذه القصة أن الجبل انتقل فعلا من بركة الفيل بالسيدة زينب إلي هذا المكان ليفسح مساحة كبيرة استطاع الخليفة المعز أن يعمرها وتظهر القاهرة الحالية، وردت قصه نقل جبل المقطم في كتابات المؤرخ الانجليزى ألفريد بتلر.

تطلع الفاطميون إلى فتح مصر فتكررت محاولتهم لتحقيق هذا الحلم غير أنها لم تكلل بالنجاح، وقد بدأت هذه المحاولات منذ عام ٣٠١هـ= ٩١٣م أي بعد قيام الدولة بأربع سنوات، الأمر الذي يؤكد عزم الخلفاء الفاطميين على بسط نفوذهم على مصر. وكان فشل كل محاولة يقومون بها تزيدهم إصرارا على تكرارها ومعاودتها مرة بعد مرة. ونبهت هذه المحاولات الخلافة العباسية إلى ضرورة درء هذا الخطر، فدعمت وجودها العسكري في مصر، وأسندت ولايتها إلى محمد بن طغج الإخشيد، فأوقفت تلك المحاولات إلى حين .

كانت مصر خلال هذه الفترة تمر بمرحلة عصيبة، فالأزمة الاقتصادية تعصف بها والخلافة العباسية التي تتبعها مصر عاجزة عن فرض حمايتها عليها بعد أن أصبحت أسيرة لنفوذ البويهيين الشيعة، ودعاة الفاطميين يبثون دعوتهم في مصر، وجاءت وفاة كافور الأخشيد سنة(357هـ - 968م)، لتزيل آخر عقبة في طريق الفاطميين إلى غايتهم، وكان كافور بيده مقاليد أمور مصر، ويقف حجر عثرة أمام طموح الفاطميين للاستيلاء عليها .

وحين تولى زمام الأمور أبو الفضل جعفر بن الفرات ولم تسلس له قيادة مصر، وعجز عن مكافحة الغلاء الذي سببه نقص ماء النيل، واضطربت الأحوال، وضاق الناس بالحكم، كتب بعضهم إلى المعز يزينون له فتح مصر ولم يكن هو في حاجة إلى من يزين له الأمر؛ إذ كان يراقب الأوضاع عن كثب، ويمني نفسه باللحظة التي يدخل فيها مصر فاتحا، فيحقق لنفسه ما عجز أجداده عن تحقيقه .

رأى جوهر الصقلي أن الوقت قد حان لحضور الخليفة المعز بنفسه إلى مصر، وأن الظروف مهيأة لاستقباله في القاهرة عاصمته الجديدة فكتب إليه يدعوه إلى الحضور وتسلم زمام الحكم، فخرج المعز من المنصورية عاصمته في المغرب وكانت تتصل بالقيروان في ٢١ من شوال ٣٦١ هـ – ٥ من أغسطس ٩٧٢م وحمل معه كل ذخائره وأمواله حتى توابيت آبائه حملها معه وهو في طريقه إليها، واستخلف على المغرب أسرة بربرية محلية هي أسرة بني زيري. وكان هذا يعني أن الفاطميين قد عزموا على الاستقرار في القاهرة، وأن فتحهم لها لم يكن لكسب أراضٍ جديدة لدولتهم، وإنما لتكون مستقرا لهم ومركزا يهددون به الخلافة العباسية .

وصل المعز إلى القاهرة في رمضان ٣٦٢هـ – يونيو ٩٧٢م، وأقام في القصر الذي بناه جوهر، وفي اليوم الثاني خرج لاستقبال مهنئيه وأصبحت القاهرة منذ ذلك الحين مقرا للخلافة الفاطمية، وانقطعت تبعيتها للخلافة العباسية السنية .

قضى المعز لدين الله القسم الأكبر من خلافته في المغرب، ولم يبق في مصر إلا نحو ٣ سنوات، ولكنها كانت ذات تأثير في حياة دولته، فقد نجح في نقل مركز دولته إلى القاهرة، وأقام حكومة قوية أحدثت انقلابا في المظاهر الدينية والثقافية والاجتماعية في مصر، ولا تزال بعض آثاره تطل علينا حتى الآن، وجعل من مصر قلبا للعالم الإسلامي ومركزا لنشر دعوته الإسماعيلية والتطلع إلى التوسع وبسط النفوذ .

وقد قامت القاهرة بعد ذلك بدورها القيادي حتى بعد سقوط الدولة الفاطمية في الوقوف أمام المد الصليبي وهجمات المغول، وهو ما يثبت أن العالم الإسلامي كان بحاجة

إلى مركز متوسط للقيام بمثل هذه الأدوار، وهذا ما تنبه إليه الفاطميون وأثبتته أحداث التاريخ من قديم الزمان؛ حيث كانت الإسكندرية تشغله في العصر الروماني البيزنطي.

ولم تطل الحياة بالمعز في القاهرة ليشهد ثمار ما أنجزته يداه، لكن حسبه أنه نجح في الانتقال بدولته من المغرب التي كانت تنهكها ثورات البربر المتتالية، ولم تدع له فرصة لالتقاط أنفاسها حتى تكون مستقرا جديدا للتوسع والاستمرار، وأنه أول خليفة فاطمي يحكم دولته من القاهرة، عاصمته الجديدة .

إيى جانب إهتمام المعز لدين الله بالعقيدة والفلسفة والأدب كانت له اهتمامات علمية جعلت مجلسه يعجّ بالعلماء والأطباء والفنانين .

و من أهم انجازاته في القاهرة بجانب بناء هذه المدينة فقد بنى الجامع الأزهر

الجامع الأزهر (٣٩٦ – ٣٦١ هـ)، (٩٧٠–٩٧٥ م) هو من أهم المساجد في مصر وأشهرها في العالم الإسلامي. وهو جامع وجامعة منذ أكثر من ألف عام. بالرغم من أنه أنشئ لغرض نشر المذهب الشيعي عندما تم فتح مصر على يد جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بمصر، إلا أنه حاليا يدرس الإسلام حسب المذهب السني. وبعدما أسس مدينة القاهرة شرع في إنشاء الجامع الأزهر وأتمه في شهر رمضان سنة ٣٦١ هجرية الموافق لسنة ٩٧٢م فهو بذلك أول جامع أنشى في مدينة القاهرة وهو أقدم أثر فاطمي قائم بمصر. وقد اختلف المؤرخون في أصل تسمية هذا الجامع، والراجح أن الفاطميين سموه بالأزهر تيمنا بفاطمة الزهراء بنت الرسول وإشادة بذكراها .

الفصل الرابع

الدولة الأيوبية

(الملك الصالح نجم الدين أيوب)

السلطان الملك الصالح نجم الدين ابن السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب؛ ولد سنة ٦٠٣هـ بالقاهرة.

هو أول ملوك الدولة الأيوبية، وبدأ جهاده حينما عزم لويس التاسع على شن حملة صليبية جديدة على مصر والقدس بعد الهزيمة التي لحقتهم من السلطان صلاح الدين الأيوبي وتحرير القدس من أيديهم. وكانت أهداف هذه الحملة الصليبية استعمارية اقتصادية، اتجهت الحملة من قبرس إلى دمياط عن طريق البحر، ولما علم الملك الصالح بذلك جهز جيشه وكان في الشام قادمًا إلى مصر؛ ليقف ضد أطماع الصليبيين، وعسكر كما

تقول الروايات بالمنصورة في بلدة أشمون طناح قريبًا من نهر النيل، وأرسل إلى دمياط جيشًا، وكان على رأس الجيش فخر الدين ابن الشيخ، وذلك بعد أن شحن المدينة بالمعدات والمؤن العسكرية.

لكن وقع ما لم يكن في الحسبان، حيث قتل الأمير نجم الدين ابن شيخ الإسلام، والأمير الوزيري، فرحل فخر الدين ابن الشيخ بالناس، وما كان من أهل دمياط لما رأوا رحيل الجيش إلا ترك مدينتهم حتى ظن الصليبيون أنها مكيدة حربية، إلا أنهم لما أرسلوا الرسل عرفوا أن أهل المدينة تركوا مدينتهم عن بكرة أبيهم وتسلمها الجيش الصليبي بدون قتال يذكر.

ولما وصلت الأخبار إلى الملك الصالح نجم الدين الأيوبي زاده ذلك الأمر همًا وغمًّا، ونادى السلطان أثناء ذلك بالنفير العام بين المسلمين، فقدم إليه كثير من المتطوعين للجهاد، لكن كان المرض قد ألمَّ بالملك الصالح نجم الدين أيوب ليلقى ربه قبل أن يقضي على الحملة الصليبية التي استهدفت بلاده، وكتمت زوجته وأم ولده خليل خبر وفاته؛ لئلاّ يؤثر ذلك في معنويات جيشه حتى قدم ابنه توران شاه، وتم القضاء على الحملة الصليبية الخامسة لتطوى صفحة من صفحات الحقد الصليبي على بلاد الإسلام والمسلمين.

مات الملك الصالح نجم الدين أيوب وهو مرابط في الغزو لصد الحملة الصليبية التي كانت تستهدف مصر والقدس في سنة ٦٤٧هـ، تقبله الله في الصالحين.

و من اشهر ما قيل عنه:

قال صاحب الوافي بالوفيات: كان الملك الصالح ملكًا مهيبًا جبارًا ذا سطوة وجلالة، وكان فصيحًا، حسن المحاورة، عفيفًا عن الفواحش .

وقال سيف الدين ابن قزل المشد:

يا أيها الملك المؤيد عزمه *** انظر إلى البحرين يلتقيان
أنشأت بينهما الجزيرة برزخًا *** لا يبغيان سوى لقا السلطان

وفيه يقول الصاحب جمال الدين بن مطروح:

عز لمولانا وسلطاننا *** وناصر الحق على الباطل
الصالح ابن الكامل المجتبى *** محمد بن الملك العادل

ويقول مؤلف المختصر في أخبار البشر: كان مهيبًا عالي الهمة، عفيفًا طاهر اللسان والذيل، شديد الوقار، كثير الصمت، وجمع من المماليك الترك ما لم يجتمع لغيره من أهل بيته، حتى كان أكثر أمراء عسكره مماليكه.

الفصل الخامس

حكام الدولة المملوكية

(١)

شجرة الدر

بعد وفاة السلطان الأيوبى الصالح أيوب أثناء الحملة الصليبية السابعة (حملة الملك الفرنسي لويس التاسع) على دمياط في عام ١٢٤٩ قامت المماليك البحرية باغتيال ابنه السلطان توران شاه عند فارسكور. بعد هزيمة الصليبيين وأسر لويس التاسع في عام ١٢٥٠، تسلطنت شجر الدر أرملة الصالح أيوب على عرش مصر بمساندة وتأييد المماليك البحرية وبذلك فقد الأيوبيون سيطرتهم على مصر.

لم يرض كلا من الأيوبيين في الشام في دمشق والخليفة العباسى المستعصم بالله في بغداد بانتزاع عرش الأيوبيين في مصر وتنصيب شجر الدر ورفضا الاعتراف بسلطانها فقام الأمراء الأيوبيون

بتسليم الكرك للملك المغيث عمر ودمشق للملك الناصر صلاح الدين يوسف الذي قبض على عدة من أمراء مصر في دمشق، فرد المماليك بتجديد حلفهم لشجرة الدر، ونصبوا عز الدين أيبك أتابكا وقبضوا على الأمراء الموالين للناصر يوسف في القاهرة .

وبعث المستعصم إلى الأمراء في مصر كتابا يقول: "إن كانت الرجال قد عدمت عندكم، فأعلمونا حتى نسير إليكم رجالا " .

عدم الاعتراف بسلطنة شجر الدر من قبل الأيوبيين في دمشق والخليفة العباسى الذي كان اعترافه بالسلاطين، أربك المماليك في مصر وأقلقهم فراحوا يفكرون في وسائل

توفيقية ترضى الأيوبيين والخليفة العباسي وتمنحهم شرعية لحكم البلاد، فقرر المماليك تزويج شجر الدر من أيبك ثم تتنازل له عن العرش فيرضى الخليفة العباسي بجلوس رجل على تخت السلطنة، ثم البحث عن رمز أيوبي يشارك أيبك الحكم اسميا فيهدأ خاطر الأيوبيين ويرضوا عن الوضع الجديد.

تزوجت شجر الدر من أيبك وتنازلت له عن العرش بعد أن حكمت مصر ثمانين يوما بإرادة صلبة وحذق متناه في ظروف عسكرية وسياسية غاية في التعقيد والخطورة بسبب غزو العدو الصليبي للأراضي المصرية، وموت زوجها سلطان البلاد الصالح أيوب بينما الحرب ضد الصليبيين دائرة على الأرض الواقعة بين دمياط والمنصورة .

بحلول عام ١٢٥٧ كان سوء العلاقات بين أيبك وزوجته شجر الدر قد وصل إلى ذروته وتزايدت الوحشة بينهما بسبب تسلط شجر الدر على الحكم بل وعلى حياته الشخصية، حيث كانت تمنعه من زيارة زوجته الآخرى أم ابنه نور الدين علي، وتصر على أن يقوم بتطليقها. أيبك الذي كان يبحث عن استقلالية وتحالفات تساعده على التصدى للأيوبيين والبحرية الفارين قرر الزواج من ابنة صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ. وقد أخبره بدر الدين لؤلؤ أن شجر الدر قد كاتبت الملك الناصر يوسف وحذره منها.

كانت هناك عدة عوامل شجعت شجرة الدر على التفكير في الخلاص من زوجها عز الدين أيبك. لقد عزم على الزواج من امرأة أخرى، وكانت خلافاته معها مستمرة وأحست بخطره علي حياتها. لذلك دبرت خطة مع بعض خدامها لإغتيال زوجها عز الدين أيبك، وتم ذلك في العاشر من إبريل العام ١٢٥٧م أثناء استحمامه داخل قلعة الجبل فمات بعد أن حكم البلاد سبع سنوات. أعلنت شجر الدر في الصباح التالى انه قد توفي فجأة أثناء الليل إلا أن المماليك المعزية بقيادة نائب السلطنة قطز لم يصدقوها وأعترف الخدم تحت وطأة التعذيب بالمؤامرة، فحاول المعزية قتلها إلا أن المماليك الصالحية قامت بحمايتها ونقلت إلى البرج الأحمر بالقلعة. بعد بضعة أيام عثر على جثة شجر الدر ملقاة خارج القلعة بعد أن قتلتها ضربا جواري أم المنصور نور الدين علي.

(٢)

المعز أيبك التركماني

أو عز الدين أيبك

الملك المعز عز الدين أيبك الجاشنكير التركماني الصالحى النجمي (توفى بالقاهرة عام ١٢٥٧). هو أول سلاطين الدولة المملوكية، وقد نصب سلطانا على مصر في العام ١٢٥٠ بعد أن تزوجته وتنازلت له عن العرش شجر الدر سلطانة مصر وأرملة السلطان الأيوبى الصالح أيوب. بقي سلطانا على مصر إلى أن أغتيل بقلعة الجبل في عام ١٢٥٧. كان من أصل تركماني. اسم أيبك يتكون من مقطعين بالتركية (أي) وتعنى قمر و(بك) وتعني أمير .

وكان أيبك أميرا يخدم مع بنى جلدته من التركمان في بلاط السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب. لذا عرفته المماليك البحرية باسم أيبك التركماني. ترقى أيبك إلى رتبة .

نصب أيبك سلطانا وأتخذ لقب الملك المعز، في محاولة لارضاء الأيوبيين والخليفة العباسي بعد أن قام المماليك بإحضار طفلا أيوبيا في السادسة من عمره، وقيل في نحو العاشرة من عمره وسلطنوه باسم "الملك الأشرف مظفر الدين موسى، وأعلن أيبك أنه ليس سوى نائبا للخليفة العباسي وأن مصر لا تزال تابعا للخلافة العباسية كما كانت من قبل. ولاثبات ولائه لأستاذه السلطان الأيوبي المتوفى الصالح أيوب قام أيبك بنقل رفاته من قلعة جزيرة الروضةإلى مقبرته التي كان قد أنشأها قبل وفاته قرب مدرسته في منطقة بين القصرين

بالقاهرة. حتى تلك اللحظة كان أيبك يعتمد على ثلاثة أمراء وهم: زعيم المماليك البحرية فارس الدين أقطاي الجمدار، وركن الدين بيبرس البندقداري، وسيف الدين بلبان الرشيدي.

بلغ الصراع مع الأيوبيين أشده خاصة في فترة حكم الناصر يوسف الأيوبى ملك دمشق والذي أصبح الشام كله بيده ، فبعث بجيش إلى غزة للاستيلاء على مصر والإطاحة بأيبك لكن سيف الدين أقطاي تصدى له. ثم قام الناصر بمحاولة جديدة قاد فيها جيشا كبيرا إلى مصر وتمكن من كسر ميسرة جيش أيبك في معركة جرت بالقرب من الصالحية، وفر عسكر أيبك إلى القاهرة وتبعهم عدد من عسكر الناصر، واتضح للناس أن الناصر قد انتصر فخطب له بالقاهرة ومناطق آخرى من مصر.

ما تزال المعارك دائرة بين جيش الناصر وأيبك، وأستولت البحرية بقيادة أقطاي على سناجقه ونهبت أمواله ووقع في الأسر عدد كبير من عسكر وأمراء جيشه كان من بينهم توران شاه وأخوه نصرة الدين محمد والملك الأشرف. بعدها بقليل استولى فارس الدين أقطاى على الساحل ونابلس إلى نهر الأردن .

في عام ١٢٥٢ وردت الأنباء بأن الجيش المغولي بقيادة هولاكو قد اقتحم الحدود الشرقية للعالم الإسلامي وانه ينوى الاستيلاء على بغداد، فقام أيبك بإزاحة الملك الأشرف موسى من تخت السلطنة وسجنه ونصب الأمير سيف الدين قطز نائبا له، ثم نفى الأشرف في وقت لاحق إلى الأراضى البيزنطيه. وكان الأشرف موسى آخر من خطب له من بيت أيوب بالسلطنة بمصر. بسبب الوضع دعم مركزه داخل مصر وقد تمكن في عام ١٢٥٣ من خلال التفاوض الذي أشرف عليه الخليفة العباسي من عقد صلح مع الناصر، تم له بمقتضاه الاتفاق على المناطق التابعة لكلا الجانبين .

في عام ١٢٥٣ نشب تمرد خطير في مصر الوسطى والصعيد قامت به القبائل العربية المقيمة بمصر بزعامة حصن الدين ثعلب، الذي تصدى له الأمير فارس الدين أقطاى وانتصر عليه بالقرب من ديروط وأخمد ثورته. بعد أن منح أيبك الأمان لثعلب استدعاه وسجنه بالإسكندرية. نجح فارس الدين أقطاى في سحق تمرد ثعلب ومن قبل في الانتصار على جيش الناصر يوسف هذه الإنتصارات منحته ومعه مماليكه البحرية مكانة ونفوذا جعلت أيبك يتوجس منهم ويعتبرهم مصدرا للتهديد على سلطنته .. عندما طلب أقطاى من

أيبك سكنى القلعة مع عروسه التي سيعقد عليها وكانت أختا للملك المظفر صاحب حماة لاح لأيبك أن أقطاي ومماليكه البحرية قد تجاوزوا كافة الاعتبارات فقرر القضاء على أقطاي.

تآمر أيبك مع قطز والمماليك المعزية على اغتيال فارس الدين أقطاي والقضاء على مماليكه فقام أيبك بدعوة أقطاى إلى قلعة الجبل لأخذ مشورته في أمر ما واغتاله. في بادئ الأمر ظنت مماليك أقطاى أن أيبك قد حجز زعيمهم في القلعة فلما تجمعوا عندها للمطالبة بالافراج عنه ألقيت إليهم رأسه فأصيبوا بالفزع، وأيقنوا أن أيبك قد عزم على القضاء عليهم ففروا من مصر أثناء الليل. وهربت جماعة منهم إلى سلطنة الروم السلاجقة وآخرى إلى الكرك وثالثة إلى سوريا .. وكان من بين تلك الجماعة الأخيرة بيبرس البندقدارى وقلاوون الألفى وسنقر الأشقر . ولاحق أيبك المماليك البحرية الفارين فصادر أموالهم وممتلكاتهم واسترد مدينة الإسكندرية التي كان أقطاى قد اقتطعها لنفسة من خاص السلطنه في عام ١٢٥٢، وأعاد للناصر البلاد التي كان قد اقتطعها للبحرية بالساحل من قبل.

وأرسل إلى حكام المناطق التي فروا إليها يحذرهم منهم ويحرضهم عليهم . أما البحرية الذين لم يتمكنوا من الفرار من مصر فقد قام أيبك بالقبض عليهم وأعدم بعضهم ونودى في مصر بتهديد من أخفى أحداً من البحرية .

أعلن المماليك البحرية ولاءهم للملك الناصر يوسف في دمشق بسوريا بأنهم قد وصلوا البلاد لخدمته فسمح لهم بدخول مملكته وخرج إلى لقائهم وأكرمهم وأنعم عليهم .

كان لاغتيال فارس الدين أقطاى وفرار البحرية نتائج داخلية هامة منها بزوغ نجم الأمير سيف الدين قطز الذي أصبح أقرب المماليك إلى أيبك وأحبهم اليه، ومنها انقسام المماليك منذ ذلك الحين إلى فريقين هما المماليك البحرية والمماليك المعزية ..

في عام ١٢٥٥ تمرد شبيه اسمه عز الدين أيبك الأفرم وهو من المماليك الصالحية على السلطان أيبك، وسار إلى الصعيد وقام بجمع الأعراب فسير اليه أيبك العسكر بقيادة وزيره الأسعد شرف الدين الفائزى الذي تمكن من إخماد التمرد .

أصبح أيبك – مع زوجته شجر الدر ونائب السلطنة قطز – الحاكم الأوحد لمصر. إلا أن وجود البحرية الفارين وعلى رأسهم بيبرس البندقدارى وقلاوون الألفى وبعض الأمراء

الكبار عند غريمه الأيوبى الملك الناصر ودخولهم في خدمته كان يقلقه. فالمماليك في الشام راحوا يحرضون الملوك الأيوبيين على غزو مصر والإطاحة بأيبك. قام الناصر يوسف بإرسال قوات من الشام إلى مصر للقضاء على أيبك كانت تضم المماليك البحرية مع عسكره.

تم إغتيال عز الدين أيبك في العام ١٢٥٧ كما ذكر سابقاً، وقام المماليك المعزية بتنصيب نور الدين بن أيبك سلطانا على البلاد وكان صبيا في الخامسة عشرة من العمر، بعد بضعة أيام اغتيلت شجرة الدر، تم اعدام الخدم الذين قاموا باغتيال عز الدين أيبك.

مات عز الدين أيبك وشجرة الدر بعد أن أسسا دولة المماليك. تلك الدولة التي سيطرت على جنوب وشرق حوض البحر المتوسط لبضعة عقود من الزمان قضت خلالها على القوى المغولية والصليبية التي تآزرت ضد المسلمين وحاولت اقتلاع العالم الإسلامي.

نقش على نقوده اسمه "أيبك" فقط بدون ألقاب أو كنايات. أيضا نقش اسم السلطان الأيوبي الصالح أيوب على هذا النحو: "أيوب ابن الملك الكامل". وعلى الجانب الآخر من نقود أيبك نقش اسم الخليفة العباسي كالتالي: "المستنصر بالله أبو أحمد المنصور بالله أمير المؤمنين .

نقود الاشرف موسى

نقود الأشرف موسى التي عثر عليها نقش عليها اسمه وحده مع اسم الخليفة العباسي على جانبها الآخر على النحو الأتى: "الملك الأشرف"، "الملك أشرف أبو الفتح موسى ابن الملك الصالح أيوب" – "الامام المستعصم" "الامام المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله أمير المؤمنين".

(٣)

الملك المظفر سيف الدين قطز

٦٥٧ هـ/ ١٢٥٩م – ٦٥٨هـ/١٢٦٠ م

الملك المظفر سيف الدين قطز واسمه الحقيقي هو محمود بن ممدود بن خوارزم شاه ولقب بسيف الدين، (توفي ٢٤ أكتوبر ١٢٦٠). السلطان المصري ذو الأصل المملوكي، تولى الملك سنة ٦٥٧ هـ يعتبر أبرز ملوك مصر على الرغم من أن فترة حكمة لم تدم سوى عاما واحدا؛ لأنه نجح في إعادة تعبئة وتجميع الجيش المصري الذي استطاع أن ينقذ التراث البشري بإيقاف زحف المغول الذي كاد أن يقضى على الدولة الإسلامية. وهزمهم الجيش المصري هزيمة منكرة في معركة عين جالوت، ولاحق فلولهم حتى حرر الشام.

كان سيف الدين قطز عبدًا لرجل يسمى "ابن الزعيم" بدمشق ثم بِيع من يدٍ إلى يد حتى انتهى إلى "عز الدين أيبك" من أمراء مماليك البيت الأيوبي بمصر. وتدرج في المناصب حتى صار قائدًا لجند أيبك، ثم قائدًا للجيوش عندما تولى "عز الدين أيبك" السلطنة مع شجرة الدر.

ويروي شمس الدين الجزري في تاريخه عن "سيف الدين قطز": ".. لما كان في رِقِّ موسي بن غانم المقدسي بدمشق، ضربه سيده وسبَّه بأبيه وجده، فبكى ولم يأكل شيئًا سائر يومه، فأمر ابن الزعيم الفرّاش أن يترضاه ويطعمه، فروى الفرّاش أنه جاءه بالطعام وقال له: كل هذا البكاء من لطمة؟ فقال قطز: إنما بكائي من سَبِّه لأبي وجدي وهما خير منه؛

فقلت: من أبوك؟ واحد كافر؟!.. فقال: والله ما أنا إلا مسلم ابن مسلم، أنا محمود بن ممدود ابن أخت خوارزم شاه من أولاد الملوك، فسكت وترضيته". كما يروي أنه أخبر في صغره أحد أقرانه أنه رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وقد بشَّره بأنه سيملك مصر ويكسر التتار، وهذا يعني أن الرجل كان يعتبر نفسه صاحب مهمة، وأنه من الصلاح بحيث رأى رسول الله واصطفاه الله بذلك كما أكرمه بالشهادة وادخر شهرته وجزاءه العظيم له في الآخرة لذلك فهو مغمور في الدنيا، وأن له دورًا في صناعة التاريخ، وتغيير الواقع الأسيف الذي يحيط به من كل جانب.ولا شك أن قطز كان مبعوث رحمة الله ومبعوث العناية الإلهية بالأمة العربية والإسلامية وبالعالم كي يخلص العالم من شر وخطر التتار للأبد، وكان وصوله لحكم مصر من حسن حظها وحظ العالمين العربى والإسلامي.

تذكر المصادر التاريخية ومنها رواية وا إسلاماه لعلي أحمد باكثير عدة روايات عن أصل قطز، فمنهم من يقول إن اسمه الحقيقي هو محمود بن ممدود الخوارزمي ابن أخت السلطان جلال الدين منكبرتي آخر السلاطين الخوارزميين.

واسم قطز أسماه له التتار حيث قاومهم بشراسة خلال اختطافهم وبيعهم له.. ومعنى قطز بلغتهم المغولية "الكلب الشرس".وربما يكون تجار الرقيق هم الذين أعطوه هذا الاسم. قطز من بين الأطفال الذين حملهم التتار إلى دمشق وباعوهم إلى تجار الرقيق.

وقد وُصف قطز بأنه كان شاباً أشقر، كث اللحية، بطلاً شجاعاً عفاً عن المحارم، مترفعاً عن الصغائر مواظباً على الصلاة والصيام وتلاوة الأذكار، تزوج من بني قومه ولم يخلّف ولداً ذكراً بل ترك ابنتين لم يسمع عنهما الناس شيئاً بعده.

قام الملك عز الدين أيبك بتعيين قطز نائبا للسلطنة ،وبعد أن قتل الملك المعز عز الدين أيبك على يد زوجته شجرة الدر، وقتلت هي بعده على يد جواري الزوجة الأولى لأيبك، تولى الحكم السلطان الطفل المنصور نور الدين علي بن عز الدين أيبك، وتولى سيف الدين قطز الوصاية على السلطان الصغير الذي كان يبلغ من العمر ١٥سنة فقط.

وأحدث صعود الطفل نور الدين إلى كرسي الحكم اضطرابات كثيرة في مصر والعالم الإسلامي، وكانت أكثر الاضطرابات تأتي من قبل بعض المماليك البحرية الذين مكثوا في مصر، ولم يهربوا إلى الشام مع من هرب منها أيام الملك المعز عز الدين أيبك.

وتزعم أحد هؤلاء المماليك البحرية . واسمه "سنجر الحلبي" ـ الثورة، وكان يرغب في الحكم لنفسه بعد مقتل عز الدين أيبك، فاضطر قطز إلى القبض عليه وحبسه.. كذلك قبض قطز على بعض رؤوس الثورات المختلفة، فأسرع بقية المماليك البحرية إلى الهرب إلى الشام، وذلك ليلحقوا بزعمائهم الذين فروا قبل ذلك إلى هناك أيام الملك المعزّ، ولما وصل المماليك البحرية إلى الشام شجعوا الأمراء الأيوبيين على غزو مصر، واستجاب لهم بالفعل بعض هؤلاء الأمراء، ومنهم "مغيث الدين عمر" أمير الكرك (بالأردن حالياً) الذي تقدم بجيشه لغزو مصر.. ووصل مغيث الدين بالفعل بجيشه إلى مصر، وخرج له قطز فصدّه عن دخول مصر، وذلك في ذي القعدة من سنة ٦٥٥ هـ، ثم عاد مغيث الدين تراوده الأحلام لغزو مصر من جديد، ولكن صدّه قطز مرة أخرى في ربيع الآخر سنة ٦٥٦ هـ..

كان قطز محمود بن ممدود بن خوارزم شاه يدير الأمور فعلياً في مصر ،ولكن الذي كان يجلس على كرسي الحكم سلطان طفل، فرأى قطز أن هذا يضعف من هيبة الحكم في مصر، ويزعزع من ثقة الناس بملكهم، ويقوي من عزيمة الأعداء إذ يرون الحاكم طفلاً.فقد كان السلطان الطفل مهتماً بمناقرة الديوك، ومناطحة الكباش، وتربية الحمام، وركوب الحمير في القلعة، ومعاشرة الأراذل والسوقة، تاركاً لأمه ومن وراءها تسيير أمور الدولة في تلك الأوقات العصيبة. وقد استمر هذا الوضع الشاذ قرابة ثلاث سنوات، على الرغم من تعاظم الأخطار وسقوط بغداد بيد المغول. وكان من أشد المتأثرين بذلك والمدركين لهذه الأخطار الأمير قطز، الذي كان يحزّ في نفسه ما كان يراه من رعونة الملك، وتحكم النسوان في مقدرات البلاد، واستبداد الأمراء، وإيثارهم مصالحهم الخاصة على مصلحة البلاد والعباد.

هنا اتخذ قطز القرار الجريء، وهو عزل السلطان الطفل نور الدين علي، واعتلى قطز بنفسه عرش مصر.حدث هذا الأمر في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٥٧ هـ، أي قبل وصول هولاكو إلى حلب بأيام.. ومنذ أن صعد قطز إلى كرسي الحكم وهو يعدّ العدّة للقاء التتار.

عندما تولى قطز الحكم كان الوضع السياسي الداخلي متأزماً للغاية، فقد جلس على كرسي الحكم في مصر خلال عشرة أعوام تقريبا ستة حكام وهم : الملك الصالح نجم

الدين أيوب، ولده توران شاه، شجر الدر، الملك المعز عز الدين أيبك، السلطان نور الدين علي بن أيبك،و سيف الدين قطز. كما كان هناك الكثير من المماليك الطامعين في الحكم، وكانوا يقومون بالتنازع عليه، كما كانت هناك أزمة اقتصادية طاحنة تمر بالبلاد من جراء الحملات الصليبية المتكررة، وجراء الحروب التي دارت بين مصر وجيرانها من الشام، والفتن والصراعات على المستوى الداخلي.

عمل قطز على أصلاح الوضع في مصر خلال أعداده للقاء التتار.

وكان أبرز ما يشغل باله هو الإعداد للقاء التتار و لكن ذلك كان يعتمد في المقام الأول على استقرار الوضع الداخلي. قطع قطز أطماع المماليك في الحكم عن طريق توحيدهم خلف هدف واحد، وهو وقف زحف التتار ومواجهتهم، فقام بجمع الأمراء وكبار القادة وكبار العلماء وأصحاب الرأي في مصر، وقال لهم في وضوح :

"إني ما قصدت (أي ما قصدت من السيطرة على الحكم) إلا أن نجتمع على قتال التتر، ولا يتأتى ذلك بغير ملك، فإذا خرجنا وكسرنا هذا العدو، فالأمر لكم، أقيموا في السلطة من شئتم".

فهدأ معظم الحضور ورضوا بذلك. كما قام قطز بتعيين أمراء من المماليك البحرية، رغم أنه نفسه من المماليك المعزية التي كانت على خلاف مع المماليك البحرية، فقام بإقرار فارس الدين أقطاي الصغير الصالحي مكانه كقائد للجيش، حيث وجد فيه كفاءة عسكرية وقدرة قيادية عالية.

كان هناك خلاف كبير بين المماليك البحرية وبين المماليك المعزية، عندما قتل سيف الدين قطز بالتدبير مع السلطان المعز ومن ورائه زوجته، قتل فارس الدين أقطاي أتابك الدولة (وزير الحرب) ووالي الإسكندرية ،و زعيم المماليك البحرية سنة ٦٥٢ هـ،الأمر الذي جعل الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري يفر إلي الشام مقتنعا بأنه كان الهدف التالي لمؤامرة شجر الدر مع زوجها السلطان المعز ونائبه قطز. ثم بدأ الخلاف يتفاقم تدريجياً إلى أن وصل إلى الذروة بعد مقتل الملك المعزعز الدين أيبك بواسطة شجر الدر التي دفعتها الغيرة الزوجية لذلك عندما علمت بأن السلطان اصطفي له جارية من الحريم. ثم قتل قطز شجر الدر في ١٦ أبريل ١٢٥٧م، ووصل الأمر إلى أن معظم

المماليك البحرية وعلى رأسهم القائد ركن الدين بيبرس فروا من مصر إلى مختلف إمارات الشام. ومنهم من شجع أمراء الشام على غزو مصر مثلما فعل بيبرس مع ملك دمشق الناصر يوسف وملك الكرك والشوبك المغيث عمر. فلما اعتلى قطز عرش مصر قبل الصلح مع بيبرس الذي أرسل الرسل لقطز كي يتصدي لجيوش المغول التي كانت قد دخلت دمشق آسرة الناصر يوسف ملكها.

استقبل قطز المماليك الفارين استقبالاً لائقاً، كما استقدم ركن الدين بيبرس، فلما قدم بيبرس إلى مصر، عظّم قطز من شأنه جداً، وأنزله دار الوزارة، وأقطعه "قليوب" وما حولها من القرى، وعامله كأمير من الأمراء المقدَّمين، بل وجعله على مقدمة الجيوش في معركة عين جالوت..

كانت العلاقات مع إمارات الشام الأيوبية متوترة جداً، وقد فكروا أكثر من مرة في غزو مصر، ونقضوا الحلف الذي كان بين مصر والشام أيام الصالح أيوب، واستقطبوا المماليك البحرية عندهم عندما فروا من مصر، بل إن الناصر يوسف الأيوبي أمير دمشق وحلب كان قد طلب من التتار بعد سقوط بغداد أن يعاونوه في غزو مصر.

سعى قطز إلى الوحدة مع الشام، أو على الأقل تحييد أمراء الشام، فيخلوا بينه وبين التتار دون أن يتعاونوا مع التتار ضده. فأرسل قطز رسالة إلى الناصر يوسف الأيوبي يعرض عليه الوحدة، على أن يكون الناصر يوسف الأيوبي هو ملك مصر والشام، فإن تشكك الملك الناصر الأيوبي في نية قطز فيستطيع قطز أن يمده بالقوات للمساعدة في قتال التتار، كما ترك قطز للملك الناصر اختيار قائد الجيش المصري الذي يذهب لنجدته في الشام. ولكن الناصر الأيوبي رفض ذلك فسقطت كل من حلب ودمشق في يد التتار وفر الملك الناصر الأيوبي إلى فلسطين. بعد فرار الناصر الأيوبي انضم إلى قطز جيش الناصر، فازدادت بذلك قوة الجيش المصري.

راسل قطز بقية أمراء الشام، فاستجاب له الأمير "المنصور" صاحب حماة، وجاء من حماة ومعه بعض جيشه للالتحاق بجيش قطز في مصر.

أما المغيث عمر صاحب الكرك، وبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فقد فضلا التحالف مع المغول وخيانة قطز .

وأما الأخير وهو الملك السعيد حسن بن عبد العزيز صاحب بانياس فقد رفض التعاون مع قطز هو الآخر رفضاً قاطعاً، بل انضم بجيشه إلى قوات التتار ليساعدهم في محاربة المسلمين.

ولحل الأزمة الاقتصادية في ذلك الوقت اقترح قطز أن تفرض على الناس ضرائب لدعم الجيش، وهذا قرار يحتاج إلى فتوى شرعية، لأن المسلمين في دولة الإسلام لا يدفعون سوى الزكاة، ولا يدفعها إلا القادر عليها، وبشروط الزكاة المعروفة، أما فرض ضرائب فوق الزكاة فهذا لا يكون إلا في ظروف خاصة جداً، ولابدّ من وجود سند شرعي يبيح ذلك.

فاستفتى قطز *الشيخ العز بن عبد السلام* فأفتى قائلاً :

""إذا طرق العدو البلاد وجب على العالم كلهم قتاله، وجاز أن يؤخذ من الرعية ما يستعان به على جهادهم بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء وأن تبيعوا مالكم من الممتلكات والآلات، ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه، وتتساووا في ذلك أنتم والعامة، وأما أخذ أموال العامة. مع بقاء ما في أيدي قادة الجند من الأموال والآلات الفاخرة

قبل قطز كلام الشيخ العز بن عبد السلام، وبدأ بنفسه، فباع كل ما يملك، وأمر الوزراء والأمراء أن يفعلوا ذلك، فانصاع الجميع، وتم تجهيز الجيش كله.

وكانت المعركة الفاصلة في عين جالوت عند وصول رسل التتار بينما كان قطز يعد الجيش والشعب للقاء التتار وصل رسل هولاكو يحملون رسالة تهديد لقطز جاء فيها:

"بسم إله السماء الواجب حقه، الذي ملكنا أرضه، وسلّطنا على خلقه..الذي يعلم به الملك المظفر الذي هو من جنس "المماليك"..صاحب مصر وأعمالها، وسائر أمرائها وجندها وكتابها وعمالها، وباديها وحاضرها، وأكابرها وأصاغرها..إناٌ جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، وسلّطنا على من حل به غيظه..فلكم بجميع الأمصار معتبر، وعن عزمنا مزدجر..فاتعظوا بغيركم، وسلّموا إلينا أمركم..قبل أن ينكشف الغطاء، ويعود عليكم الخطأ..فنحن ما نرحم من بكى، ولا نرق لمن اشتكى..فتحنا البلاد، وطهرنا الأرض من

الفساد..فعليكم بالهرب، وعلينا بالطلب.. فأي أرض تأويكم؟ وأي بلاد تحميكم؟وأي ذلك ترى؟ ولنا الماء والثرى؟ فما لكم من سيوفنا خلاص، ولا من أيدينا مناص فخيولنا سوابق، وسيوفنا صواعق، ورماحنا خوارق، وسهامنا لواحق، وقلوبنا كالجبال، وعديدنا كالرمال. فالحصون لدينا لا تمنع، والجيوش لقتالنا لا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يسمع، لأنكم أكلتم الحرام، وتعاظمتم عن رد السلام، وخنتم الإيمان، وفشا فيكم العقوق والعصيان..فأبشروا بالمذلة والهوان (فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تعملون) (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)..وقد ثبت أن نحن الكفرة وأنتم الفجرة..وقد سلطنا عليكم من بيده الأمور المدبرة، والأحكام المقدرة..فكثيركم عندنا قليل، وعزيزكم لدينا ذليل، وبغير المذلة ما لملوككم عينا من سبيل..فلا تطيلوا الخطاب، وأسرعوا رد الجواب..قبل أن تضرم الحرب نارها، وتوري شرارها.. فلا تجدون منا جاهاً ولا عزاً، ولا كتاباً ولا حرزاً، إذ أزتكم رماحنا أزاً..وتدهون منا بأعظم داهية، وتصبح بلادكم منكم خالية، وعلى عروشها خاوية..فقد أنصفناكم، إذ أرسلنا إليكم، ومننا برسلنا عليكم"

جمع قطز القادة والمستشارين وأطلعهم على الرسالة، وكان من رأي بعض القادة الاستسلام للتتار وتجنب ويلات الحرب، فما كان من قطز إلا أن قال :" أنا ألقى التتار بنفسي.. يا أمراء المسلمين، لكم زمان تأكلون من بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه، فمن اختار الجهاد يصحبني، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته، وإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين (عن القتال)"، فتحمس القواد والأمراء لرؤيتهم قائدهم يقرر الخروج لمحاربة التتار بنفسه، بدلاً من أن يرسل جيشاً ويبقى هو.

ثم وقف يخاطب الأمراء وهو يبكي ويقول:

"يا أمراء المسلمين، من للإسلام إن لم نكن نحن"

فقام الأمراء يعلنون موافقتهم على الجهاد، وعلى مواجهة التتار مهما كان الثمن.

وقام قطز بقطع أعناق الرسل الاربع وعشرين الذين أرسلهم إليه هولاكو بالرسالة التهديدية، وعلّق رءوسهم في الريدانية في القاهرة وابقي علي الخامس والعشرين ليحمل الاجساد لهولاكو. وأُرسل الرسل في الديار المصرية تنادى بالجهاد في سبيل الله ووجوبه

وفضائله. وكان العز بن عبد السلام ينادى في الناس بنفسه فهب نفر كثير ليكونوا قلب وميسرة جيش المسلمين اما القوات النظامية من المماليك فكونت الميمنة وأختبأت بقيتها خلف التلال لتحسم المعركة.

و في أرض المعركة.....

كانت الحرب ضارية.. أخرج التتار فيها كل إمكانياتهم، وظهر تفوق الميمنة التترية التي كانت تضغط على الجناح الأيسر للقوات المصرية، وبدأت القوات المصرية تتراجع تحت الضغط الرهيب للتتار، وبدأ التتار يخترقون الميسرة المصرية، وبدأ الشهداء يسقطون، ولو أكمل التتار اختراقهم للميسرة فسيلتفون حول الجيش المصري.

كان قطز يقف في مكان عال خلف الصفوف يراقب الموقف بكامله، ويوجه فِرَق الجيش إلى سد الثغرات، ويخطط لكل كبيرة وصغيرة، وشاهد قطز المعاناة التي تعيشها ميسرة المصريين، فدفع إليها بآخر الفرق النظاميه من خلف التلال، ولكن الضغط التتري استمر.

فما كان من قطز إلا أن نزل ساحة القتال بنفسه؛ وذلك لتثبيت الجنود ورفع روحهم المعنوية، ألقى بخوذته على الأرض تعبيرًا عن اشتياقه للشهادة، وعدم خوفه من الموت، وأطلق صيحته الشهيرة:"واإسلاماه".

وقاتل قطز مع الجيش المصري قتالاً شديدًا، حتى صوب أحد التتار سهمه نحو قطز فأخطأه ولكنه أصاب الفرس الذي كان يركب عليه قطز فقُتل الفرسُ من ساعته، فترجل قطز على الأرض، وقاتل ماشياً لا خيل له. ورآه أحد الأمراء المصريين وهو يقاتل ماشيًا، فجاء إليه مسرعًا، وتنازل له عن فرسه، إلا أن قطز امتنع، وقال: "ما كنت لأحرم المسلمين نفعك!!"وظل يقاتل ماشياً إلى أن أتوه بفرس من الخيول الاحتياطية.

وقد لامه بعض الأمراء على هذا الموقف وقالوا له:" لمَ لمْ تركب فرس فلان؟ فلو أن بعض الأعداء رآك لقتلك، وهلك الإسلام بسببك."

فقال قطز: "أما أنا كنت أروح إلى الجنة، وأما الإسلام فله رب لا يضيعه، وقد قتل فلان وفلان وفلان حتى عد خلقاً من الملوك (مثل عمر وعثمان وعلي) فأقام الله للإسلام من يحفظه غيرهم، ولم يضع الإسلام "

و انتهى عهد المظفر قطز بمقتله الذي كان له واقعة خاصة ....

ويروي ابن خلدون في كتاب " تاريخ ابن خلدون" قصة مقتل الملك المظفر سيف الدين قطز فيقول :

"كان البحرية من حين مقتل أميرهم أقطاي الجامدار يتحينون لأخذ ثأره، وكان قطز هو الذي تولى قتله فكان مستريباً بهم. ولما سار إلى التتر ذهل كل منهم عن شأنه. وجاء البحرية من القفر هاربين من المغيث صاحب الكرك فوثقوا لأنفسهم من السلطان قطز أحوج ما كان إلى أمثالهم من المدافعة عن الإسلام وأهله، فأمنهم واشتمل عليهم وشهدوا معه واقعة التتر على عين جالوت وأبلغوا فيها والمقدمون فيهم يومئذ بيبرس البندقداري وأنز الأصبهاني وبلبان الرشيدي وبكتون الجوكنداري وبندوغز التركي. فلما انهزم التتر في الشام واستولوا (المماليك البحرية) عليه وحسر ذلك المد وأفرج عن الخائفين الروع، عاد هؤلاء البحرية إلى ديدنهم من الترصد لثأر أقطاي. فلما قفل قطز من دمشق سنة ثمان وخمسين أجمعوا أن يبرزوا به في طريقهم. فلما قارب مصر ذهب في بعض أيامه يتصيد وسارت الرواحل على الطريق فاتبعوه وتقدم إليه أنز شفيعاً في بعض أصحابه. فشفعه فأهوى يقبل يده فأمسكها. وعلاه بيبرس بالسيف فخر صريعاً لليدين والفم. ورشقه الآخرون بالسهام فقتلوه وتبادروا إلى المخيم. وقام دون فارس الدين أقطاي على ابن المعز أيبك وسأل من تولى قتله منكم فقالوا بيبرس فبايع له واتبعه أهل المعسكر ولقبوه بالقاهر. وبعثوا أيدمر الحلي بالخبر إلى القلعة بمصر فأخذ له البيعة على من هناك. ووصل القاهر منتصف ذي القعدة من السنة فجلس على كرسيه ولكنه غير لقبه إلى الظاهر خوفا من شؤم لقب القاهر واستخلف الناس على طبقاتهم وكتب إلى الأقطار بذلك. ورتب الوظائف وولى الأمراء..."

وهكذا قتل قطز، وصح فيه قول الشافعي :

أحسنتَ ظنَك بالأيام إذ حسنت	ولم تخفْ غبَّ ما يأتي به القدرُ
وسالمتْك الليالي فاغتررت بها	وعند صفو الليالي يحدث الكدر

حمل قطز بعد ذلك إلى القاهرة فدفن بالقرب من زاوية الشيخ تقي الدين قبل أن تعمر ثم نقله الحاج قطز الظاهري إلى القرافة ودفن قريباً من زاوية ابن عبود .

(٤)

الظاهر بيبرس

١٢٦٠م – ١٢٧٥م

الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي النجمي لقب بأبو الفتوح. سلطان مصر والشام ورابع سلاطين الدولة المملوكية ومؤسسها الحقيقي، بدأ مملوكا يباع في أسواق بغداد والشام وانتهى به الأمر كأحد أعظم السلاطين في العصر الإسلامي الوسيط. لقّبه الملك الصالح أيوب في دمشق بـ"ركن الدين"، وبعد وصوله للحكم لقب نفسه بالملك الظاهر. ولد بيبرس نحو عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢١م، وحقق خلال حياته العديد من الانتصارات ضد الصليبيين والمغول ابتداءً من معركة المنصورة سنة ١٢٥٠ ومعركة عين جالوت ومعركة الأبلستين ضد المغول سنة ١٢٧٧. وقد قضى أثناء حكمه على الحشاشين واستولى أيضا على إمارة أنطاكية الصليبية.

حكم بيبرس مصر بعد رجوعه من معركة عين جالوت واغتيال السلطان سيف الدين قطز سنة ١٢٦٠م حيث خطب له بالمساجد يوم الجمعة ٦ ذي الحجة ٦٥٨ هـ / ١١ نوفمبر ١٢٦٠م. وتوفي يوم الخميس ٢٧ محرم ٦٧٦ هـ / ٢ مايو ١٢٧٧ م (في عمر ٥٤ سنة) بعد رجوعه من معركة الأبلستين ضد المغول سنة ١٢٧٧. أحيا خلال حكمه الخلافة العباسية في القاهرة بعد ما قضى عليها المغول في بغداد، وأنشأ نظُماً إداريةً جديدة في

الدولة. اشتهر بيبرس بذكائه العسكري والدبلوماسي، وكان له دور كبير في تغيير الخريطة السياسية والعسكرية في منطقة البحر المتوسط.

مختلف في أصله، فبينما تذكر جميع المصادر العربية والمملوكية الأصلية، أنه تركي من القبجاق (كازاخستان حالياً)، فإن بعض الباحثين المسلمين في العصر الحديث يشيرون إلى أن مؤرخي العصر المملوكي من عرب ومماليك كانوا يعتبرون الشركس من الترك، وأنهم كانوا ينسبون أي رقيق مجلوب من مناطق القوقاز والقرم للقبجاق. وذكر المقريزي أنه وصل حماة مع تاجر وبيع إلى الملك المنصور محمد حاكم حماة لكنه لم يعجبه وأرجعه، فذهب التاجر به إلى سوق الرقيق بدمشق وهو في الرابعة عشرة من عمره، وباعه هناك بثمانمئة درهم، لكن الذي اشتراه أرجعه للتاجر لأنه كان فيه عيب خلقي في إحدى عينيه (مياه بيضاء)، فاشتراه الأمير "علاء الدين أيدكين البندقدار". ثم انتقل بعد ذلك إلى خدمة السلطان الأيوبي الملك الصالح نجم الدين أيوب بالقاهرة. وأعتقه الملك الصالح ومنحه الإمارة فصار أميراً. كان بيبرس ضخماً طويلاً ذا شخصية قوية، وصوته جهوري وعيناه زرقاوان، ويوجد بإحدى عينيه نقطة بيضاء، وقد يكون سبب زرقة عينيه أن أصله كان مختلطاً. كان شعار دولته "الأسد" وقد نقش صورته على الدراهم.

برز بيبرس عندما قاد جيش المماليك في معركة المنصورة ضد الصليبيين في رمضان من عام ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م. فقد شن الفرنجة هجوماً مباغتاً على الجيش المصري مما تسبب بمقتل قائد الجيش "فخر الدين بن الشيخ" وارتبك الجيش وكادت أن تكون كسرة، إلا أنها تحولت إلى نصر بسبب خطة معركة أو "مصيدة المنصورة" التي رتبها بيبرس، القائد الجديد للمماليك الصالحية أو البحرية وبموافقة شجرة الدر التي كانت الحاكمة الفعلية لمصر في تلك الفترة بعد موت زوجها سلطان مصر الصالح أيوب. قاد بيبرس الهجوم المعاكس في تلك المعركة ضد الفرنج، وتسبب بنكبتهم الكبرى في المنصورة، التي تم فيها أسر الملك الفرنسي لويس التاسع وحبسه في دار ابن لقمان..

بعد استتاب الأمر للمماليك في حكم مصر بقيادة السلطان أيبك، بدأ أمر أقطاي يستفحل، وأحس السلطان عز الدين أيبك بزيادة نفوذه، خاصة بعدما طلب من أيبك أن يفرد له مكاناً في قلعة الجبل، ليسكن به مع عروسه، فقرر قتله بالتعاون مع مملوكه سيف

الدين قطز والمماليك المعزية، وألقى برأسه إلى المماليك البحرية الذين تجمعوا تحت القلعة مطالبين بالإفراج عنه. ففر المماليك البحرية من مصر إلى سوريا والكرك وسلطنة الروم السلاجقة وأماكن أخرى، وكان في مقدمتهم بيبرس وقلاوون الألفي وبلبان الرشيدي وسنقر الأشقر الذين فروا إلى دمشق.

توجه المغول إلى حلب واستيلائهم عليها وتدميرهم لها، أثار موجة من الرعب في قلوب المسلمين وحكامهم، فمنهم من هرب إلى مصر كما فعل صاحب حماة، ومنهم من فضل الاستسلام حقنا للدماء كما فعل حاكم حمص. ولم يبق من المدن المهمة سوى دمشق التي جمع حاكمها الناصر من الجيوش لمواجهة المغول، ثم مالبث أن انفضت تلك الجيوش من حوله، وقد كان محتاراً في ما يفعل تجاه المغول. فما كان من المماليك الرافضين لتصرفاته المترددة إلا أن حاولوا قتله وتولية أخيه الملك الظاهر علي مكانه فاكتشف الناصر تلك المؤامرة وفر ليلاً من المعسكر إلى قلعة دمشق وتحصن بها، فلما علم مماليكه بهربه وافتضاح أمرهم ساروا نحو غزة برفقة بيبرس البندقداري، ومن غزة اتصل بسلطان المماليك الجديد قطز، فدعاه للعودة وأقطعه قليوب وأنزله بدار الوزارة وعظم شأنه لديه

عاد بيبرس لمصر بعد أن ولاه سيف الدين قطز منصب الوزارة عام ١٢٦٠ ميلادية ليشتركا معا في محاربة المغول الذين كانوا في طريقهم إلى مصر بعد اجتياحهم المشرق الإسلامي ثم العراق وإسقاطهم الدولة العباسية في بغداد. وقد اختلى قطز ببيرس البندقداري الذي كان أمير الأمراء واستشاره في الموضوع. فأشار عليه بأن: أقتل الرسل، وأن نذهب إلى كتبغا قائد المغول متضامنين. فإن انتصرنا أو هزمنا، فسوف نكون في كلتا الحالتين معذورين. فاستصوب قطز هذا الكلام، وقام بقتل رسل المغول. وقد زاد من عزيمة المسلمين وصول رسالة من صارم الدين الأشرفي –وقد وقع أسيرا في يد المغول إثناء غزوهم الشام ثم قبل الخدمة في صفوفهم– أوضح لهم فيها قلة عددهم وشجع المسلمين على قتالهم وألا يخافوا منهم. قام سيف الدين قطز بتقسيم جيشه لمقدمة بقيادة بيبرس وبقية الجيش يختبئ بين التلال وفي الوديان المجاورة كقوات دعم أو لتنفيذ هجوم مضاد أو معاكس. قامت مقدمة الجيش بقيادة بيبرس بهجوم سريع ثم إنسحبت متظاهرة بانهزام

لسحب خيالة المغول إلى الكمين، حتى هزم الجيش المغولي وقتل معظمهم بمن فيهم قائدهم كتبغا.

بعد انتصار قطز على المغول في عين جالوت، قرر بيبرس قتله سريعا و لما قتل قطز حار الأمراء بينهم فيمن يولون الملك، وصار كل واحد منهم يخشى غائلة ذلك، فاتفقوا على مبايعة بيبرس البندقداري، ولم يكن هو من أكابر المقدمين، ولكن أرادوا أن يجربوا فيه، فلقبوه الملك الظاهر وأجلسوه على كرسي الملك.

بعد مبايعة بيبرس على ملك مصر أواخر ذي القعدة سنة ٦٥٨ هـ، دقت الطبول فرحا بذلك، فدخل قلعة الجبل وجلس على كرسيها، وقد لقب نفسه بالقاهر، فقال له الوزير: إن هذا اللقب لا يفلح من تلقب به. تلقب به القاهر بن المعتضد فلم تطل أيامه حتى خلع وسملت عيناه، ولقب به القاهر صاحب الموصل فسم ومات، فعدل عنه بيبرس حينئذ إلى الملك الظاهر، ثم شرع في مسك كل من يرى في نفسه الرئاسة من أكابر الأمراء حتى مهد الملك.

عمد بيبرس أولا إلى القضاء على الإضطرابات الداخلية، وتصفية معارضيه الذين احتجوا على مقتل السلطان قطز ومنهم الأمير علم الدين سنجر الحلبي. وقد استنابه قطز بدمشق، فنادى علم الدين بنفسه سلطانا على دمشق وأمر بالخطبة له على المنابر وضرب العملة باسمه، ثم أرسل إلى الأمراء بحلب وحماة بوجوب طاعته. وقد جرد بيبرس حملة عسكرية ضده، وتمكن من القضاء عليه وإعادة دمشق تابعة إلى مصر بتاريخ ١٦ صفر ٦٥٩ هـ / يناير ١٢٦١م .

تمكن الظاهر بيبرس أيضا من القضاء على التمردات الفاطمية في القاهرة التي أثارها رجل يدعى الكوراني وهو فارسي الأصل من نيسابور، وكان يهدف إلى قلب نظام الحكم وإرجاع الفاطميين، وقد أدت تلك الحركة إلى إعلان العصيان على بيبرس والمسير في شوارع القاهرة ليلا ثم الهجوم على مخازن السلاح والإصطبلات وأخذ مابها من السيوف والخيل. إلا أن الظاهر بيبرس تمكن بقواته الخاصة من الإحاطة بالمتمردين والقبض على جميع زعمائهم ومنهم الكوراني، حيث حكم السلطان بصلبه على باب زويلة بالقاهرة. وبهذا انتهت جميع محاولات الفاطميين بالتمرد والعودة إلى سدة الحكم .

أراد بيبرس أن يضفي نوعا من الزعامة والنفوذ على البلاد الإسلامية لكي يمنح دولته الفتية نوعا من الشرعية، فعمد إلى إحياء الخلافة العباسية في القاهرة ليقيلها من الانتكاسة التي أصابتها في بغداد على يد المغول. وعليه فقد أرسل في طلب أحد أبناء البيت العباسي فوصل إلى القاهرة القاسم أحمد في رجب ٦٥٩هـ/يونيو ١٢٦١م، حيث قوبل بالتكريم والاحترام. وبعدها بأيام عقد السلطان بيبرس مجلسا عاما بالديوان الكبير بالقلعة واستدعى كل أعيان البلد، ثم قام السلطان أمام الجميع فبايع الخليفة على العمل بكتاب الله وسنة رسوله وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى الجهاد في سبيل الله، فتبعه الجميع بالمبايعة ولقب الخليفة المستنصر بالله .

بعد نهاية الخليفة الأول المؤلمة استقدم السلطان بيبرس أخاه (أبي العباس أحمد) وعقد مجلسا لمبايعته للخلافة في القلعة في ٩ محرم ٦٦١ الموافق ٢٢ نوفمبر ١٢٦٢ وبايعه بيبرس كما بايع سلفه، ولقب بالخليفة الحاكم بأمر الله الأول، وقد عدل عن التفكير بجعل مقر الخليفة في بغداد، حيث أبقاه في القاهرة بعيدا عن خطر المغول. وبذلك تم إحياء الخلافة العباسية للمرة الثانية بالقاهرة، غير أن الخلافة لم تتدخل في الشؤون المملوكية، حيث أن السلطة الفعلية كانت في يد الظاهر بيبرس والمماليك من بعده.

عمد السلطان بيبرس إلى تأمين وصول قواته إلى بلاد الشام بالسيطرة على كل المدن والقلاع الممتدة على الطريق بين مصر والشام وجعلها تابعة له، وبالأخص حصن الكرك الذي كان تحت سيطرة الملك عمر بن العادل بن الكامل الأيوبي، الذي لم يقدم فروض الطاعة له، فاستولى على الحصن وقتل الملك عمر والتفت أيضا إلى تحصين الأطراف والثغور وعمارة القلاع التي خربها المغول في الشام. وأخذ يزودها بالرجال والسلاح من مصر وبعض مدن الشام القوية، كما عمل على تقوية الأسطول والجيش وأشرف بنفسه على بناء السفن الحربية في دور صناعتها الموجودة في الفسطاط والإسكندرية ودمياط ولم يكتف بهذا العمل لتأمين وصول قواته إلى الشام ومنع أي التفاف حولهم من الخلف، بل عمد أيضا إلى التحالف مع بعض القوى الخارجية ليتفرغ للصليبيين.

شهد عهده نهضة معمارية وتعليمية كبيرة حيث عمل على إنشاء العديد من المدارس بمصر ودمشق وقد عرفت المدرسة المصرية باسم المكتبة الظاهرية بدمشق عام

٦٧٦ هجرية وتضم المدارس مكتبات ضخمة، كما أنشأ عام ٦٦٥ هجرية جامعا عرف باسمه إلى اليوم في مدينة القاهرة وهو جامع الظاهر بيبرس ما زال قائماً إلي اليوم، وتعرف المنطقة حوله باسم حي الظاهر. كما عمل بيبرس على إنشاء الجسور والقناطر والأسوار، وحفر الترع والخلجان، وأنشأ مقياس للنيل وغيرها العديد من الأعمال. ونظم البريد وخصص له الخيل، وبنى كثيرا من العمائر.

اهتم بيبرس بتجديد الجامع الأزهر فأعاد للأزهر رونقه حيث قام بالعديد من أعمال حملات الترميم والتجميل حتى عاد له جماله ومكانته مرة أخرى، وأعاد خطبة الجمعة والدراسة إلى الجامع الأزهر بعد أن هجر طويلا، ونصب أربعة قضاة شرعيين، واحدا من كل مذهب من مذاهب السنة الأربعة بعد أن كان القضاء مقتصرا على قاضي قضاة شافعي. وفي خارج مصر قام بعدد من الإصلاحات في الحرم النبوي بالمدينة المنورة، وقام بتجديد مسجد إبراهيم عليه السلام في الخليل، وزار بيت المقدس يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة ٦٦١هـ / ١٢٦٢م، فقام بتجديد ماقد تهدم من قبة الصخرة .

و على الصعيد الخارجي و ما أن استلم بيبرس الحكم حتى أقبلت الوفود على مصر من كل البقاع، فقدم إليه وفد من العصفوريين حكام البحرين برئاسة مقدمهم محمد بن أحمد العامري سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م لمباركته على الحكم وطلبوا منه مساعدته للتصدي لهجمات المغول في فارس .

وتحالف بيبرس مع بركة خان زعيم القبيلة الذهبية المغولية وأقام معاهدات وعلاقات ودية مع مانفرد بن فريدريك الثاني الإمبراطور الروماني، كما حالف ملك نابولي وصقلية وملك قشتالة ألفونسو العاشر. وحالف أيضا الإمبراطور ميخائيل الثامن إمبراطور بيزنطة، وحالف أيضا سلطان سلاجقة الروم عز الدين كيكاوس، وقد كان يبعث بالرسائل والهدايا للآخرين (بركة خان وعز الدين) ويحثهم على محاربة المغول الإلخانات لكف أذاهم عن دولته، كي يتفرغ للصليبيين.

الجهاد ضد المغول

إن العداء بين المماليك والمغول لم ينقطع منذ وقعة عين جالوت، إذ ظل مغول فارس يتحينون الفرصة للثأر، وخاصة ابغا ابن هولاكو، الذي واصل سياسة أبيه العدائية تجاه

المسلمين، فيما اتسمت سياسته مع الصليبيين بالود. لكن الظاهر بيبرس وقف لهم دائماً بالمرصاد واستطاع أن يكسر شوكتهم، مما دعا ابغا إلى طلب الصلح، ولجأ في طلبه إلى الترغيب والتهديد، لكن بيبرس كان يعلم جيداً أن الصلح مع المغول أمر لايرضي المسلمين، وذلك بسبب ما فعلوه في بغداد. ورغم ذلك واصل المغول هجماتهم على الساجور لكن بيبرس ردهم خائبين، ثم ما لبثوا أن هاجموا عين تاب، لكن بيبرس دحرهم، وهكذا قام بكسر التتار في أخرها عندما تحالف المغول مع سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، فأعد حملة كبيرة سنة ٦٧٥هـ، لغزو سلاجقة الروم. وفي موقعة أبلستين حلت الهزيمة الساحقة بالمغول وحلفائهم من السلاجقة، وقد فر زعيم السلاجقة بعد أن قتل عدد كبير من رجاله ورجال المغول، ثم دخل بيبرس قيسارية، ودعي له على منابرها وقدم له أمراء السلاجقة فروض الولاء والطاعة .

و بعد أن أنهى السلطان بيبرس مشاريعه الداخلية، تفرغ للجانب الصليبي، وبدأ العدة للحرب، مما دفع الصليبيين إلى التفاوض معه أواخر عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م بطلب استرجاع أسراهم وعقد هدنة، فوافق بيبرس بشرط العودة إلى ما كان عليه الأمر أيام الملك الناصر صلاح الدين وإطلاق الأسرى غير أن الصليبيين لم يوافقوا. ولكنهم عادوا مرة أخرى عندما قويت شوكته وحرك الجيوش بإتجاه حصونهم، فطلبوا منه الصلح، فما كان رده إلا أن قال:"لم لا كان هذا قبل حضورنا إلى هذا المكان؟ ردوا ما أخذتموه من البلاد وفكوا أسرى المسلمين جميعهم فإني لاأقبل غير ذلك"

بدأ بيبرس حربه بمهاجمته إقليم الجليل، ثم الهجوم على عكا واقتحام أبوابها عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م ولكنه لم يتمكن من اقتحامها لحصانتها وكثرة من بها من الصليبيين، فتركها وهاجم بالشهر التالي قيسارية وعثليث. وفي عام ٦٦٣هـ/١٢٦٥م نزل بيبرس بقوات ضخمة إلى غزة ومن هناك إلى قيسارية ففتحها في جمادى الأول ، ثم تقدم صوب يافا فدخلها بغير قتال، لأن الصليبيين فروا منها هاربين. ثم سار نحو عثليث وحررها، وقد كانت بأيدي الصليبيين منذ سنة٦١٤هـ/١٢١٨م. ثم اتجه صوب أرسوف وضرب عليها حصارا شديدا استمر ٤٠ يوما، استسلمت بعده المدينة. ومن أرسوف اتجه مرة أخرى صوب عكا، غير أنه لم يستطع أن يحرر المدينة نظرا لمساندة هيو الثالث ملك قبرص وإمداده بإسطول

كبير شمل كل قوة قبرص البحرية. لذا تركها بيبرس وعاد إلى مصر، ليعاود الكرة على الصليبيين بعد انتهاء الشتاء، وبدأ عمله أوائل صيف ١٢٦٦م/٦٦٤هـ. حيث بدأ بمدينة صفد وتمكن من تحريرها ١٧ شوال ٦٦٤هـ / يوليو ١٢٦٦م ثم حرر هونين وتبين والرملة. نتيجة لتلك الإنتصارات ضعفت معنويات الصليبيين في الشام وسارع البعض إليه يطلبون وده ورضاه مقابل تنازلهم عن نصف غلات المناطق التي تحت سيطرتهم.

شجع ضعف الصليبيين الظاهر بيبرس للانتقام من العناصر والدول التي ساعدت المغول في قتل المسلمين وتدمير بلادهم، خاصة بعد موت هولاكو وانشغال خليفته أباقا في حربهم مع مغول القفجاق، الذين اعلنوا إسلامهم. وكان على رأس تلك الدول مملكة أرمينيا الصغرى وذلك أن ملكهم هيثوم بن قسطنطين بن باساك تحالف مع المغول بشكل مباشر وأمدهم بفرقة من قواته لحرب المسلمين بالشام.

بدأت الحملة لاسترداد أنطاكية من الصليبيين، فوصل بيبرس بجيوشه إليها يوم الثلاثاء ١ رمضان ٦٦٦هـ/ ١٥ مايو ١٢٦٨م، وهناك قسم جيوشه إلى ثلاث فرق وزعها حول المدينة ليحكم حصارها ويمنع وصول المدد إليها من البر والبحر. ولم يستطع الصليبيون المدافعون من المقاومة، بسبب شدة الحصار وقوة المهاجمين، ففتحت المدينة وتمكنت جيوش بيبرس من دخولها وغنموا غنائم كبيرة لا تعد ولا تحصى من الأموال والأسرى .

وقد كان سقوط تلك الإمارة الصليبية حدثا مهما في تاريخ الحروب الصليبية، فقد انقطعت صلة الصليبيين في طرابلس وعكا بأرمينية الصغرى، وبذلك غدت مصالح الصليبيين في الشام مهددة بشكل مباشر ولم يبق أمامهم سوى مملكة قبرص الصليبية التي توحدت مع مملكة طرابلس وعكا لأنهم انضموا إلى تاج الملك هيو الثالث، والذي باشر حكمه بعقد هدنة مع السلطان بيبرس إلى حين وصول المساعدات من أوروبا. وقد وافق بيبرس على الهدنة لكي يعطي قواته قسطا من الراحة، خاصة وأن فصل الشتاء قادم، ويتطلب منه لعودة إلى مصر ليدير بعضا من شؤونها الداخلية .

كما حقق بيبرس انتصارات عديدة على المغول في موقعة البيرة وحران، ورد هجمات المغول المتتابعة على بلاده، إلى أن قضى عليهم عند بلدة أبلستين وذلك في عام

٦٧٥هـ، وبذلك حقق بيبرس ما كان يبتغيه من تأمين لجبهته الخارجية وحدود دولته. وقد دام حكمه حوالي سبعة عشر عاماً .

توفي الظاهر بيبرس يوم الخميس ٢٧ محرم من عام ٦٧٦ هجرية – ٢ مايو ١٢٧٧ ميلادية ودفن في المكتبة الظاهرية في دمشق وتولى من بعده أكبر أولاده ناصر الدين الحكم، إلا أن أولاد بيبرس لم يدم لهم الحكم طويلاً، ثم تولى الحكم المنصور قلاوون.

و لعل أهم ما كان يتصف به بيبرس: الشجاعة والإقدام والدهاء، والكرم وحب الخير والإحسان إلى الفقراء، وإكرام العلماء وسماع نصائحهم والسكوت على مخاشنتهم له في النصح –كما كان يفعل معه عز الدين بن عبد السلام، والنووي.

وصف بيبرس بأنه كان يتنقل في ممالكه فلا يكاد يشعر به عسكره إلا وهو بينهم. وقيل عنه أنه ما كان يتوقف عن شيء لبلوغ غايته. كان يعد الوعود الكاذبة، ويكتب كتباً مزورة، ليحمل فيها قوى الحصون على الاستسلام له.وكان نجاحه يعتمد على تنظيمه وسرعته وشجاعته المتناهية.

(٥)

المنصور قلاوون

٦٧٨هـ

المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي أحد أشهر سلاطين المماليك البحرية، وقد رأس أسرة حكمت مصر والمشرق العربي مايزيد على قرن من الزمان. كان من رجال الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأبلى بلاء حسناً في معركة المنصورة، وعلا شأنه بعد ذلك، فكان من كبار الأمراء أصحاب النفوذ في دولة بيبرس. بويع له بالسلطنة في الحادي عشر من رجب سنة ٦٧٨هـ خلفاً للملك الصغير العادل بدر الدين سُلامش. وتتحدث أغلب مصادر هذا العصر عن لقب الألفي وهو لقب أطلق على السلطان المنصور قلاوون وذلك نسبةً إلى قيمته، فقد اشتراه أستاذه الأمين علاء الدين بألف دينار وقد ارتفعت قيمته لحسن سيرته .

بدأ السلطان قلاوون ولايته بمحاربة الخارجين عليه كالأمير سنقر الأشقر، حيث بعث إليه حيث هو بالشام جيشاً بقيادة الأمير سنجر، وظلا في سجال من القتال حتى توالت الأنباء بقرب عودة التتار فكتب السلطان المنصور إلى سنقر "إن التتار قد أقبلوا، والمصلحة أن نتفق عليهم، لئلا يهلك المسلمون بيننا وبينهم، وإذا ملكوا البلاد لم يدعوا منا أحدا"، فكتب إليه سنقر بالسمع والطاعة.

في السابع والعشرين من جمادى الآخرة ٦٨٠هـ وصل الخبر بقدوم منكوتمر بن هولاكو بجيشه إلى عنتاب، فخرج إليه السلطان وعسكر في حمص، واستقدم سنقر الأشقر وقواته، ودخل التتار حماة فخربوا فيها، ثم وصلوا إلى حمص حيث التقى الجمعان.

اضطربت ميمنة المسلمين في البداية، ثم الميسرة، وثبت السلطان ومن معه ثباتاً عظيماً، ماحمل الأمراء والقادة على الانقضاض على التتار فكسروهم كسرة عظيمة، وجرحوا ملكهم، وقتلوا منهم الكثير، وكانت مقتلة تفوق الوصف، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين انتصاراً مظفراً، ودخل السلطان المنصور دمشق في أبهة النصر في ٢٢ من شعبان وبين يديه الأسرى حاملين رؤوس قتلاهم على الرماح.

و استكمالا لرحلة الجهاد ضد الصليبيين عزم السلطان المنصور على استكمال رحلة الجهاد ضدهم التي بدأها أسلافه. في سنة ٦٨٤هـ فتح حصن المرقب وبانياس وفي سنة ٦٨٨هـ فتح طرابلس (لبنان) بعد حصارها واستعمال المنجنيق وغنم جيشه غنائم عظيمة. عزم السلطان على المسير إلى عكا إلا أن الأجل لم يمهله، فكان شرف فتحها لولده الذي خلفه، السلطان البطل الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون.

و توفي السلطان قلاوون بقلعة الجبل بالقاهرة في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ، وفيها غُسّل وكفن، ثم حُمل إلى تربته الملحقة بمدرسة العظيمة بين القصرين (شارع المعز) فدُفن فيها، ولا تزال المدرسة شامخة شاهدة على عظمة هذا السلطان وازدهار عهده.

خلف السلطان المنصور ولده السلطان الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون الذي استكمل رحلة الجهاد وفتح فتوحاً عظيمة، ومن بعده أخوه الناصر محمد بن قلاوون وظل الحكم في ولد قلاوون نحو قرن من الزمان.

(٦)

الملك الصالح صالح

كما حدث وقتها تمرداً عسكرياً مما أدى إلى خروج ملك مصر (الملك العادل) إلى بلبيس وجمع الجيش الموجود في بلبيس أن يمسكوه ويرسلوا إلى الملك الصالح لكي يأتى ليتسلم مملكة مصر، ففى ليله صباحها كان يوم الجمعة ٩ من ذى القعدة سنة ٦٣٦ هجرية الموافق ٧ بؤونة ، وكان الذين قادوا التمرد هم ثلاثة من الخدام وهم : شمس الخواص مسرور ، وشبل الدولة كافور ، والصفى جوهر النوبى والأشرفية .. وكان رئيسهم مملوك أسمه بابيك الأسمر، وحاصروا خيمة السلطان الملك العادل لابسين المعدات الحربية من العشاء حتى باكر اليوم وفى الصباح أخرجوه ووضعوه فى خيمة ووضعوا حراسة على الخيمة ليلاً ونهاراً ،

وأطلقوا الجيش وسائر الأمراء من الأكراد على بلبيس فنهبوا مساكنها ونهبت الكتب والحكماء والمغنون والأسواق وحدثت سرقات كثيرة إلا أنه لم يحدث سفك دماء . ثم حاصروا الخواص (تعنى الجنود الأتراك القريبين من الملك العادل) وأستولوا على ممتلكاتهم ، وكتبوا إلى السلطان الملك الصالح وكان بالقدس وكان ينوى الذهاب إلى الكرك، فقد عجز على التواجد فى غزة فقد كان عسكر المصريين ورائه وعسكر الفرنجة أمامه ومعهم ملك دمشق . وكان نية الملك الناصر ابن عمه أنه إذا رجع إلى الكرك يحاصره ويخلعه ..

وقام الملك الصالح بعزل الأمير جمال الدين بن بعور من الأستاذية (الوزارة) وولاه ثغر الأسكندرية ، وعزل بدر الدين يونس من الأمير جندارية وولاه القاهرة ، وأعطى المعين بن الشيخ وزيره وزارة الأشغال ، وأرسل جملة عسكرية بقيادة الأمير زين الدين بن أبى ذكرى وكان معهم مجموعة من الذين قادوا الثورة على الملك العادل وكانوا حوالى ألف فارس إلى الصعيد للقضاء على العربان .

أما الملك العادل فقد أخذه أخوه الملك الصالح وحدد أقامته فى القلعة وجعله فى مكان لا يصل إليه أحداً ولم يعد أحد يراه ولم يعد احد يعرف أين هو .

وفي سنة ٩٥٧م الموافق الأربعاء من صفر سنة ٦٣٧ للهجرة أصبح الملك الصالح ملك مصر والوزير معين الدين بن الشيخ والقاضى شرف الدين بين عيد الدولة الإسكندرانى، وأسند ولاية القاهرة إلي بدر الدين يونس .

وفي وقتها ذهب الفرنجة للهجوم على نابلس والعور ثم ذهبوا إلى غزة وأحتلوها وأخذوا أورشليم وأبتدأوا يبنوا حصن عسقلان ويرمموا أبراجها، وحدث هذا بموافقة الملك الصالح غازى ملك دمشق عم السلطان الملك الصالح ملك مصر ، وأن الملك الصالح ملك دمشق أعطاهم رهناً بموافقته .. أما الملك الصالح ملك مصر فقد ارسل أربعة ألاف فارس ليهاجموا غزة .

الملك الصالح يجهز حملة إلى اليمن

أعد السلطان الملك الصالح حملة إلى اليمن عددها ألفا فارس وفيهم أكثر الأمراء الكبار وجهزوا الجمال والدواب والقرب(لشرب الماء) وغيرها وجهز لهم فى البحر مراكب حربية حوالى أربعين قطعة صنعت فى مصر وركبت وحملت أجزائها على ظهر الدواب إلى القلزم (السويس) لتركب هناك وتسافر، وكان رجال الأسطول غرباء عنها. وقد أمتلأت الفنادق والأماكن بهم، وأنفق الملك الصالح مبالغ كبيرة على هذه الحملة البحرية وعزل السلطان عزلاً مشيناً .

(٧)

الملك الجواد مظفر

كان ملك دمشق الجواد مظفر الدين بن مودود سلم دمشق للملك الصالح وكان قد أعطاة ملك مدينة سنجار، إلا أن ملك الموصل احتال عليه وأخذ سنجار منه ولم يبق مدن فى ملكه إلا عانة فباعها للخليفة ، وذهب إلى مصر عن طريق الصحراء لأن ملك دمشق وملك الكرك لم يسمحا له بالمرور عبر أراضيهما للذهاب إلى مصر. وظل بالعباسة وكان معه ابن ملك حمص الصغير وأبن ملك قلعة جعبر فأعطيت لهم النفقات والإقامات والكساوى والأنعام والخيل والبغال وكل ما يحتاجون إليه وأمروهم بأن يتجهوا إلى الشوبك فإتجهوا إلى غزة وما بعدها.

وبدأت حركة تعمير واسعة فى مصر وبناء الكثير من المساكن من كثرة المهاجرين من الشام والشرق ووصل منهم أمم لا تحصى وبنوا لهم مبانى كثيرة جدا خارج المدينة وأصبح غلاء فى جميع الأماكن ما عدا مصر ، وصارت مدينة القاهرة مكتظة بالناس، ويقول أبن المقفع فى تاريخ البطاركة يصف هذا الإزدحام بأن : " صارت المدينة بمقدار عشرة مدن " .

أما الملك الصالح فقد خصص مكاناً وأسماه دار العدل ووظف فيه ثلاثة أشخاص هم الأفتخار ياقوت الجمالى اليمنى ، والشريف قاضى العسكر وهو من كبار الناس

وأسيادهم ، والفقيه عباس وكان وظيفته خطيب القلعة .. وكان الناس يرفعون إليهم شكاواهم ، وأستراح الملك الصالح من النظر فى الشكاوى وذهب هو للتمتع بالصيد .

ووصلت رسل الفرنجة لطلب الصلح مع الملك الصالح على أبقاء البلاد التى أعطاهم الملك الصالح بن المعظم فى أيديهم وأن يتبادلوا الأسرى الذين اخذوا فى الحرب الأخيرة على أن يعيدوا أسرى المسلمين الذين أسروهم ، وذهب شيخ الشيوخ إليهم ليتم الأتفاق وأثبت الأتفاق أن حلف الفرنجة للسلطان الملك الصالح ، وحلف الملك الصالح لهم ، وأخرج الملك الصالح الأسرى الذى أسرهم من الفرنجه والخيالة الذين كانوا معه وخلع عليهم وألبسهم ملابس حسنه وركبوا فى موكب وأخترقوا شوارع القاهرة وتوجهوا إلى بلادهم .. أما البلاد التى كانت تابعة للفرنجة فهى : أورشليم (القدس) وبيت لحم وعسقلان وما حولها وبيت جبريل وما حولها وغزة وطبرية وما حولها ومجدليانا وما حولها وجبل عامله وصفد وكوكب والطور وتبنين وهونين والشقيقان، وبإختصار جميع بلاد الساحل ما عدا نابلس والخليل ومدينة غزة وترددت إشاعات أن الصلح كان مع العرب والأسنارية فقط وأن الديوية لم يحلفوا .

أخرج الملك الصالح أموالاً كثيرة وسلمها للفقيه بهاء الدين بن الجميزى وأمره بترميم المساجد وتبيضيها ونقشها ، ونقش على ابوابها أسم السلطان الملك الصالح أيوب وتاريخ تجديدها وعمارتها الذى هو ٦٣٨ هجرية .

كما أمر الملك الصالح ببناء قنطرة على الخليج مكان السد حتى يعبر عليها فى أيام فيضان النيل ويذهب إلى بستانه المعروف ببستان الخشاب وأعدت التجهيزات لتنفيذها قبل الفيضان وأنجز بنائها فعلا قبل الفيضان .

أعد الملك الصالح حملة إلى الشام وكان قوامها حوالى ٣٠ ألف فارس وكان قائدهم كمال الدين بن الشيخ وعلاء الدين قراسنقر الساقى ومعهم أفراد من العرب لا يحصى عددهم وكان هدفهم نابلس أن يستولوا عليها من الملك الناصر بن المعظم، وكان فى العباسة الملك جواد مظفر الدين بن ممدود الذى كان ملك دمشق وكان معه أبن ملك حمص الصغير وأبن ملك قلعة جعبر فأعطاءهم عطايا وأموال وأمرهم بالمكوث فى أماكنهم .

اتفق أن عساكر الملك جواد المظفر توهموا أن الجيش الذى أرسله الملك الصالح ملك مصر أنها تقصدهم لتمسكهم فرحلوا فى طرق وعرة واجتمعوا بالملك الناصر بن المعظم وأتفقوا معه على أنهم يد واحدة مع من والاهم على من عاداهم ، وحدث أن العساكر المصرية طمعوا فيمن قدامهم من عساكر الملك جواد المظفر وكان الملك الجواد يقودهم وكان عددهم ٣٠٠ فارس فقط فسبقوهم عبر المضايق إلى رأس العقبة التى هى ناحية من نواحى القدس التى على طريق بيت توبه ، وظهرت مقدمة فرسان مصر وقائدهم علم الدين سنجر الفخرى ومعه الشجاع الأكتع والأمير احرى والمسابك وكانوا كثيرى الجند فهجم عليهم الفرسان الثلاثين فقتل من قتل وهرب من هرب وأسر من أسر، ولما شاهد مؤخرة الجيش لم يدفع بقوات للأمام ولم يردوا الهاربين ولم يصمدوا وتقهقروا مهزومين إلى غزة وبدلاً من أن يرتبوا صفوفهم للهجوم مرة أخرى فضلوا الرجوع إلى مصر، فلما علم جيش الملك الناصر بن المعظم طارد بجيوشه جيش مصر المتقهقر ، ومن ناحية اخرى تمرد عليهم العربان الذين كانوا معهم وغيرهم من أهل البلاد فنهبوهم وأخذوا كل شئ معهم والذى نجا منهم نجا بحياته راجلاً .

ووصل عساكر الشام عساكر الملك الناصر بن المعظم إلى منطقة اسمها الخزانة وكان كمال الدين بن الشيخ فيها فأخذوا الخزانة عن آخرها وأخذ كمال الدين أسيراً وأرسلوه إلى الملك الناصر ، وكانت هزيمة ثقيله سببها ٣٠٠ فارس فقط ، ووصل عسكر مصر إلى بلبيس وأرسلوا لهم الطعام والملابس والخيل وأمرهم الملك بالحضور إلى القاهرة. ولم يتكلم الملك الصالح معهم بشئ وظلوا فى وظائفهم العسكرية، وظل الذين فى الأسر كما هم، ولم يفصل من مركزه إلا فخر الدين بن جلدك لأنه كان قاسياً مع الجنود بالرغم من هزيمته من غير قتال .

ووقع بين الملك الناصر بن المعظم والملك الجواد خلاف بسبب سوء الفهم فقد ظن الملك الناصر أن الملك المعظم تآمر عليه فخاف على نفسه، فأمر بالقبض عليه ولما أراد أن يرسله إلى الكرك ويحبسه أشاروا عليه بأن الملك الجواد ملك شجاع وأنه من أهل بيته، ومن الواجب أن تخرجه من البلاد التى تملكها وتتركه فى الصحراء فإذا هلك لم يكن بيدك وإذا عاش فهذا حظه ، فتركوه فى البرية التى فى الشرق من بغداد .

وعمل الملك جواد على أن يذهب إلى الشام مرة أخرى وترددت إشاعات أنه أغرى العربان الذين فى المنطقة فأوصلوه إلى هناك، وقيل أنهم لما تركوه رجع إلى الشام بنفسه ، وفى الشام ذهب إلى الملك الصالح عمه ملك دمشق وأتفقوا وأرسلت الرسائل بين الملك الصالح ملك مصر وبين الملك الناصر وأصطلحوا وحلفوا اليمين كل منهما لصاحبه وأفرج الملك الناصر عن الأسرى الذين أسرهم عنده وهم كمال الدين بن الشيخ والأمراء الذين كانوا معه بعد أن خلع عليهم (أعطاهم هدايا) وأكرمهم بعد أن كانوا فى هوان الأسر وذله ولم يعد معهم الشجاع الأكتع لأنه تردد أن خانه مرتين فقتله وترددت أشاعات أنه فى سجن قلعة الكرك .

وخرج الملك الصالح ملك دمشق ومعه ملك حمص وملك صرخد والملك الجواد الذى ألتجأ إليه لينتقم من الملك الناصر، وحاصر نابلس التى يملكها الملك الناصر وهاجم فرقة عسكرية من فرق الملك الناصر فهزمها وأسر الباقى منهم ونهب، ووصل إلى غزة فرحلت الحامية العسكرية عنها وكان الفرنجة قد خرجت قواتهم معهم لأن الأيوبيين أعطوهم مدن الساحل ووعدوا الفرنجة ببلاد أخرى إذا نجحت خطتهم .

أما الملك الصالح ملك مصر فقد بدأ يعد فى تجهيز الجيش فجهز خيمته وأخرج أجهزته الحربية ونصب خيمته فى الخندق وأرسل مقدمة الجيش إلى العباسه ، ولكن وردت أخبار تفيد أن العساكر الشامية لم تحتل غزة ، ووردت أخبار أخرى أن جيش الملك الصالح ملك دمشق والملوك الذين معه رجعوا ، فتوقفت الحركة النشطة فى تجهيز الجيش المصرى، ولكنه فيما يبدوا أرسل جنوداً وراءهم لأن أبن المقفع فى مخطوط تاريخ البطاركة – سيرة الأباء البطاركة – (ساويرس إبن المقفع أسقف الأشمونين أعده الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر وتوابعها، طباعة النعام للطباعة والتوريدات، رقم الإيداع ١٧٤٦١/ لسنة ١٩٩٩ الجزء الثالث) ص ٢٢٣ يقول : ودخلت سنة ٩٥٨ شهداء وكان الملك الصالح ملك مصر والوزير معين الدين بن الشيخ والقاضى شرف الدين بن عين الدولة الأسكندرى والبطرك كيرلس المعروف بابن لقلق وفيضان النيل فى زيادة والأسعار هابطه، ووردت الخبار بإنهزام عساكر الشام وإنسحابهم إلى دمشق، فقد هزمهم عسكر الملك

الناصر بن المعظم، وحضر إلى القاهرة رسل الفرنجة تطلب الصلح مع الملك الصالح الذى أتفق مع الملك الناصر وفضلوا الهدنة على أن يظل كل ما فى أيديهم معهم .

وذهب الملك الصالح إلى المناطق التى كان يبنيها فى الجزيرة وأنتهى العمل فى بعضها ولم تنته بناء القصور الملكية والحدائق فالبناء ما زال مستمرا فيها .

أمر الملك الصالح فى هذه السنة أن يبنى جسر على النيل وقد تكون هذا الجسر من ٢١ مركباً وكان عرض الجسر جملين محملين أحدهما قادما والآخر ذاهباً ولا يزدحمان. وبعد مدة بطل استخدام الجسر لأن النيل زاد وتكسرت بعض المراكب المستخدمة، وقال بعض الناس أنه ربما أعيد أستخدامه بعد الفيضان .

أكتشف الملك الصالح مؤامرة من الأمراء فقبض على واحد منهم أسمه ابن فلاح كان قد أحسن إليه الملك الصالح وكان من الأتراك الأشرفية، وهذه الفئة من الأتراك كانوا قد قادوا مؤامرة من قبل ضده. وقبض على أميرين من أمراء الأكراد وهما : بهاء الدين بن ملكيشوا ، وناصر الدين بن برطاس وأرسلهم إلى القلعة تحت حراسة وحدد إقامتهم هناك واستولى على أموالهم وبيوتهم وكل ما لديهم .

وقبض على أمير كبير من الأتراك من مماليك أبيه أسمه سنجر اليمنى، وأشيع أن الملك الصالح طرده من بلاد مصر ومعه مجموعه من المطاريد بعضهم معروف والبعض غير معروف .

كما عزل الملك الصالح القاضى شرف الدين قاضى قضاة مصر وأقتصر عمله على قضاء القاهرة والوجه البحرى ، وأعطى وظيفة قضاء الصعيد إلى رجل كان قاضى سنجار وهو من أصحاب الملك الصالح وكان يخدم الملك الصالح أيام كان بسنجار .

وحدث أن الأمير وجيشه الذين بقوص وكان قائدهم أسمه طفر بل الحجافى الزاهد وكانوا أتراكاً، وجعل الجنود أميرهم سلطاناً وقبضوا على والى قوص المعين من قبل الملك الصالح، وجمعوا الزكاة والخراج وتصرفوا فى الخواص (خدام الملك الصالح) إلا أنه لم يتبعهم أحد من العرب الموجودين فى المنطقة لخوفهم من الملك الصالح. وأرسل الملك الصالح حمله من الفرسان عددها حوالى ألفي فارس وكان رئيسهم أسمه الركن الهيجاوى فى

بر الشرق وأمر الأشراف (عرب) فى بر الغرب فجمعوا من عشايرهم وقبايلهم أكثر من ألفي فارس إلى أن وصلوا إلى منية خصيب .

ووصل رجل مسلم من الصعيد كان يسكن فى الدمامين وكان زاهداً اسمه الشيخ مفرج وجاء فى حراقة (مركب) فى أربعه أيام إلى القاهرة ويعظمه المسلمون وقيل أن له كرامات، وكان السلطان يعظمه وسائر الوزراء وسائر المسلمين ، وطلب الأمان فى من فعل التمرد وقفل باب الفتنه وحقن الدماء ، وأجتمع مع الملك الصالح وأخذ منه كتاب أمان (رساله عفو عن المتمردين) وتوجه على الفور إلى حراقته ورجع وكانت الحملة وصلت إلى أخميم فسلم المتمردون أنفسهم إلى الركن الهيجاوى ورجع الجميع إلى القاهرة ، ولما وصلوا لم يقابلهم الملك الصالح. وصدر أمر بعد عدة ايام وترددت إشاعات أنهم بقوا فى القاهرة وقال آخرون أنهم حبسوا بعضهم أما باقيهم فأرسلوهم إلى الريف بشرط ألا يركب أو يمتلك أحدهم فرساً ولا يحمل سلاحاً بل يصبح فلاحا أو تاجراً إذا أراد، وإن أراد أحد بيته فليبعه ويذهب، لأن الفقهاء أفتوا بأنه : " حل قتلهم لأنهم شقوا العصا على ملك البلاد المسلم ونكثوا العهد وغدروا وعدم أطاعه ملك المسلمين وأشعلوا نار الفتنة " ولكن عفا عنهم الملك الصالح .

وأمر الملك الصالح بتجهيز الجيش وخروجه للحرب وتجهز الجيش ولكنهم لم يخرجوا .

أما الملك الجواد بن ممدود فقد أتفق مع الفرنجة وهاجموا غزة وأخذوا كل ما كان بها وعادوا ونزلوا إلى قيسارية وكانوا يهاجمون مواقع أخرى على الساحل ، وبعد جلاءالفرنجة والملك الجواد ذهب الملك الناصر إلى غزة وعسكر بها هو وجيشه .

بدأ الملك الصالح ببناء مدرسة بالقاهرة قدام الصاغة فى المكان الذى يسكن فيه البياطرة قدام القصر، ونقل البياطرة من مكانهم فسكنوا فى ناحية باب البحر إلى صوب الركن المحلق، وأزال جانباً من القصر وهو الجانب الذى يلى باب الزهور إلى بحرى بطول مائة ذراع والعرض مثلها، وأهتم بهذا البناء مع بناء قلعة الجزيرة وبناء القلعة بالجبل وعمل مناظر ببستان الخشاب .

ثم أمر الملك الصالح بخروج الجيش فى اتجاه الشام لوصول أخبار بأن رسول الخليفة العباسى فى بغداد إلى تل العجول، وتجهز الجيش وخرجت لاستقبال رسول السلطان وأستعدوا لاستقباله فى خارج القاهرة من مسجد التبر إلى بركة الحب ، ووصل رسول الخليفة إلى القاهرة وخرج السلطان لاستقباله شخصياً وأسكنوه بدار الوزارة .

وخرج الفرنجة من يافا وذهبوا إلى نابلس وقتلوا كل من كان بها من المسلمين والنصارى وهدموا الجامع إلى الأرض وحرقوا الأشجار وخربوا البيوت والمساكن ، وقد وردت الأنباء أن الفرنجة جمعوا أهل نابلس كلهم وقالوا من كان نصرانيا ينعزل إلى هذه الجهة ففرح النصارى وظنوا أنهم يميزونهم عن المسلمين وأنهم لن يفعلوا معهم أى شئ فلما ذهبوا إلى الجهة الأخرى فقتلوهم جميعاً أما المسلمين فإنهم قتلوا منهم البعض وأسروا البعض الآخر وقد عم القتل النساء والأطفال والكبار فى السن وقد أقاموا فى نابلس ثلاثة أيام ثم عادوا بالسبى والغنائم .

وأمر الملك الصالح الجيش المملوكى بالذهاب إلى الشام فخرج ألفى فارس يقودهم مملوك أسمه شمس الدين سرا سنق الذى كان أستاذ الدار (وزير) ووصلوا إلى غزة وأتحدوا مع جنود غزة الذى يقودهم الملك الناصر وصاروا جيشاً كبيراً، وعسكروا فى منطقة تسمى العوجا أمام يافا وقرروا حصار يافا فإستعد الفرنجة لهذه الحرب . ثم حدث أن أرسل الملك الصالح سنقر برسالة إلى الأمير المملوكى شمس الدين سراً وأمره بأن يرجع بالعسكر الذين معه إلى مصر فترك العساكر المصرية خيامهم وادواتهم الحربية ورحلوا. ولما رأى الملك الناصر ذلك حمل الملك الناصر قماشه وخيامه وعسكره ورحل إلى الكرك ، أما باقى العسكر فرجعوا إلى غزة وهم من فئة .. الأشراف ، والصارم المسعود ، وشمايل ، ورجال من الذين كانوا متمردين على الملك العادل رئيسهم ريحان الصاحبى .

توافدت أخبار من بغداد بوفاة الخليفة العباسى المستنصر بالله وقد أطلقوا على ابنه اسم المستعصم بالله وأرسل الخليفة الجديد رسله إلى القاهرة وأمروا بأن يخطب له فى الجوامع وضربت السكة (النقود) باسمه، وقد أمر الملك بأن يحضر أمراء غزة إلى القاهرة وهم من الأمراء الأشراف أولاد تعلب، وحدث أنهم وهم ذاهبين إلى مصر وجدوا الفرنجة يهاجمون الواردة ونهبوها وأسروا منها مجموعة، ثم ذهب الفرنجة إلى قطية وفى نفس

الوقت نزل الأتراك الأشراف فيها ولم يعلموا أن الفرنجة قد هاجموها فى الليل وهاجموا سوق البلدة ونهبوه وأمسكوا كل من وجدوه وربطوهم فى سلاسل. ولما بلغ الأتراك الأشراف ما حدث ركبوا خيولهم (كان الأتراك الشراف قلة وضعاف لأنهم أقرباء بعضهم البعض) ولكنهم هاجموا الفرنجة بعنف من أول الليل إلى طلوع الشمس، وخلصوا المسلمين الذين كانوا قد أسروهم وقتلوا ٢٠ من الفرنجة وجاءوا بروؤسهم على أسنة الرماح ، وخلصوا ثلاثة أنفس من المسلمين منهم. وتكاثرت الإشاعات عن بطولتهم ، وخلع عليهم الملك الصالح خلعاً سنية (ملابس وأموال) وكانوا ثلاثة أمراء أولاد عم وهم حصن الدين أصغرهم فى السن وكان أكبرهم مكانة ، وشرف الدين، وتقى الدين. وتحرك العسكر الشامى بقيادة الملك الناصر بن الملك المعظم ملك الكرك حيث أتفق مع الفرنجة صوب غزة وعاد الأمراء الأتراك إلى غزة ووصلوا إلى فاقوس ، وأمر الملك الصالح بخروج الجيش وأعطى لكل أمير بعدد حلقته (جنوده) عشرة دنانير أى إذا كان معه مائة جندى أعطاه ألف دينار والجندى لكل واحد عشرة دنانير أما رجال الحلقة فأربعين ديناراً لكل منهم وصرف الملك الصالح فى هذه الحملة مائتي ألف دينار .

وأمر الملك الصالح بنفى جماعة الأمراء المعتقلين فأخذ لهم قوارب وأركبهم فيها ومضوا بهم إلى جزيرة فى الغرب أسمها طلمشة فتركوهم فيها .

وردت الأخبار بأن الملك الناصر بن الملك المعظم ملك الكرك اتفق مع عمه الملك الصالح ملك دمشق ومع ملك حمص ومع الملك الجواد الذى أتفق مع الفرنجة، أخذوا جيشاً وهاجموا الشوبك وحاصروها ، أما العساكر المصرية فقد رجعت إلى غزة .

وأعتقل ابن الملك الناصر الذى كان بالقلعة فى القاهرة وأعتقلوا كل العساكر الذين معه وحبسوهم، ولم يعودوا يعطونهم رواتب ، أما مدينة قاى التى أعطيت لابن مليح فقد أخذت منه لأنه من أصحاب الملك الناصر ملك قلعة عجلون .

ووردت أخبار أخرى بأن الملك الصالح ملك دمشق وملك حمص أتفقا على الملك الجواد وهو معهما وعندهما (غدر) فقبضا عليه وسيراه إلى دمشق ورحلا إلى دمشق ، أما الملك الناصر فقد رحل عن الشوبك عندما سمع بما حدث من خديعة وكان على وشك الاستيلاء عليها وذهب إلى الكرك وأعد الملك الصالح جندا ووجههم إلى غزة .

(٨)

الناصر بدر الدين أبو المعالي الحسن

(السلطان حسن)

الناصر بدر الدين أبو المعالي الحسن بن الناصر محمد بن قلاوون تولى عرش مصر في الفترة من ١٣٤٧ – ١٣٥١ كسلطان للدولة المملوكية بمصر والشام.

هو الابن الثامن من أبناء الناصر محمد بن قلاوون ، تولى الحكم بعد أخيه المظفر زين الدين حاجي ، وتولى بعده الحكم أخوه الناصر بدر الدين للمرة الثانية.

ولد السلطان حسن سنة (٧٣٥هـ – ١٣٣٥م) ونشأ في بيت ملك وسلطان؛ فأبوه السلطان الناصر محمد بن قلاوون صاحب أزهى فترات الدولة المملوكية، وقد بلغت فيها الدولة ذروة قوتها ومجدها، وشاء الله أن يشهد الوليد الصغير ست سنوات من سني

حكم أبيه الزاهر، فقد توفي سنة (٧٤١هـ = ١٣٤٠م)، وخلفه ستة من أبنائه لا يكاد يستقر أحدهم على الملك حتى يعزل أو يقتل ويتولى آخر، حتى جاء الدور على الناصر حسن فتولى السلطنة في (١٤ من رمضان ٧٤٨ هـ= ١٨ من ديسمبر ١٣٤٧م) صبيا غض الإهاب لا يملك من الأمر شيئا، قليل الخبرة والتجارب، فقيرًا في القدرة على مواجهة الأمراء والكبار وتصريف الأمور.

وكان يدبر الأمر الأميران منجك وأخوه "بيبغاأرس"، وأصبح السلطان حسن كالمحجور عليه.. عاجزا عن التصرف، وشاءت الأقدار أن تشهد السنة الثانية من حكمه ظهور الوباء الذي اشتد بمصر وفتك بمئات الألوف، ويذكر المؤرخون أنه كان يموت بمصر ما بين عشرة آلاف إلى خمس عشرة آلاف شخص في اليوم الواحد، وحفرت وألقيت فيها الموتى؛ فكانت الحفرة يدفن فيها ثلاثون أو أربعون شخصا. وعانى الناس من الضرائب والإتاوات التي فرضها عليهم الأميران الغاشمان؛ فاجتمع على الناس شدتان: شدة الموت، وشدة الجباية.

وفي سنة (٧٥١ هـ- ١٣٥٠م) أعلن القضاة أن السلطان قد بلغ سن الرشد، وأصبح أهلا لممارسة شؤون الحكم دون وصاية من أحد أو تدخل من أمير، وما كاد يمسك بيده مقاليد الأمور حتى قبض على الأميرين وصادر أملاكهما، وكان هذا نذيرا لباقي الأمراء، فخشوا من ازدياد سلطانه واشتداد قبضته على الحكم، فسارعوا إلى التخلص منه قبل أن يتخلص هو منهم، وكانوا أسرع منه حركة فخلعوه عن العرش في (١٧ من جمادى الآخرة ٧٥٢ هـ- ١١ من أغسطس ١٣٥١م)، وبايعوا أخاه الملك صلاح الدين بن محمد بن قلاوون وكان فتى لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره.

لم يكن حظ السلطان الجديد أسعد حالا من أخيه السلطان حسن، فكان مقيد التصرف لا يبرم أمرا أو يصدر حكما، وتجمعت السلطة في يد الأميرين صرغتمش وشيخون، وحين حاول أحد الأمراء الاستعانة بالسلطان لخلعهما والقبض عليهما سارعا إلى القبض على السلطان وإعادة أخيه الناصر حسن إلى الحكم مرة أخرى في سنة (٧٥٥هـ= ١٣٥٤م).

ولما تولى الحكم ظل على حاله مغلوبا على أمره، لا يملك من السلطنة إلا اسمها، لا يباشر الحكم ولا يقدر على ممارسته في ظل طغيان الأميرين صرغتمش وشيخون؛ فلما قتل ثانيهما سنة (٧٥٨هـ = ١٣٥٧م) انفرد الآخر بالحكم وعظم أمره واستطال في الدولة، وازدادت ثروته وكثر مماليكه، وغرّه حاله فتطلع إلى السلطنة، وعزم على انتزاعها من السلطان المغلوب على أمره، فلما ترامت هذه الأنباء إلى السلطان، وكان قد صهرته التجارب وقوت عريكته المحن، فكان أسبق من غريمه، ونجح في القبض عليه وسجنه،

وأصبح سلطانا بلا منازع، وصفا له الجو لأول مرة، وتحررت قراراته من القيد والمراقبة، وباشر شؤون الدولة بنفسه دون تدخل من أحد.

ولكن ذلك لم يدم طويلا؛ إذ نازعه الأمر مملوكه الأمير يلبغا العمري ثم نجح في القبض على السلطان وقتله في (٩ من جمادى الأولى ٧٦٢ هـ = ١٧ من مارس ١٣٦١)، وكان عمره يوم قتل نيفا وثلاثين سنة، وكانت مدة ملكه في سلطنته الثانية ست سنين وسبعة أشهر.

وفى أحداث سنة ٧٤٨ هـ ،يقول ابن إياس:«.. وهو التاسع عشر من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، وهو السابع ممن ولى السلطنة من أولاد الملك الناصر محمد ابن الملك منصور قلاوون..».

بويع بالسلطنة بعد قتل أخيه المظفر حاجى، قيل إنه لما ولى الملك كان له من العمر نحو ثلاث عشرة سنة، فقط ثلاث عشرة سنة، وكم تولى الصبية كرسى السلطنة فى العصر المملوكى، حتى إنهم نصبوا طفلا رضيعا بعد وفاة والده المؤيد، وعندما دقت الطبول تحية له أصيب بصرعة صاحبته طوال عمره، وحدث له حول بعينيه نتيجة تلك الفزعة!

وكالعادة يطالعنا مشهد تنصيب السلطان، حيث يحضر الخليفة العباسى والقضاة وكبار الأمراء. بعد تكامل المجلس استدعوا الصبى من دور الحريم، وعندما أرادوا أن يبايعوه بالسلطنة كان اسمه قمارى لكنه قال للخليفة والقضاة:

«**أنا ما اسمى قمارى، إنما اسمى سيدى حسن**»، **فقال الخليفة والأمراء**: «**على بركة الله**».

بدأت المراسم، باس الأمراء الأرض بين يديه، وبدأ على الفور يمارس سلطاته، وفى سنواته الأولى شح ماء النيل، وحدث الطاعون الكبير، كان الطاعون يعقب شح مياه النيل عادة ولكن هذا الوباء بالذات كان فظيعاً، وعرف فى أوروبا بالموت الأسود.

بدأ الصبى يتصرف كسلطان حقيقى بعد أن أنهى الوصاية عليه، وبلغ سن الرشد، ولكن بعد شهور قليلة وقع المشهد الذى يتكرر كثيرا فى الزمن المملوكى، إذ لبس الأمراء

آلة الحرب، وأعلنوا الثورة، وكان على رأس الفتنة الأمير طاز المنصورى، حطموا باب القلعة، وطلعوا إلى قاعة الدهيشة، وقبضوا على السلطان حسن وأدخلوه إلى قاعة الحريم!

ولكن الشعب لم يكن متفرجا على طول الخط، إنما كثيرا ما كان يتدخل ويحسم الصراع بين الأمراء. وقد درست الأستاذة الكويتية حياة ناصر الحجى المتخصصة فى تاريخ مصر المملوكية تلك الظاهرة فى دراسة فريدة بعنوان «أحوال العامة فى حكم المماليك» صدرت منذ سنوات.

المهم أن الأمراء عزلوا السلطان حسن بعد ثلاث سنوات وتسعة شهور قضاها فى الحكم، ثم ولوا من بعده شقيقه صالح وتلقب بالملك الصالح صلاح الدين صالح، وبعد ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما، لبس الأمراء آلة الحرب مرة أخرى، ثاروا على الملك الصالح، ثم خلعوه، وضربوا مشورة فيمن يلى السلطنة، وقرروا عودة السلطان حسن إلى الحكم، فأخرجوه من دور الحريم ونصبوه سلطاناً للمرة الثانية.

للمرة الثانية يتم استدعاء الخليفة الذى كان جاهزًا لتلبية الطلب، عاد السلطان قويا، لقد أصبح شابا، عنده خبرة بأمور الصراع فى تلك السن المبكرة.

كان من رجال الدولة الأقوياء وقتئذ الأمير شيخوا العمرى، بدأ سنة ٧٥٧ فى بناء المسجد والخانقاه المتواجهين حتى الآن بشارع الصليبة قرب ميدان القلعة. لم يكن السلطان قد شرع فى بناء مسجده.

تجاه القلعة كان يقام سوق الخيل، وكان أيضا بيت يلبغا اليحياوى نائب الشام، استولى السلطان على البيت الذى كان من أجمل وأشهر بيوت القاهرة وهدمه، وأمر ببدء بناء مسجد السلطان حسن.

ولعل أشهر المعالم على عهده مسجد السلطان حسن الذي يعد من أكثر آثار القاهرة تناسقا وانسجاما، ويمثل مرحلة نضج العمارة المملوكيّة. وتم ترميم وإصلاح المسجد من قبل لجنة حفظ الآثار المصرية عام ١٩١٥م. بدأ البناء في سنة ١٣٥٦ ميلادية واكتمل بعدها بسبع سنوات في ١٣٦٣. قتل السلطان قبل انتهاء البناء ولم يعثر على جثمانه، ولم يدفن في الضريح الذي بناه في المسجد خصيصا بل دفن فيه ولداه فيما بعد.

الباب الخامس

العصر الحديث

الفصل الأول

محمد علي باشا

(١٧٦٩ م – ١٨٤٩م)

محمد علي باشا ولد في ٤ مارس ١٧٦٩ و توفي ٢ أغسطس ١٨٤٩، يعتبره المؤرخون مؤسس مصر الحديثة وحاكمها ما بين ١٨٠٥ – ١٨٤٨.

كانت فترة بداية حكمه فترة حرجة في تاريخ مصر خلال القرن التاسع عشر حيث نقلها من عصور التردي إلى أن أصبحت دولة قوية يعتد بها .

ولد محمد على في مدينة قولة الساحلية أحد موانى مقدونيا شمال بلاد اليونان عام ١٧٦٩، وكان أبوه "إبراهيم أغا" رئيس الحرس المنوط بخفارة الطويف في البلدة وكان له سبعة عشر ولدًا لم يعش منهم سوى محمد على، وقد مات عنه أبوه وهو صغير السن، ثم لم تلبث أمه أن

ماتت فصار يتيم الأبوين وهو في الرابعة عشرة من عمره، فكفله عمه "طوسون" الذي مات أيضًا فكفله صديق والده "الشوربجي إسماعيل" الذي أدرجه في سلك الجندية فأبدى شجاعة وبسالة وحسن نظر وتصرف، فقربه الحاكم وزوجه من "أمينة هانم" وهي امرأة غنية وجميلة كانت بمثابة طالع السعد عليه، أنجبت له إبراهيم وطوسون وإسماعيل ، وهي أسماء أبيه وعمه وراعيه، ومن الإناث أنجبت له ابنتين. وحين قررت الدولة العثمانية إرسال جيش إلى مصر لانتزاعها من أيدي الفرنسيين كان هو نائب رئيس الكتيبة الألبانية والتي كان قوامها ثلاثمائة جندي، وكان رئيس الكتيبة هو ابن حاكم قولة الذي لم يكد يصل إلى مصر حتى قرر أن يعود إلى بلده فأصبح محمد على هو قائد الكتيبة. وظل في مصر يترقى في مواقعه العسكرية، وظل يواصل خططه للتخلص من خصومه إلى أن تخلص من الوالي العثماني

خورشيد باشا وأوقع بالمماليك حتى خلا له كرسي الحكم بفضل الدعم الشعبي الذي قاده عمر مكرم نقيب الأشراف .

بعد أن انتخبه المصريون في دار المحكمة ليكون واليًا على مصر في ١٧ مايو ١٨٠٥ قضى على المماليك في مذبحة القلعة الشهيرة وقد كانوا مراكز قوى ومصدر قلاقل سياسية مما جعل البلد في فوضي. قضى على الإنجليز في معركة رشيد وأصبحت مصر تتسم بالاستقرار السياسي لأول مرة تحت ظلال الخلافة العثمانية. وقد بدأ بتكوين أول جيش نظامي في مصر الحديثة، وكانت بداية العسكرية المصرية بإنشاء أول مدرسة حربية في أسوان في جنوب مصر على يد الكولونيل سليمان باشا الفرنساوي، ومما ساعده في تكوين هذا الجيش أن أشرف عليه الخبراء الفرنسيون بعدما رحل الجيش الفرنسي في أعقاب هزيمة نابليون بونابرت في معركة واترلو.

قام بمحاربه الحجازيين والنجديين، وضم الحجاز ونجد لحكمه سنة ١٨١٨. اتجه لمحاربة السودانيين عام ١٨٢٠ والقضاء على فلول المماليك في النوبة، كما ساعد السلطان العثماني في القضاء على الثورة في اليونان فيما يعرف بحرب المورة، إلا أن وقوف الدول الأوروبية إلى جانب الثوار في اليونان أدى إلى تحطم الأسطول المصري فعقد اتفاقية لوقف القتال مما أغضب السلطان العثماني، وكان قد انصاع لأمر السلطان العثماني ودخل هذه الحرب أملاً في أن يعطيه السلطان العثماني بلاد الشام مكافأة له، إلا أن السلطان العثماني خيب آماله بإعطائه جزيرة كريت وقد رآها تعويضًا ضئيلاً بالنسبة لخسارته في حرب المورة، ذلك بالإضافة إلى بعد الجزيرة عن مركز حكمه في مصر وميل أهلها الدائم للثورة. وقد عرض على السلطان العثماني إعطاءه حكم الشام مقابل دفع مبلغ من المال، إلا أن السلطان رفض لمعرفته بطموحاته وخطورته على حكمه. قام باستغلال ظاهرة فرار الفلاحين المصريين إلى الشام هربًا من الضرائب وطلب من والي عكا إعادة الهاربين إليه، وحين رفض الوالي إعادتهم باعتبارهم رعايا للدولة العثمانية ومن حقهم الذهاب إلى أي مكان استغل ذلك وقام بمهاجمة عكا وتمكن من فتحها، كما استولى على الشام وانتصر علي العثمانيين عام ١٨٣٣ وكاد أن يستولي على الأستانة العاصمة، إلا أن روسيا وبريطانيا وفرنسا حموا السلطان العثماني فانسحب عنوة ولم يبق معه سوى سوريا وجزيرة كريت. وفي

سنة ١٨٣٩ حارب السلطان لكنهم أجبروه علي التراجع في مؤتمر لندن عام ١٨٤٠ بعد تحطيم أسطوله في معركة نافارين. وفرضوا عليه تحديد عدد جنود الجيش والاقتصار على حكم مصر لتكون حكمًا ذاتيًا يتولاه من بعده أكبر أولاده سنًا.

يرى الكثير من المؤرخين أن إنجازات محمد على فاقت كل إنجازات الرومان والروم البيزنطيين والمماليك والعثمانيين، وذلك لأنه كان طموحًا من أجل مصر الكيانية، وجعل المصريين بشتى طوائفهم مشاركين في تحديثها والنهوض بها معتمدًا علي الخبراء الفرنسيين وخبرتهم التي اكتسبوها من حروب نابليون. تمكن محمد علي من أن يبني من مصر دولة عصرية على النسق الأوروبي، واستعان في مشروعاته الاقتصادية والعلمية بخبراء أوروبيين ومنهم بصفة خاصة السان سيمونيون الفرنسيون الذين أمضوا في مصر بضع سنوات في ثلاثينات القرن التاسع عشر وكانوا يدعون إلى إقامة مجتمع نموذجي على أساس الصناعة المعتمدة على العلم الحديث. وكانت أهم دعائم دولته العصرية سياسته التعليمية والتثقيفية الحديثة، حيث كان يؤمن بأنه لن يستطيع أن ينشئ قوة عسكرية على الطراز الأوروبي المتقدم ويزودها بكل التقنيات العصرية وأن يقيم إدارة فعالة واقتصاد مزدهر يدعمها ويحميها إلا بإيجاد تعليم عصري يحل محل التعليم التقليدي، ووجد إن هذا التعليم العصري يجب أن يقتبس من أوروبا، ولذلك فإنه قام منذ عام ١٨٠٩ بإرسال بعثات تعليمية إلى عدة مدن إيطالية مثل ليفورنو وميلانو وفلورنسا وروما وذلك لدراسة العلوم العسكرية وطرق بناء السفن والطباعة. وأتبعها ببعثات لفرنسا وكان أشهرها بعثة عام ١٨٢٦ التي تميز فيها إمامها المفكر والأديب رفاعة الطهطاوي الذي كان له دوره الكبير في مسيرة الحياة الفكرية والتعليمية في مصر. وقد قام بفتح مصر لكل وافد، وانفتح على العالم ليجلب خبراته لتطوير مصر. ولأول مرة أصبح التعليم منهجيًا، فأنشأ المدارس التقنية ليلتحق خريجوها بالجيش، وأوجد زراعات جديدة كالقطن، وقام ببناء المصانع، واعتنى بالري، وشيد القناطر الخيرية على نهر النيل عند بدء انفصال فرعي دمياط ورشيد.

اهتم محمد علي بالتعليم لدرجة لم يسبقه إليها أحد ممن حكموا مصر وذلك لأنه أدرك أن شعوب أوروبا لم تنهض إلا عندما نهض بها التعليم، فحرص على إنشاء التعليم النظامي الواضح المعالم لأول مرة في مصر، وأنشأ العديد من الكليات وكانت يطلق عليها

آنذاك "المدارس" وذلك لتعليم كافة أبناء الشعب المصري، ومنها المدارس الحربية مثل مدرسة السواري أو الفرسان بالجيزة، ومدرسة المدفعية بطرة ومجمع مدارس الخانكة، ومدارس الموسيقي العسكرية وغيرها من المدارس. وأيضًا كان هنالك العديد من المدارس الأخرى مثل "مدرسة الولادة" واستجلب لها القابلات اللاتي كن يعملن بتلك المهنة آنذاك ليتم تدريبهن على أسس علمية صحيحة وإعطائهن شهادات معتمدة في نهاية الدراسة. أنشأ كذلك مدرسة الطب أو مدرسة قصر العيني ومدرسة الطب البيطري ومدرسة الزراعة، ومدرسة الطوبجية بشبرا، التي تحولت فيما بعد إلى مدرسة المهندسخانة والآن كلية الهندسة وكان الغرض من إنشائها عسكريًا بالأساس، وذلك لتزويد الجيش المصري بالبنائين المحترفين لإنشاء الحصون وتطوير العمارة وما إلى ذلك. أنشأ كذلك مدرسة الألسن لأنه لاحظ أن أبناء الأرمن والأقباط واليهود والشوام يستطيعون الترقي إلى أعلى المناصب أو إنعاش تجارتهم وازدهارها لقدراتهم اللغوية الجيدة وإلمامهم بالكثير من اللغات مما يجعلهم يحسنون التعامل مع الجالية الأجنبية في مصر والتقرب منهم سواء بغرض التجارة أو التعلم.

الصناعة

إهتم محمد علي بالصناعة التي تطورت في عهده، وأصبحت ثاني عماد للدولة بعد التعليم خاصة الصناعة الحربية وذلك لمواكبة الأنظمة التي كانت موجودة بأوروبا حتى لا تعتمد مصر على جلب كافة احتياجاتها من الخارج، وهو الأمر الذي سيجعلها تحت رحمة الدول الكبرى من ناحية واستنزاف موارد الدولة من ناحية أخرى، إلى جانب أن معظم الخامات المستخدمة في الصناعة كانت موجودة فعلاً في مصر، فضلاً عن توفر الثروة البشرية. كما قام باستبدال الطرق البدائية في الصناعة بدلاً الآلات الميكانيكية والبخارية والمكابس بدلاً منها. وقد تبني السياسة التصنيعية لكثير من الصناعات، منها:

١. الصناعات التجهيزية: وتمثلت في صناعة آلات حلج وكبس القطن ومضارب الأرز ومصانع تجهيزه، وتجهيز النيلة للصباغة، ومعاصر الزيوت، ومصانع لتصنيع المواد الكيماوية.

٢. الصناعات التحويلية: وهي الصناعات المتعلقة بالغزل والنسيج بكافة أنواعه، وأقام مصانع للنسيج، وكان أول مصنع حكومي بمصر هو "مصنع الخرنفش للنسيج" وكان ذلك في عام ١٨١٦، وأيضًا أنشأ "مصنع الجوخ" الذي جلب له خبراء من بريطانيا للتأسيس وإدارة تلك الصناعة في مصر بالإضافة إلى تعليم العاملين في هذا المصنع أسرار الصنعة لتقوم عليهم بعد ذلك تلك الصناعة، وكان الغرض من إنشاء مصنع الجوخ هو توفير الكسوة العسكرية للجيش المصري.

٣. الترسانة البحرية: أنشأ مصنع السفن، وجلب له خبراء من أوروبا وذلك لتعليم المصريين تلك الحرفة، ووجدت لأول مرة توجد ترسانة سفن عملاقة بالشكل الحديث في مصر، وكان لتلك الترسانة الفضل في إنشاء جميع سفن الأسطول المصري الذي غزا به أوروبا بعد ذلك.

تنازل عن العرش في ٢ مارس ١٨٤٨ وذلك لأنه أصيب بالخرف، وعاش بعد ذلك في بالإسكندرية وتوفي فيها في ٢ أغسطس ١٨٤٩، ودفن بجامعه بالقلعة بالقاهرة.

الفصل الثاني

ابراهيم باشا

(١٧٨٩ م – ١٨٤٨ م)

هو الابن الأكبر لوالي مصر محمد علي باشا. نصب كقائم على العرش نيابة عن أبيه من ٢ مارس حتى ١٠ نوفمبر ١٨٤٨. قاد حملة عسكرية على وسط الجزيرة العربية وقضى على الدولة السعودية الأولى.

كان عضد أبيه القوي وساعده الأشد في جميع مشروعاته، كان باسلاً مقدامًا في الحرب، لا يتهيب الموت، وقائدًا محنكًا لا تفوته صغيرة ولا كبيرة من فنون الحرب، وقام بإنشاء التكية المصرية سنة ١٨١٦.

يعتبر من أحسن قواد الجيوش في القرن التاسع عشر، وقد حارب وانتصر في شبه الجزيرة العربية ضد عبد الله بن سعود بالدرعية، ثم أكمل حربه بكلًا من السودان واليونان وتركيا وسوريا وفلسطين. وكانت البداية عندما عينه والده قائدًا للحملة المصرية ضد آل سعود والتي جرت بين ١٨١٦ و١٨١٩، فقضى على حكمهم، وأسر أميرهم عبد الله بن سعود وأرسله لأبيه محمد علي باشا في القاهرة، فأرسله محمد علي إلى الأستانة، فطافوا به في أسواقها ثلاثة أيام ثم قتلوه، فنال إبراهيم باشا من السلطان مكافأة سخية وسمي واليًا على مكة، ونال أبوه محمد علي باشا لقب خان وهو اللقب الذي لم يحظ به سواه. وذهب بين سنتي ١٨٢١–١٨٢٢ إلى السودان ليقمع تمرداً وقع هناك. ثم عين قائدًا للجيش ضد ثورة اليونانيين الذين خرجوا على تركيا للظفر بالاستقلال، فانتزع معاقلهم وأخمد ثورتهم التي ظلت من ١٨٢٥ ولغاية ١٨٢٨، ولكن نزول الجنود الفرنسيين بالمورة أجبره على الجلاء عن اليونان. وحين طمع محمد علي في ممتلكات السلطنة العثمانية بالشام أرسله مع جيش قوي ففتح فلسطين والشام وعبر جبال طوروس حتى وصل إلى كوتاهية وذلك بعامي

١٨٣٢ و١٨٣٣. وحينما تجدد القتال عام ١٨٣٩ بين المصريين والأتراك انتصر وهزمهم هزيمة ساحقة في معركة نزيب الفاصلة والتي وقعت في يونيو ١٨٣٩، بل وقام قائد الأسطول العثماني بتسليم أسطوله بغير قتال، ولكن الدول الأوروبية حرمته من فتوحه وأجبرته على الجلاء عن جميع الجهات التي كان قد فتحها.

عين في العام ١٨٤٨ نائبًا عن أبيه في حكم مصر، وكان أبوه في ذلك الوقت لا يزال حيًا، إلا أنه كان قد ضعفت قواه العقلية وأصبح لا يصلح للولاية. ولكنه توفي قبل والده في نوفمبر من العام نفسه. وهناك تاريخان بالنسبة لتعيينه واليًا على مصر:

* من ٢ سبتمبر ١٨٤٨ إلى أن توفي في ١٠ نوفمبر ١٨٤٨.

* تولى حكم مصر بفرمان من الباب العالي في مارس ١٨٤٨ نظرًا لمرض والده. ولكنه لم يعمر أكثر من سبعة أشهر ونصف بعد ذلك وتوفى وهو لم يتجاوز الستين من عمره في نوفمبر ١٨٤٨.

الفصل الثالث

عباس حلمي الأول

(١٨١٣ – ١٨٥٤)

عباس باشا الأول (١٨١٣ – ١٣ يوليو ١٨٥٤)، حاكم مصر بين عامي ١٨٤٨ – ١٨٥٤. ويصح اعتبار عهده عهد رجعية، ففيه وقفت حركة التقدم والنهضة التي ظهرت في عهد جده محمد علي باشا.

وهو ابن أحمد طوسون باشا بن محمد علي باشا. لم يرث عن جده مواهبه وعبقريته، ولم يشبه عمه إبراهيم في عظمته وبطولته، بل كان قبل توليه الحكم وبعد أن تولاه خالياً من المزايا والصفات التي تجعل منه ملكًا عظيمًا يضطلع بأعباء الحكم ويدفع البلاد للسلوك في سبيل التقدم والنهضة.

ولد في جدة في العام ١٨١٣ ثم انتقل لاحقًا إلى القاهرة. بذل جده محمد علي شيئًا من العناية في تعويده ولاية الحكم إذ كان أكبر أفراد الأسرة العلوية سنًا وبالتالي أحقهم بولاية الحكم بعد عمه إبراهيم باشا، فعهد إليه بالمناصب الإدارية والحربية. تقلد من المناصب الإدارية منصب مدير الغربية، ثم منصب الكتخدائية التي كانت بمنزلة رئاسة الناظر. ولم يكن في إدارته مثالًا للحاكم البار بل كان له من التصرفات ما ينم عن القسوة وكان يبلغ جده نبأ بعض هذه التصرفات فينهاه عنها ويحذره من عواقبها ولكن طبيعته كانت تتغلب على نصائح جده وأوامره.

ومن الجهة الحربية اشترك عباس حلمي مع عمه إبراهيم باشا في الحرب في الشام، وقاد فيها إحدى الفيالق، ولكنه لم يتميز فيها بعمل يدل على البطولة أو الكفاءة الممتازة. وبالتالي لم تكن له ميزة تلفت النظر، سوى أنه حفيد رجل أسس ملكًا كبيرًا فصار إليه هذا الملك، دون أن تؤول إليه مواهب مؤسسة، فكان شأنه شأن الوارث لتركة ضخمة جمعها مورثه بكفاءته وحسن تدبيره وتركها لمن هو خلو من المواهب والمزايا. وكان عمه إبراهيم

باشا لا يرضيه منه سلوكه وميله إلى القسوة، وكثيرًا ما نقم عليه نزعته إلى إرهاق الآهلين، حتى أضطره إلى الهجرة للحجاز وبقى هناك إلى أن داهم الموت عمه إبراهيم باشا.

كان في الحجاز عندما توفي عمه إبراهيم باشا، فاستدعي إلى مصر ليخلفه على سدة الحكم تنفيذًا لنظام التوارث القديم الذي يجعل ولاية الحكم للأرشد فالأرشد من نسل محمد علي، و تولى الحكم في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٤٨.

تولى الحكم لمدة خمس سنوات ونصفًا، وكان يبدو خلالها غريب الأطوار، شاذًا في حياته، كثير التطير، فيه ميل إلي القسوة، سيئ الظن بالناس، ولهذا كان كثيراً ما يأوي إلى العزلة، ويحتجب بين جدران قصوره. وكان يتخير لبنائها الجهات الموغلة في الصحراء أو البعيدة عن الأنس، ففيما عدا سراي الخرنفش وسراي الحلمية بالقاهرة، بني قصرًا بصحراء الريدانية التي تحولت إلى العباسية أحد أشهر أحياء القاهرة والتي سميت من ذلك الحين باسمه، وكانت في ذالك الوقت في جوف الصحراء، وقد شاهد الميسو فرديناند دي لسبس هذا القصر سنة ١٨٥٥ فراعته ضخامته وذكر أن نوافذه بلغت ٢٠٠٠ نافذة. هذا وحده يعطينا فكرة عن عظمة القصر وإتساعه، فكأنه بني لنفسه مدينة في الصحراء، كما بني قصرًا أخر نائيًا في الدار البيضاء الواقعة بالجبل على طريق السويس ولا تزال أثاره باقية إلى اليوم. وقصر بالعطف، كما بني قصرًا في بنها على ضفاف النيل بعيدا عن المدينة، وهو القصر الذي قتل فيه.

وقد أساء الظن بأفراد أسرته وبكثير من رجالات محمد علي باشا وإبراهيم باشا، وخيل له الوهم أنهم يتآمرون عليه فأساء معاملتهم، وخشي الكثير منهم على حياتهم فرحل بعضهم إلى الأستانة والبعض إلى أوروبا خوفًا من بطشه، وإشتد العداء بين الفريقين طول مدة حكمه. وبلغ به حقده على من يستهدفون غضبه إنه حاول قتل عمته "الأميرة نازلي هانم"، وإشتدت العداوة بينهما حتى هاجرت إلى الأستانة خوفًا من بطشه. وقد سعي إلى أن يغير نظام وراثة العرش ليجعل ابنه "إبراهيم إلهامي باشا" خليفته في الحكم بدلًا من عمه محمد سعيد باشا، ولكنه لم يفلح في مسعاه ونقم على عمه سعيد الذي كان بحكم سنه وليًا للعهد واتهمه بالتآمر عليه، وإشتدت بينهم العداوة حتى أضطره إلى إن يلزم الإسكندرية وأقام هناك بسراي القباري.

إنتشرت الجاسوسية في عهد عباس حلمي الأول انتشارًا مخيفًا، فصار الرجل لا يأمن على نفسه من صاحبه وصديقه، وكان من يغضب عليه ينفيه إلى السودان ويصادر أملاكه. وكان نفي المغضوب عليهم إلى أقصى السودان من الأمور المألوفة في ذلك العصر. كان عباس جلمي مولعًا بركوب الخيل والهجن، ويقطع بها المسافات البعيدة في الصحراء، وله ولع شديد باقتناء الجياد الكريمة حيث كان يجلبها من مختلف البلاد ويعني بتربيتها عناية كبرى، وبني لها الاصطبلات الضخمة وأنفق عليها بسخاء شأنه شأن هواة الخيل.

يختلف عهده عن عصر محمد علي، فان حركة النهضة والتقدم والنشاط التي إمتاز بها عصر محمد علي تراجعت في عهده، وهناك ظاهرة أخرى للفرق بين العهدين، إذ أن محمد علي كان يستعين بذوي العلم والخبرة من الفرنسيين في معظم مشاريع الإصلاح لكن عباس حلمي لم يفكر في تعهد هذه الإصلاحات لذلك قام بإقصاء معظم هؤلاء الخبراء واستغني عنهم، وقد تضائل النفوذ الفرنسي في عهده ولم يعد إلى الظهور إلا في عهد محمد سعيد باشا. وعلى العكس من انحسار النفوذ الفرنسي، فقد بدأ النفوذ الإنجليزي في عهده علي يد القنصل البريطاني في مصر "مستر مري"، حيث كان له تأثير كبير عليه وله عنده كلمة مسموعة. ولا يعرف السبب الحقيقي لهذه المنزلة ربما هي الصدفة، إلا إنه قيل إنه كان يستعين به في السعي لدى الحكومة العثمانية لتغيير نظام وراثته العرش كي يؤول إلى ابنه "إلهامي". وفي رواية أخرى إنه كان يستعين به وبالحكومة الإنجليزية ليمنع تدخل الدولة العثمانية في شؤون مصر، إذ كانت تريد تطبيق القانون الأساسي المعروف بالتنظيمات على مصر.

كان مؤيدًا للشيخ محمد بن عبد الوهاب زعيم الحركة الوهابية، وقام بتهريب أحد أبنائه أثناء وجوده في السجون المصرية بعد أسره في المعركة التي خاضها إبراهيم باشا مع الحركة الوهابية. كما قام بتنفيذ نظام الحسبة في مصر، فكانت الشرطة تطوف بالناس في الأسواق أثناء الصلاة لتغلق المحال، وكانوا يستعملون السياط لمن لا يغلق محله.
تم اغتيالًه في قصرة بنها في العام ١٨٥٤ م .

الفصل الرابع

محمد سعيد باشا

(١٨٢٢ – ١٨٦٣م)

محمد سعيد باشا (١٨٢٢ – ١٨ يناير ١٨٦٣)، والي مصر من سلالة الأسرة العلوية، تولى الحكم من ٢٤ يوليو ١٨٥٤ إلى ١٨ يناير ١٨٦٣ تحت حكم الدولة العثمانية. كان الابن الرابع لمحمد علي. تلقى تعليمه في باريس وكان ذو نزعة غربية.

أنجز الكثير من الأعمال ومنها :

– تأسيس البنك المصري في عام ١٨٥٤.

– إعطاء فرديناند دي لسبس الموافقة على حفر قناة السويس.

– قام بإغلاق المدارس العليا (الكليات) التي أنشأها والده محمد علي باشا، وقال بعد إغلاقها: أمة جاهلة أسلس قيادة من أمة متعلمة.

– قام بتخفيض الضرائب على الأراضي الزراعية، وأسقط المتأخرات عن الفلاحين ومنحهم حق تملك الأرض وذلك طبقًا للقانون الذي أصدره في ٥ أغسطس ١٨٥٨.

– تطهير ترعة المحمودية.

– إتمام سكة حديد القاهرة – الإسكندرية الذي بدأ العمل به في فترة حكم عباس حلمي الأول .

– اهتم بالملاحة التجارية الداخلية والخارجية، فأنشأ شركتين للملاحة أحداهما نيلية أسسها عام ١٨٥٤، والأخرى بحرية أسسها عام ١٨٥٧.

– قصر مدة الخدمة العسكرية ثم عممها على جميع الشبان على اختلاف طبقاتهم، فجعل متوسط الخدمة سنة واحدة وبذلك أدخل في نفوس الناس الطمأنينة على مصير أبنائهم المجندين .

- أصدر لائحة المعاشات للموظفين المتقاعدين .
- أصلح مجلس الأحكام وقام بعدة تغييرات في هيكله.
- أصلح القضاء الشرعي.
- منع نقل الآثار المصرية وأمر بجمعها في مخازن أعدت لها في بولاق.
- أنهى الاختلاط الذي كان متبعًا في التقويم، حيث كان هناك التقويم الهجري والميلادي والقبطي فحدد لكل وظيفته.

خاضت مصر في عهده حربين:

١. حرب القرم: أرسل نجدة إلى الجيش المصري، وإستطاعت الدولة العثمانية وحلفائها التفوق على الروس وإبرام معاهدة باريس عام ١٨٥٦.

٢. حرب المكسيك: بسبب ميوله نحو إمبراطور فرنسا نابليون الثالث جعلته يلبي دعوته حينما طلب منه أن يمده بقوة حربية مصرية لتعاون الجيش الفرنسي بهذه الحرب.

الفصل الخامس

الخديوي اسماعيل

(٣١ ديسمبر ١٨٣٠ - ٢ مارس ١٨٩٥)

الخديوي إسماعيل (٣١ ديسمبر ١٨٣٠ – ٢ مارس ١٨٩٥)، خامس حكام مصر من الأسرة العلوية ابتداء من ١٨ يناير ١٨٦٣ إلى أن خلعته إنجلترا عن العرش في ٢٦ يونيو ١٨٧٩. خلال حكمه أعطى مصر دفعة قوية للمعاصرة.

هو إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا. ولد في قصر المسافر خانه، وكان الابن الأوسط بين ثلاثة أبناء لإبراهيم باشا. بعد أن تعلم في باريس عاد إلى مصر وأصبح وريثًا شرعيًا للعرش بعد وفاة أخيه الأكبر. قام سعيد باشا بإبعاده عن مصر ضمانًا لسلامته الشخصية وذلك بإيفاده في مهمات عديدة أبرزها إلى البابا وإلى الإمبراطور نابليون الثالث وسلطان تركيا، ثم أرسله في جيش تعداده ١٤٠٠٠ إلى السودان وعاد بعد أن نجح في تهدئة الأوضاع هناك.

بعد وفاة محمد سعيد باشا في ١٨ يناير ١٨٦٣ حصل إسماعيل على السلطة دون معارضة. وفي ١٨٦٦ أو ١٨٦٧ حصل علي لقب خديوي من السلطان العثماني بموجب فرمان مقابل زيادة في الجزية، وتم بموجب هذا الفرمان أيضًا تعديل طريقة نقل الحكم لتصبح بالوراثه لأكبر أبناء الخديوي سنًا، كما حصل عام ١٨٧٣ على فرمان آخر يتيح له استقلالاً أكثر عن الدولة العثمانية وعرف بالفرمان الشامل، وكان منحه حق التصرف بحرية تامة في شؤون الدولة ما عدا عقد المعاهدات السياسة وحق التمثيل الدبلوماسي وصناعة المدرعات الحربية مع الإلتزام بدفع الجزية السنوية.

امتد نفوذ الإدارة المصرية في عهده على طول ساحل البحر الأحمر الغربي وبعض أجزاء من بلاد الصومال، حيث أنه في سنة ١٨٦٥ حصلت مصر من الدولة العثمانية على حق إدارة ولايتي مصوع وسواكن بالسودان. وفي عام ١٨٧٠ أنشأت مصر محافظة سواحل

البحر الأحمر والتي تمتد من السويس شمالًا إلى رأس غردافوي جنوبًا. وفي عام ١٨٧٥ تنازل الباب العالي لمصر عن ميناء زيلع مقابل جزية سنوية مقدارها ١٥٠٠٠ جنيه تركي، وفي السنة نفسها جاءت حملة مصرية إلى ساحل الصومال الجنوبي في عهد برغش بن سعيد بهدف فتح طريق للمواصلات بين خليج ممباسا أو مصب نهر جوبا وبين المديرية الإستوائية في جنوبي السودان. ولكن الحملة فشلت بسبب معارضة بريطانيا لها وذلك حرصًا على مصالحها الاستعمارية في شرق أفريقيا، كما أن الشاطئ الجنوبي ظل تابعًا لمصر حتى عام ١٨٨٤ حين أرغمت الثورة المهدية مصر على إخلاء السودان وجميع الموانئ المطلة على البحر الأحمر فيما عدا سواكن وذلك بعد عامين من خضوع مصر للاحتلال البريطاني.

في عهده تم العديد من الإصلاحات وهي :

الإصلاح النيابي

– تحويل مجلس المشورة الذي أسسه جده محمد علي باشا إلى مجلس شورى النواب، وأتاح للشعب اختيار ممثليه. وافتتحت أولى جلساته في نوفمبر ١٨٦٦.

الإصلاح الإداري

– تحويل الدواوين إلى نظارات (وزارات).
– وضع تنظيم إداري للبلاد، وإنشاء مجالس محلية منتخبة للمعاونة في إدارة الدولة.

الإصلاح القضائي

– أصبح للمجالس المحلية حق النظر في الدعاوي الجنائية والمدنية.
– انحصر اختصاص المحاكم الشرعية في النظر في الأحوال الشخصية.
– تم إلغاء المحاكم القنصلية وتبديلها بالمحاكم المختلطة.

الإصلاح العمراني

– الانتهاء من حفر قناة السويس وإقامة إحتفالاتها.

- إنشاء قصور فخمة مثل قصر عابدين وقصر رأس التين وقصر القبة.
- إنشاء دار الأوبرا الخديوية.
- إنشاء كوبري قصر النيل.
- استخدام البرق (التلغراف) والبريد وتطوير السكك الحديدية.
- إضاءة الشوارع ومد أنابيب المياه .

في المجال الاقتصادي

- زيادة مساحة الأراضي الزراعية.
- حفر ترعة الإبراهيمية في صعيد مصر، وترعة الإسماعيلية في شرق الدلتا.
- زيادة مساحة الأراضي المنزرعة قطنًا.
- إنشاء مصانع، ومن بينها ١٩ مصنعًا للسكر.
- إصلاح ميناء السويس وميناء الإسكندرية.
- بناء ١٥ منارة في البحرين الأحمر والمتوسط لإنعاش التجارة.

المجال التعليمي والثقافي

- زيادة ميزانية نظارة المعارف.
- وقف الأراضي على التعليم.
- تكليف علي مبارك بوضع قانون أساسي للتعليم.
- تكليف الحكومة بتحمل نفقات التلاميذ.
- إنشاء أول مدرسة لتعليم الفتيات في مصر، وهي مدرسة السنية.
- إنشاء دار العلوم لتخريج المعلمين.
- إنشاء دار الكتب.
- إنشاء الجمعية الجغرافية ودار الآثار.
- ظهور الصحف مثل الأهرام والوطن ومجلة روضة.

و بعد عزله من الحكم سافر على الفور إلى نابولي بإيطاليا، ثم انتقل بعدها للإقامة في الأستانة. و توفي في ٢ مارس ١٨٩٥ في قصر إميرجان في إسطنبول الذي كان منفاه أو محبسه بعد إقالته.

نحت له تمثال من صنع المثال الإيطالي بييترو كانونيكو، وأزاح الستار عنه الملك فاروق في ٤ ديسمبر ١٩٣٨ في مكانه الأصلي بميدان المنشية أمام الموقع الأول لقبر الجندي المجهول بالإسكندرية إلى أن نقل بعد ذلك، وهو مقام حاليًا في ميدان الخديوي إسماعيل بكوم الدكة بالإسكندرية، وكان التمثال هدية من الجالية الإيطالية بالإسكندرية تقديرًا لاستضافة مصر للملك فيكتور عمانويل الثالث آخر ملوك إيطاليا بعد الإطاحة به عن عرشه.

الفصل السادس

الخديوي محمد توفيق

(١٥ نوفمبر ١٨٥٢ - ٧ يناير ١٨٩٢)

الخديوي توفيق (١٥ نوفمبر ١٨٥٢ – ٧ يناير ١٨٩٢)، سادس حكام مصر من الأسرة العلوية.

هو محمد توفيق بن إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، وهو الابن الأكبر للخديوي إسماعيل من مستولدته نور هانم شفيق التي لم تكن ضمن زوجاته الأربع، وربما يكون ذلك سبب عدم إرساله مع باقي أبنائه للدراسة في أوروبا، كما يفسر ذلك العلاقة السيئة بينه وبين أبيه والتي تجلت بعد عزل إسماعيل في نأيه عنه وإقصاء كل رجاله.

شهد عهده الثورة العرابية، ثم الاحتلال البريطاني الذي حظي بتأييده. وفي عام ١٨٨٤ سقطت الخرطوم في يد الثورة المهدية وقتل الحاكم المصري للسودان تشارلز جورج غوردون وفقدت مصر حكم السودان. وأصدر في ١مايو ١٨٨٣ القانون النظامي، والذي بمقتضاه شكل مجلس شورى القوانين.

تزوج من قريبته الأميرة أمينة هانم إلهامي ابنة إبراهيم إلهامي باشا ابن عباس حلمي الأول بن أحمد طوسون باشا بن محمد علي باشا وذلك عام ١٨٧٣، وأنجب منها:

* **عباس حلمي.**
* **محمد علي.**
* **نازلي هانم.**
* **خديجة هانم.**
* **نعمة الله.**

توفي في قصر حلوان بالقاهرة في ٧ يناير ١٨٩٢.

الفصل السابع

الخديوي عباس حلمي الثاني

(١٤ يوليو ١٨٧٤ - ١٩ ديسمبر ١٩٤٤)،

الخديوي عباس حلمي الثاني (١٤ يوليو ١٨٧٤ – ١٩ ديسمبر ١٩٤٤)، خديوي مصر من ٨ يناير ١٨٩٢ إلى أن تم عزله في ١٩ سبتمبر ١٩١٤. وكان آخر خديوي لمصر والسودان.

هو أكبر أولاد الخديوي توفيق، حاول أن ينتهج سياسة إصلاحية ويتقرب إلى المصريين ويقاوم الاحتلال البريطاني، فانتهز الإنجليز فرصة بوادر نشوب الحرب العالمية الأولى وكان الخديوي وقتها خارج مصر، فخلعوه من الحكم وطلبوا منه عدم العودة ونصبوا عمه حسين كامل سلطانًا على مصر بدلًا من أن يكون خديوي، وفرضوا على مصر الحماية رسميًا. ويوجد في القاهرة كوبري باسمه وهو كوبري عباس الذي يربط بين جزيرة منيل الروضة والجيزة.

بعد عام من توليه الحكم أقال وزارة مصطفى فهمي باشا، فوقعت أزمة مع إنجلترا، وتحدى المندوب السامي البريطاني لورد كرومر فأدى ذلك إلى زيادة شعبيته، فعندما ذهب لصلاة الجمعة في مسجد الحسين في ١١ يناير ١٨٩٣ دوت الهتافات بحياته وارتفع صوت الدعاء له وعبر الجميع عن حبهم له. وأرسل لورد كرومر لوزارة الخارجية في إنجلترا بأن الخديوي في حوار معه قال له إن إنجلترا وعدت بترك مصر وشرفها مقيد بهذا الوعد وظهر هذا في تصاريح الوزراء في مجلس النواب بل وفى خطب الملك. وسافر الخديوي للأستانة ليشكر السلطان عبد المجيد على الثقة التي أولاها له ولينال تأييده لعودة مصر إلى حضن الخلافة، وقد ذكر الخديوي في مذكراته أن السلطان عبد الحميد الثاني شجعه على معارضة إنجلترا. وعندما عاد الخديوي واصل سياسة التحدى للاحتلال، وبإيعاز منه قررت لجنة مجلس شورى القوانين رفض زيادة الاعتماد المخصص للجيش البريطاني وتخفيض ضرائب الأطيان وتعميم التعليم، فاتهمه الإنجليز بأنه نسق مع نظارة مصطفى رياض باشا ولجنة

المجلس، ولهذا اضطرت نظارة مصطفى رياض باشا للرضوخ لرغبة الإنجليز وزيادة الاعتمادات.

على الرغم من الهزيمة السياسية له في هذه المعركة فانه سرعان ما قرر خوض معركة جديدة، ففي ١٥ يناير ١٨٩٤ زار أسوان ودعا ٣٣ ضابطا لتناول الطعام معه، ثم أبدى للقائد العسكري الإنجليزي هربرت كتشنر بعض الملاحظات حول عدم كفاءة الجيش البريطاني، ولكن كتشنر لم يقبل هذه الملاحظات واعتبرها إهانة وأبلغ المندوب السامي لورد كرومر الذي بدوره أبلغ إنجلترا فثارت ضجة هناك وقالت الصحف إن الخديوي يعاملنا معاملة الأعداء وهددت بخلعه. وطلب لورد كرومر منه أن يصدر أمرًا عسكريًا يثنى فيه على الجيش، فإضطر للإذعان في ٢١ يناير ١٨٩٤. وإمعانًا في إذلاله طلبوا منه تغيير النظارة الحالية بأخرى بزعامة نوبار باشا.

نتيجة للشعور الوطني لدى الشعب اشتبك الأهالي مع بعض البحارة الإنجليز فطلب لورد كرومر من الخديوي تشكيل محكمة خاصة، وأنشئت المحكمة وأصدرت أحكامها عليهم بالحبس لمدة تتراوح بين ٣ إلى ٨ شهور. ومع توالى الهزائم اضطر الخديوي لإيقاف الصدام مع الإنجليز مؤقتًا والتحول لميدان آخر وهو إصلاح الأزهر وتنصيب شيخ جديد وإرسال كسوة الكعبة. كما إن الحظ وقف معه باستقالة نوبار باشا لظروفه الصحية. وفي ١٩ سبتمبر ١٨٩٧ عاد الصدام حيث إشتبك الأهالي في قليوب مع فصيلة إنجليزية، فحاصر الإنجليز البلدة.

طلب الإنجليز من مصر إعادة فتح السودان بأموال مصرية ورجال من مصر، ومع هذا استولى الإنجليز عليها مما زاد من كراهية المصريين للإنجليز خاصة مع ظهور مصطفى كامل ومقالته في جريدة اللواء ودعوته لوحدة مصر مع دولة الخلافة.

حاول الإنجليز الوقيعة بين مصر والدولة العثمانية، وفكروا في إقالة قاضي القضاة العثماني وتعين قاض مصري، فصرح أن تعيين قاض شرعي في مصر ليس من سلطته ولكن من سلطة الخليفة الأعظم، وفي لقائه مع لورد كرومر تمكن الخديوي عباس من فرض وجهة نظره ليحقق انتصاراً سياسياً بعد عدة هزائم.

وفي ١٩٠٤ وقع اتفاق ودي بين إنجلترا وفرنسا بمقتضاه تطلق إنجلترا يد فرنسا في مراكش وتطلق فرنسا يد إنجلترا في مصر، وبهذا خسرت مصر النقد اللاذع من الفرنسين للإنجليز، فإضطر الخديوي لمهدانتهم.

في عام ١٩٠٦ وقعت حادثة في دنشواي، وعقدت محاكمة للأهالي وصدرت ضدهم أحكام قاسية، وسافر مصطفى كامل لإنجلترا وشرح المأساة حتى نجح في خلق رأى عام ضد سياسة لورد كرومر في مصر، واستجابت الحكومة البريطانية ومجلس النواب، وهاجم الأديب أيرلندي جورج برنارد شو الاحتلال، فأعفي لورد كرومر من منصبة في ١٢ أبريل ١٩٠٧.

وفي حفل وداع لورد كرومر أثنى على الخديوي توفيق وعلى نوبار باشا وتجاهله. وأعلن ان الاحتلال البريطاني سيدوم وذلك في تحد له وللمصرين. وفى ٧ يناير ١٩٠٨ أعلن العفو عن ٩ من المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة في حادثة دنشواي.

وفي عام ١٩٠٨ أرسل الخديوي وفداً يطلب من وزراة الخارجية البريطانية منح مصر الحق في حكومة نيابية ذات سلطات معينة. وفي محاولة لإعادة سياسة الصدام وبإيعاز منه رفض البرلمان والحكومة مد امتياز قناة السويس على أساس إن هناك غبن وقع على مصر مقداره ١٣٠ مليون جنيه. وفي ٢٧ سبتمبر ١٩١١ وصل المندوب السامي الجديد هربرت كتشنر وحاول إجراء إصلاح محدود، فضم مجلس الشورى مع الجمعية العمومية في هيئة واحدة تسمى الجمعية التشريعية، وفي ٢٢ يناير ١٩١٤ قام الخديوي بأصدر قرار بإنشاء الجمعية الجديدة وتعيين سعد زغلول رئيسًا لها.

وصل إليه إن هناك رشوة للنظار وإفسادهم ضد ولي الأمر، فقال له هربرت كتشنر إن رغبت في تغيير النظارة فلن نرضى إلا أن تكون تحت رئاسة مصطفى فهمي باشا، وتم ذلك وطلب من الخديوي القضاء على الرشوة. وإمعانًا في إذلاله طلب هربرت كتشنر بتغيير مصطفى فهمي باشا فعين حسين رشدي باشا.

وفي ٢١ مايو ١٩١٤ استقل الخديوي يخت المحروسة في رحلة للخارج، وكان هذا آخر عهده في مصر. وكان آخر ما فعله هو توقيع أمرين بتنقلات وترقيات لرجال القضاء الأهلي ووضع سلطاته لرئيس الوزراء.

أقام الخديوي عباس حلمي الثاني بعد مغادرته مصر في فرنسا متنكرًا، ثم غادرها لتركيا. وفي ٢٥ مايو بينما كان خارج من الباب العالي قام شاب مصري يدعى "محمود مظهر" بإطلاق الرصاص عليه. وقال الخديوي عن الحادثة:

شعرت بإنقباض صدر قبلها، وعندما رأيت الشاب يصوب المسدس إلي تمكنت من الإمساك بيده الممسكة بالمسدس ودفعه بعيدًا في الوقت الذي لم يتحرك فيه الحرس إلا متاخرًا وأصابني بعض الرصاص ولكن في مناطق غير مميتة وتناثرت الدماء على ملابسي وكيس نقودي ولكنها لم تصل إلى المصحف الذي كنت أحمله وهذا من لطف الله وحتى لو وصلت إليه لما مس هذا من قداسته.

وتسبب هذا الحادث في تأخير عودته لمصر في الوقت الذي نشبت فيه الحرب العالمية الأولى ولم يعد السفر عبر البحار مأمونًا. وطلب السفير الإنجليزي في تركيا من الخديوي العودة إلى مصر، إلا إنه تردد فطلب منه أن يرحل إلى إيطاليا إلى ان تسمح الظروف بالعودة إلى مصر، فرفض. وكانت الحرب حتى ذلك الوقت بين إنجلترا وألمانيا، إلا أن إنجلترا تعرف أن هناك عداء تركي للإنجليز جعلهم يتشككون في نواياه.

كانت كل الجهات في إنجلترا عدا الخارجية تطالب بخلعه، وفي ١٠ ديسمبر ١٩١٤ صدر القرار بعزله وجاء فيه:

عباس حلمي الثاني يعلن وزير الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى أنه بالنظر لإقدام سمو عباس حلمي باشا خديوي مصر السابق على الانضمام لأعداء جلالة الملك رأت حكومة جلالته خلعه من منصب الخديوي.

وظل الشعب المصري لفترة طويلة من ١٩١٤ إلى ١٩٣١ يهتف في مظاهراته ضد الاستعمار بـ"عباس جاي" وذلك على أساس أنه هو رمز لعودة مصر للحكم العثماني ونهاية الحكم الإنجليزي. ولكنه تنازل عن كافة حقوقه في عرش مصر بعد مفاوضات أجراها معه إسماعيل صدقي باشا مقابل ٣٠٠٠٠ جنية دفعتها حكومة مصر. ويرى البعض إنه لعب على حسابات خاطئة، إذ رأى أن تركيا تعادى روسيا حليفة إنجلترا، وأنه لو انتصر الأتراك في الحرب فسيعود مع الأتراك إلى القاهرة رافعًا رايات النصر، ولكن بعد أربع سنوات احتل الإنجليز الشام وخسر الأتراك الحرب وتصدعت دولة الخلافة.

تزوج مرتين، الأولى من إقبال هانم، وأنجبا:

*** الأمير محمد عبد المنعم (الوصي على العرش بعد ثورة يوليو).**

*** الأمير محمد عبد القادر.**

*** الأميرة أمينة.**

*** الأميرة عطية الله.**

*** الأميرة فتحية.**

*** الأميرة لطيفة شوكت.**

كما تزوج من جاويدان هانم.

الفصل الثاني

السلطان حسين كامل

(٢١ نوفمبر ١٨٥٣ - ٩ أكتوبر ١٩١٧)

السلطان حسين كامل (٢١ نوفمبر ١٨٥٣ – ٩ أكتوبر ١٩١٧)، سلطان مصر وملك السودان من ١٩ سبتمبر ١٩١٤ حتى ٩ أكتوبر ١٩١٧، وذلك خلال الاحتلال البريطاني.

هو حسين كامل ابن الخديوي إسماعيل. نصب سلطانًا على مصر بعدما عزل الإنجليز ابن أخيه الخديوي عباس حلمي الثاني وأعلنوا مصر محمية بريطانية في عام ١٩١٤ وذلك في بداية الحرب العالمية الأولى. وكانت تلك الخطوة قد أنهت السيادة الاسمية للعثمانيين على مصر، ويلاحظ أن لقب "سلطان" هو نفس اللقب لرأس الدولة العثمانية.

وقبل توليه السلطة في مصر سبق له أن تولى نظارة الأشغال العمومية، فأنشأ سكة حديد القاهرة – حلوان، ثم نظارة المالية فرئاسة مجلس شورى القوانين.

الفصل التاسع

الملك فؤاد الاول

(٢٦ مارس ١٨٦٨ - ٢٨ أبريل ١٩٣٦)

فؤاد الأول (٢٦ مارس ١٨٦٨ – ٢٨ أبريل ١٩٣٦)، سلطان مصر من ١٩١٧ إلى ١٩٢٢، ثم غير اللقب وأصبح ينادى بملك مصر وسيد النوبة وكردفان ودارفور، وذلك منذ إعلان استقلال مصر في ١٢ مارس ١٩٢٢ بعد تصريح ٢٢ فبراير ١٩٢٢ برفع الحماية عن مصر.

ولد بقصر والده الخديوي إسماعيل بالجيزة، والدته هي الزوجة الثالثة للخديوي الأميرة فريال هانم. وعند بلوغه السابعة من عمره ألحقه والده بالمدرسة الخاصة في قصر عابدين والتي كان قد أنشاها لتعليم أنجاله، واستمر بها ثلاث سنوات، وفيها أتقن مبادئ العلوم والتربية العالية. وبعد عزل والده الخديوي إسماعيل سنة ١٨٧٩ صحبه معه إلى المنفى في إيطاليا، حيث التحق بالمدرسة الإعدادية الملكية في مدينة تورينو الإيطالية، فاستمر بها حتى أتم دراسته، ثم انتقل إلى تورين الحربية وحصل على رتبة ملازم في الجيش الإيطالي، وألحق بالفرقة الثالثة عشرة (مدفعية الميدان). وانتقل بعد ذلك مع والده إلى الأستانة بعد شرائه لسراي مطلة على البوسفور، وعين ياورًا فخريًا للسلطان عبد الحميد الثاني، ثم أنتدب بعد ذلك ليكون ملحقًا حربيًا لسفارة الدولة العليا في العاصمة النمساوية فيينا. عاد إلى مصر سنة ١٨٩٠، وتولى منصب كبير الياورن في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني، وتدرج في المناصب حتى أصبح ياورًا للخديوي واستمر في هذا المنصب ثلاث سنوات متتالية، كما عني بشؤون الثقافة فرأس اللجنة التي قامت بتأسيس وتنظيم الجامعة المصرية الأهلية.

وعند وفاة السلطان حسين كامل رفض ابنه الأمير كمال الدين حسين أن يخلفه، فإعتلى فؤاد الأول عرش مصر بدلاً منه، وفي عهده قامت ثورة ١٩١٩ واضطر الإنجليز إلى رفع حمايتهم عن مصر والاعتراف بها مملكة مستقلة ذات سيادة، فأعلن الاستقلال في ١٢ مارس ١٩٢٢، وتم في عهده تأليف أول وزارة شعبية برئاسة سعد زغلول وذلك في يناير من عام ١٩٢٤. وفي صيف ١٩٣٦ عقدت معاهدة بين مصر والمملكة المتحدة اعترفت الأخيرة بمصر دولة مستقلة.

في مايو من عام ١٨٩٨ تعرض لإعتداء من الأمير "أحمد سيف الدين" الذي أطلق عليه النار في نادي محمد علي بسبب نزاع بينه وبين زوجته الأميرة شويكار خانم أفندي فاستنجدت بأخيها أحمد سيف الدين، الذي قام بإطلاق النار عليه، لكنه لم يمت وإنما سببت له بعض المشاكل في حنجرته وسببت له ضخامة في الصوت.

و على صعيد الحياة السياسية تأتي انجازاته على النحو التالى :

* أسس الجمعية السلطانية للاقتصاد والإحصاء والتشريع، وقام بافتتاحها في ٨ أبريل ١٩٠٩.

* أسس جمعية لترغيب السياح في زيارة البلاد المصرية ومشاهدة إثارها وذلك في عام ١٩٠٩.

* رأس جمعية الهلال الأحمر في مصر في ٢ مارس ١٩١٦.

* أمر بتشييد مبنى البرلمان، وإصدار الدستور.

* نتيجة لمساعيه قبلت المملكة المتحدة وفرنسا وإيطاليا أن يتعلم بعض الطلبة المصريين مجانًا في جامعات لندن وباريس وروما.

توفي الملك فؤاد الاول في ٢٨ أبريل ١٩٣٦ بقصر القبة، ودفن في مسجد الرفاعي.

الفصل العاشر

الملك فاروق الاول

(١١ فبراير ١٩٢٠ - ١٨ مارس ١٩٦٥)

الملك فاروق (١١ فبراير ١٩٢٠ – ١٨ مارس ١٩٦٥)، آخر ملوك المملكة المصرية وآخر من حكم مصر من الأسرة العلوية. استمر حكمه مدة سته عشر سنة إلى أن أرغمته ثورة يوليو ١٩٥٢ على التنازل عن العرش لإبنه الطفل أحمد فؤاد الذي كان عمره حينها ستة شهور والذي ما لبث أن خلع، بتحويل مصر من ملكية إلى جمهورية، بعد تنازله عن العرش أقام في منفاه بروما، وكان يزور منها سويسرا وفرنسا، وذلك إلى أن توفي بروما، ودفن في المقبرة الملكية بمسجد الرفاعي بالقاهرة حسب وصيته.

ولد ونشأ في القاهرة كأبن وحيد بين خمس شقيقات أنجبهم الملك فؤاد الأول، ثم أكمل تعليمه بإنجلترا. أصبح وليًا للعهد وهو صغير السن، واختار له لقب "أمير الصعيد".

تولى العرش في سن صغيرة، حيث إنه كان بالسادسة عشر من عمره عند وفاة والده الملك فؤاد الأول، وخلف أباه على عرش مصر بتاريخ ٢٨ أبريل ١٩٣٦. ولأنه كان قاصرًا تم تشكيل مجلس وصاية رأسه ابن عمه الأمير محمد علي باشا توفيق وذلك كونه أكبر أمراء الأسرة العلوية سنًا. واستمرت مدة الوصاية ما يقارب السنه وثلاث شهور إذ أنّ والدته الملكة نازلي خافت بأن يطمع الأمير محمد علي بالحكم ويأخذه لنفسه، فأخذت فتوى من شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي بأن يحسب عمر فاروق بالتاريخ الهجري، وأدّى ذلك إلى أن يتوج ملكًا رسميًا بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩٣٧، قام بعدها بتعيين الأمير محمد علي باشا وليًا للعهد والذي ظل به حتى ولادة ابنه أحمد فؤاد.

و من اهم الاحداث في عهده:

حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢

في ٤ فبراير ١٩٤٢ قامت القوات البريطانية بمحاصرة الملك فاروق بقصر عابدين، وأجبره السفير البريطاني في القاهرة السير مايلز لامبسون على التوقيع على قرار باستدعاء زعيم حزب الوفد مصطفى النحاس لتشكيل الحكومة بمفرده أو أن يتنازل هو عن العرش.

كانت تلك الحادثة قد حدثت أثناء الحرب العالمية الثانية، وكانت القوات الألمانية بقيادة إرفين رومل موجودة في العلمين، وكان الموقف العسكري مشحونًا بالاحتمالات الخطيرة على مصر واحتاج الأمر إلى الاستعجال بتشكيل وزارة ترضى عنها غالبية الشعب وتستطيع إحكام القبضة على الموقف الداخلي. كان السفير البريطاني قد طلب من الملك تأليف وزارة تحرص علي الولاء لمعاهدة ١٩٣٦ نصًا وروحًا وتكون قادرة علي تنفيذها، وتحظي في نفس الوقت بتأييد غالبية الرأي العام، وأن يتم ذلك في موعد أقصاه ٣ فبراير ١٩٤٢. ولذلك قام الملك باستدعاء قادة الأحزاب السياسة في محاولة لتشكيل وزارة ائتلافية، وكانوا جميعا عدا مصطفى النحاس مؤيدين لفكرة الوزارة الائتلافية برئاسة النحاس فهي تحول دون إنفراد حزب الوفد بالحكم ولهم أغلبية بالبرلمان. طلبت المملكة المتحدة من سفيرها السير مايلز لامبسون أن يلوح باستخدام القوة أمام الملك، وفي صباح يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ طلب السفير مقابلة رئيس الديوان الملكي أحمد حسنين باشا وسلمه إنذارًا موجه للملك هدده فيه بإنه إذا لم يعلم السفير قبل الساعة السادسة مساءً إنه قد تم تكليف مصطفى النحاس بتشكيل الحكومة فإنه يجب على الملك أن يتحمل تبعات ما يحدث. وكان السفير جادًا في هذا الإنذار، وكان يعد من يحتل العرش مكانه، وهو ولي العهد الأمير محمد علي توفيق الذي ظل حلم اعتلائه للعرش يراوده لسنوات طويلة، وقد كان أكبر أفراد أسرة محمد علي سنًا، إلا أن زعيم حزب الوفد مصطفى النحاس رفض الإنذار. وعند مساء هذا اليوم ٤ فبراير ١٩٤٢ توجه السفير ومعه قائد القوات البريطانية في مصر "الجنرال ستون" ومعهما عدد من الضباط البريطانيين المسلحين بمحاصرة ساحة قصر عابدين

بالدبابات والجنود البريطانيين، ودخلا إلى مكتب الملك وكان معه رئيس الديوان أحمد حسنين باشا، ووضع السفير أمام الملك وثيقة تنازله عن العرش، وقد كتب بالوثيقة ما يلي :

نحن فاروق الأول ملك مصر، تقديرًا منا لمصالح بلدنا فإننا هنا نتنازل عن العرش ونتخلى عن أي حق فيه لأنفسنا ولذريتنا، ونتنازل عن كل الحقوق والامتيازات والصلاحيات التي كانت عندنا بحكم الجلوس على العرش، ونحن هنا أيضًا نحل رعايانا من يمين الولاء لشخصنا.

صدر في قصر عابدين في هذا اليوم الرابع من فبراير ١٩٤٢.

ويقول السير لامبسون إنه عندنا وضع وثيقة التنازل أمام الملك تردد لثوان، وإنه أحس للحظة إن الملك سوف يأخذ القلم ويوقع، لكن رئيس الديوان الملكي أحمد حسنين باشا تدخل وقال شيئاً للملك باللغة العربية، فتوقف الملك وطلب من "لامبسون" فرصة أخرى أخيرة ليستدعي مصطفى النحاس على الفور وفي وجوده إذا أراد، وأن يكلفه على مسمع منه بتشكيل الوزارة. سأله "لامبسون" إذا كان يفهم وبوضوح إنه يجب أن تكون الوزارة من اختيار النحاس وحده؟ فقال أنه يفهم. فقال له السير لامبسون إنه على استعداد لأن يعطيه فرصة أخيرة لأنه يريد أن يجنب مصر تعقيدات قد لا تكون سهلة في هذه الظروف، ولكن عليه أن يدرك أن تصرفه لا بد أن يكون فوريًا، فرد عليه مرة أخرى إنه يستوعب إن ضرورات محافظته على شرفه وعلى مصلحة بلاده تقتضي أن يستدعي النحاس فورًا.

حادث القصاصين

في عصر يوم ١٥ نوفمبر ١٩٤٣ كان فاروق يقود السيارة التي أهداها له الزعيم النازي أدولف هتلر بسرعة كبيرة بجوار ترعة الإسماعيلية عائدًا من رحلة صيد، وفوجئ بمقطورة عسكرية إنجليزية كانت قادمة من بنغازي وقد انحرفت يسارًا فجأة وسدت الطريق أمامه لكي تدخل المعسكر، فقام بالانحراف لتفادي السقوط في الترعة. اصطدمت مقدمة المقطورة بسيارته فطارت عجلاتها الأمامية، وتحطم الباب الأمامى ووقع في وسط الطريق. كاد الحادث أن يؤدي بحياته، وتم نقله إلى داخل المعسكر لإسعافه، ثم حملته السيارة

الملكية إلى المستشفى العسكري القريب في القصاصين، وقامت الطبيبة الإنجليزية بفحص الصدر والبطن، وأشار الملك إلى موضع الألم في عظمة الحوض أسفل البطن. وقد أحاط جنود مصريين بعد الحادث بالمستشفى من تلقاء أنفسهم، وتم إبلاغ القصر الملكي وحضر الجراح علي باشا إبراهيم بالطائرة من القاهرة لإجراء العملية له. وبعد انتشار الخبر في أرجاء مصر زحفت الجماهير بالألوف وأحاطت بمستشفى القصاصين طوال إقامته فيه بعد الجراحة التي ظل يعانى من آثارها طوال حياته وسببت له السمنة المفرطة بعد ذلك. وسرت شائعات بأن الحادث كان مدبرًا للتخلص منه بسبب تفاقم الخلاف الحاد بينه وبين السفير البريطاني السير مايلز لامبسون بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢.

كانت خلافاته مع والدته الملكة نازلي مؤلمه له من الناحية النفسية، ومن خلال صورته أمام الشعب، وكانت بدايتها عندما دخلت الملكة نازلي في علاقة عاطفية مع أحمد حسنين باشا، وتزوجا عرفيًا، وإنتهى هذا الزواج بمقتل أحمد حسين على كوبري قصر النيل على يد سائق إنجليزي مخمور عام ١٩٤٦. ولكن الخلاف أخذ شكلاً آخر عندما قررت الملكة الأم الرحيل عن مصر في عام ١٩٤٦، فجمعت ما تسنى لها من الأموال في سرية تامة، وأذن لها بالسفر إلى فرنسا بحجة العلاج من مرض الكلى. وبالفعل سافرت إلى سويسرا ومنها إلى فرنسا، واستقرت فيها للعلاج عدة أسابيع ولكن حالتها لم تتحسن، فسافرت إلى الولايات المتحدة للعلاج أيضًا، وإصطحبت معها ابنتيها فايقة وفتحية وكل من كانوا معها في فرنسا بما فيهم موظف علاقات عامة صغير اسمه رياض غالي. قامت ضجة كبيرة في مصر بعد زواج الأميرة فتحية من رياض غالي وسمت نفسها باسم ماري إليثابس وأعتنقت المسيحية ومالبث أن أصدر فاروق قرارًا بحرمان نازلي من لقب "الملكة الأم" في جلسة مجلس البلاط في ١ أغسطس ١٩٥٠، كما قام بالحجر عليها للغفلة وإلغاء وصايتها على ابنتها الأميرة فتحية.

وقد أطاحت بالملك فاروق حركة الضباط الأحرار المكونة من مجموعة من الضباط صغار السن نسبيًا بقيادة اللواء محمد نجيب، وذلك بعد ثورة يوليو التي قامت في ٢٣ يوليو ١٩٥٢. تنازل فاروق عن العرش في ٢٦ يوليو ١٩٥٢ لإبنه أحمد فؤاد الثاني،

علمًا بأن الضباط الأحرار كانوا قد قرروا الاكتفاء بعزله ونفيه من مصر، بينما أراد بعضهم محاكمته وإعدامه كما فعلت ثورات أخرى مع ملوكها.

و جاء نص الانذار من حركة قيادة الثورة ملتهبا و قد احتوى على

" من الفريق أركان حرب محمد نجيب باسم ضباط الجيش ورجاله
إلى الملك فاروق الأول
أنه نظرًا لما لاقته البلاد في العهد الأخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لإرادة الشعب حتى أصبح كل فرد من أفراده لا يطمئن على حياته أو ماله أو كرامته. ولقد ساءت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم في هذا المسلك حتى أصبح الخونة والمرتشون يجدون في ظلكم الحماية والأمن والثراء الفاحش والإسراف الماجن على حساب الشعب الجائع الفقير، ولقد تجلت آية ذلك في حرب فلسطين وما تبعها من فضائح الأسلحة الفاسدة وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر مما أفسد الحقائق وزعزع الثقة في العدالة وساعد الخونة على ترسم هذا الخط فأثرى من أثرى وفجر من فجر وكيف لا والناس على دين ملوكهم.
لذلك قد فوضني الجيش الممثل لقوة الشعب أن أطلب من جلالتكم التنازل عن العرش لسمو ولي عهدكم الأمير أحمد فؤاد على أن يتم ذلك في موعد غايته الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم السبت الموافق ٢٦ يوليو ١٩٥٢ والرابع من ذي القعدة سنة ١٣٧١ ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه.
والجيش يحمل جلالتكم كل ما يترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج.
فريق أركان حرب محمد نجيب
الإسكندرية في يوم السبت ٤ من ذي القعدة ١٣٧١هـ، ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ ميلادية.

طالب فاروق بأن يحافظ على كرامته في وثيقة التنازل عن العرش، فطمأنه علي ماهر باشا رئيس الوزارة، وذكر له إنها ستكون على مثال الوثيقة التي تنازل بها ملك بلجيكا عن عرشه، وإتصل علي ماهر باشا بالدكتور عبد الرازق السنهوري طالبًا منه تحرير وثيقة التنازل. فأعدت الوثيقة وعرضت على محمد نجيب فوافق عليها، واقترح جمال سالم إضافة عبارة (ونزولًا على إرادة الشعب) على صيغة الوثيقة، وتم تكليف سليمان حافظ بحمل الوثيقة إلى الملك ليقوم بتوقيعها، فاستقبله الملك وقرأها أكثر من مرة، وإطمأن للشكل القانوني لها وأراد إضافة كلمة (وإرادتنا) عقب عبارة ونزولاً على إرادة الشعب، لكنه أفهمه أن صياغة الوثيقة في صورة أمر ملكي تنطوي على هذا المعنى، وإنها تمت بصعوبة كبيرة ولا تسمح بإدخال أي تعديل، وكان الملك وقتها في حالة عصبية سيئة.

هذا نص وثيقة التنازل عن العرش

فاروق الأول

أمر ملكي رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان، لما كنا نتطلب الخير دائما لأمتنا ونبتغي سعادتها ورقيها، ولما كنا نرغب رغبة أكيدة في تجنيب البلاد المصاعب التي تواجهها في هذه الظروف الدقيقة ونزولا على إرادة الشعب، قررنا النزول عن العرش لولي عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه.

صدر بقصر رأس التين في ٤ ذي القعدة ١٣٧١ هـ الموافق ٢٦ يوليو ١٩٥٢.

في تمام الساعة السادسة وأحد وعشرون دقيقة مساء يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ غادر فاروق قصر رأس التين بالإسكندرية مرتديًا لباس أمير البحر على ظهر اليخت الملكي المحروسة بقيادة جلال علوبة (وهو نفس اليخت الذي غادر به جده الخديوي إسماعيل عند عزله عن الحكم)، وقد تعهد بأن يقوم بإعادة المحروسة فور نزوله في ميناء نابولي، وكان في وداعه علي ماهر باشا والسفير الأمريكي كافري ووالدة الملكة ناريمان، أصيلة صادق، وأخواته الأميرة فوزية والأميرة فايزة. وأطلقت المدفعية إحدى وعشرين طلقة تحية له، وتم إنزال ساريه العلم الملكي. وقد وصل اللواء محمد نجيب متأخرًا وذلك بسبب

الإزدحام ومعه أحمد شوقي وجمال سالم وحسين الشافعي وإسماعيل فريد، ولحقوا بالمحروسة في عرض البحر وذلك حسب ما ذكره اللواء محمد نجيب في مذكراته. وخلال اللقاء لاحظ محمد نجيب أن جمال سالم يحمل عصاه تحت إبطه فأمره قائلاً "أنزل عصاك أنت في حضرة ملك"، مشيرا إلى ابنه الرضيع الملك أحمد فؤاد الثاني، ولقد اعتذر محمد نجيب على تصرف جمال سالم.

يرى البعض إن فاروق عاش حياة البذخ والسهر في منفاه، وأنه كان له العديد من العشيقات منهم الكاتبة البريطانية باربرا سكلتون. قالت مطلقته الملكة فريدة وكذلك ابنته الأميرة فريال أنه لم يكن يملك الشئ الكثير بعد أن غادر مصر بعد ثورة يوليو. وأثبت شهود العيان في المحكمة التي عقدتها الثورة لمحاكمة حاشيته ومعاونيه بعد خروجه من مصر، أنه حمل معه إلى إيطاليا ٢٢ حقيبة بها ملابسه وزوجته ناريمان وملابس الأميرات الصغيرات بالإضافة إلى مبلغ ٥٠٠٠ جنيه مصري، علمًا بأن حسابه البنكي في سويسرا كان به ٢٠ ألف جنيه. وبعد أقل من عامين في المنفى طلبت الملكة ناريمان الطلاق منه وسافرت إلى مصر دون إذنه، وأذنت لها الحكومة المصرية بذلك، وأعلن عن الطلاق أمام محكمة الأحوال المدنية وفي الصحف الرسمية. طلب فاروق بعدها أن يحل ضيفًا على إمارة موناكو وقد عاش فيها معظم سنوات المنفى، ومنحه الأمير رينيه جنسية موناكو وجواز سفر دبلوماسي عام ١٩٦٠ قبل وفاته بخمس سنوات. كشفت ابنته الكبرى الأميرة فريال في برنامج تليفزيوني مع محطة **mbc** في سبتمبر من العام ٢٠٠٧، أن والدها كان يتلقى إعانات مالية سنوية من الأسرة المالكة السعودية نظرًا للصداقة التي كانت تربطه بمؤسس المملكة الملك عبد العزيز آل سعود.

توفي في ليلة ١٨ مارس ١٩٦٥، في الساعة الواحدة والنصف صباحًا، بعد تناوله لعشاء دسم في مطعم ايل دي فرانس الشهير بروما وقد قيل أنه اغتيل بسم الاكوانتين (مدسوساً في كوب عصير الجوافة) على يد إبراهيم البغدادي أحد أبزر رجال المخابرات المصرية الذي أصبح فيما بعد محافظًا للقاهرة، والذي كان يعمل جرسونًا بنفس المطعم بتكليف من القيادة السياسية التي كانت تخشى من تحقق شائعة عودته لمصر وهذا ما نفاه إبراهيم البغدادي. في تلك الليلة أكل وحده دستة من المحار وجراد البحر وشريحتين من

لحم العجل، مع بطاطس محمرة وكمية كبيرة من الكعك المحشو بالمربي والفاكهة، شعر بعدها بضيق في التنفس وإحمرار في الوجه ووضع يده في حلقه. وحملته سيارة الإسعاف إلى المستشفى وقرر الأطباء الإيطاليين بأن رجلًا بدينًا مثله يعاني ضغط الدم المرتفع وضيق الشرايين لابد أن يقتله الطعام.

بينما روت "اعتماد خورشيد" في مذكراتها اعتراف صلاح نصر لها بتخطيطه لعملية القتل، ولكن لم تتم تحقيقات رسميه في الجريمة، ورفضت أسرة الملك تشريح جثته مؤكدة أنه مات من التخمة، وذلك ربما لحرصهم أن تنفذ وصيه الملك بأن يدفن في مصر. وقد رفض الرئيس جمال عبد الناصر هذا الطلب آنذاك، إلا أن إلحاح الملك فيصل بن عبد العزيز ملك السعودية بأن يدفن جثمان فاروق في مصر قد سمح بذلك، واشترط جمال عبدالناصر ألا يدفن الجثمان في مدافن مسجد الرفاعي. وتم نقل جثمانه إلى مصر في منتصف الليل ودفن في جامع إبراهيم باشا بتكتم شديد، إلا أن الرئيس محمد أنور السادات قد سمح بدفنه في مسجد الرفاعي في وقت لاحق، حيث تم نقل رفاته ليلاً تحت الحراسة الأمنية إلى المقبرة الملكية بمسجد الرفاعي في القاهرة ودفن بجانب أبيه الملك فؤاد وجده الخديوي إسماعيل.

تزوج فاروق مرتين، الأولى من صافيناز ذو الفقار التي غير اسمها إلى فريدة، وتم الزفاف في ٢٠ يناير ١٩٣٨ وكان حينها في الثامنة عشر من عمره، وأنجبا ثلاث بنات هن الأميرة فريال، الأميرة فوزية، والأميرة فادية. وتطلقا في عام ١٩٤٩ إثر خلافات كبيرة بينهما، ومن بينها عدم إنجابها وريثاً للعرش، وقد اعترض الشعب على الطلاق، لأنهم كانوا يحبونها ويشعرون بأنها لصيقة بطبقاتهم وبأحوالهم، وعندما طلقها الملك غضبوا عليه بشدة، فطافت المظاهرات الشوارع بعد طلاقها تهتف "خرجت الفضيلة من بيت الرذيلة".

زوجته الثانية هي ناريمان صادق، وتم زواجهما في ٦ مايو ١٩٥١، وأنجبت له ولي العهد الأمير أحمد فؤاد الذي تولى العرش وهو لم يتجاوز الستة أشهر تحت لجنة وصاية برئاسة الأمير محمد عبد المنعم، وذلك بعد تنازل الملك عن العرش بعد ثورة يوليو. وغادرت الملكة ناريمان معه إلى المنفى بإيطاليا، إلا إنه وبعد خلافات كبيرة تم الطلاق بينهما في فبراير من عام ١٩٥٤.

الفصل الحادي عشر

أحمد فؤاد الثاني

الملك أحمد فؤاد الثاني (١٦ يناير ١٩٥٢ –)، ملك مصر من ٢٦ يوليو ١٩٥٢ إلى إعلان الجمهورية في ١٨ يونيو ١٩٥٣.

هو ابن الملك فاروق من زوجته الثانية الملكة ناريمان، وتحقق بمولده أمنيه والده بإنجاب ولد ذكر كي يرث العرش، وقام بمنح الطبيب الذي أشرف على عملية الولادة لقب الباشوية. وبعد ميلاده دوت في ليل القاهرة طلقات المدفعية إعلانًا عن مولد أول طفل ذكر للملك فاروق قبل موعد ولادته الطبيعية بشهر واحد، وأعلنه وليًا للعهد، وهذا ما جعل من الأمير محمد علي باشا توفيق يبكي بعد أن سمع طلقات المدفع وعرف إن عرش مصر ذهب بعيدًا عنه بعد أن كان وليًا للعهد منذ تولي فاروق الحكم. كما إن الأمير محمد عبد المنعم شعر بذات المشاعر خصوصًا إنه كان يعتبر الثالث بترتيب العرش بسبب السن حيث كان حينها في عمر الثانية والخمسين، بينما كان محمد علي باشا توفيق بعمر الخامسة والسبعين.

بعد عشرة أيام من مولده إندلعت أحداث القناة وذلك من خلال مواجهات شرسة بين القوات البريطانية ورجال الشرطة المصريين في الإسماعيلية، وفى اليوم التالي اندلعت حرائق في القاهرة، وبعد خمسة شهور فقط من مولده قامت ثورة يوليو التي أدت إلى خلع والده الملك فاروق.

تنازل له والده الملك فاروق عن العرش تحت ضغط الضباط الأحرار قادة الثورة في ٢٦ يوليو ١٩٥٢، وغادر بصحبة والده مصر إلى إيطاليا على متن يخت المحروسة. وشكلت لجنة الوصاية على العرش المكونة من الأمير محمد عبد المنعم وبهي الدين باشا بركات والقائمقام رشاد مهنا وذلك إلى تاريخ إعلان الجمهورية في ١٨ يونيو ١٩٥٣.

عاشت أخواته الثلاثة في سويسرا، وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة عامة، وحصل على شهادة الثانوية الفرنسية من مؤسسة روزي في سويسرا، أكمل بعدها دراسته الجامعية في جامعة جنيف في تخصص العلوم السياسية والاقتصاد. انتقل بعد زواجه إلى العاصمة الفرنسية باريس وعمل مستشارًا ماليًا واقتصاديًا لشركات فرنسية وأجنبية.

رد الرئيس المصري محمد أنور السادات جوازات السفر المصرية له ولعائلته بعد أن نزعت عنهم الجنسية المصرية لفترة طويله، وهكذا تمكن من زيارة مصر مرات عديدة .

تزوج من الفرنسية دومينيك فرانس بيكاروهي يهودية اعتنقت الإسلام ولقبت بالملكة فضيلة وأنجبا كل من :

*** محمد علي (ولد في القاهرة في العام ١٩٧٩ بعد موافقة من الرئيس محمد أنور السادات على حضور أحمد فؤاد وزوجته لتتم ولادة ابنه في القاهرة .؟**

*** فوزية لطيفة (ولدت في موناكو في العام ١٩٨٢).**

*** فخر الدين (ولد في العام ١٩٨٧ في الدار البيضاء بالمغرب بعد دعوة شخصية من ملك المغرب الحسن الثاني) .**

عندما دبت الخلافات بين أحمد فؤاد الثاني وزوجته أصدرت محكمة سويسرية حكمًا بطلاقهما في ٩ مايو ٢٠٠٦، إلا أن فضيلة إستأنفت الحكم وطالبت ببطلان حكم الطلاق إلا أن محكمة الاستئناف السويسرية رفضت الطلب، وأكد ذلك قرار المحكمة الفيدرالية الذي صدر في ١٦ يوليو ٢٠٠٧. وفي ١٨ أغسطس ٢٠٠٨ صدر القرار النهائي للطلاق حيث تم تأكيده وأصبح ملزمًا.

الباب السادس

حكم مجلس قيادة الثورة

الفصل الأول

الرئيس محمد نجيب

محمد نجيب

اللواء أركان حرب محمد نجيب (١٩٠١ – ١٩٨٤) سياسي وعسكري مصري، هو أول رئيس لمصر الجمهورية، لم يستمر في سدة الحكم سوى فترة قليلة بعد إعلان الجمهورية (يونيو ١٩٥٣ – نوفمبر ١٩٥٤)، حيث عزله مجلس قيادة الثورة ووضعه تحت الإقامة الجبرية بعيداً عن الحياة السياسية لمدة ٣٠ سنة، مع منعه تمامًا من الخروج أو مقابلة أي شخص من خارج أسرته، حتى أنه ظل لسنوات عديدة يغسل ملابسه بنفسه، وشطبوا اسمه من كتب التاريخ والكتب المدرسية. وفي سنواته الأخيرة نسي كثير من المصريين أنه لا يزال على قيد الحياة حتى فوجئوا بوفاته. وكان أول حاكم مصري يحكم مصر حكماً جمهورياً فقد كان قائد ثورة ٢٣ يوليو التي قامت بخلع الملك فاروق. أعلن مباديء الثورة الستة وحدد الملكية الزراعية. كان له شخصيته وشعبيته المحببة في صفوف الجيش والشعب المصري، حتي من قبل الثورة لدوره البطولي في حرب فلسطين.

نشأته

ولد محمد نجيب بالسودان بساقية أبو العلا بالخرطوم، لأب مصري وأم سودانية اسمها "زهرة أحمد عثمان". اسمه بالكامل محمد نجيب يوسف قطب القشلان. يوجد تضارب حول تاريخ ميلاده، حيث أن التاريخ الرسمي لدى التسنين الذي قام به الجيش هو ١٩ فبراير ١٩٠١، وعادة لا يكون دقيقا، أما في مذكراته، فقد ذكر أن أحد كبار عائلته قال له أنه ولد قبل أحد أقربائه بأربعين يوما، وبالحساب وجد أن تاريخه ميلاده هو ٧ يوليو ١٩٠٢.

بدأ والده يوسف نجيب حياته مزارعا في قريته النحارية مركز كفر الزيات بمحافظة الغربية في مصر، وهى بجوار قرية إبيارالشهيرة، ثم التحق بالمدرسة الحربية وتفوق فيها، وبعد تخرجه شارك في حملات استرجاع السودان ١٨٩٨. تزوج يوسف نجيب من سودانية وأنجب منها ابنه الأول عباس لكنها توفيت، فتزوج من السيدة "زهرة" ابنة الأميرالاي محمد بك عثمان في عام ١٩٠٠، وهو ضابط مصري تعيش أسرته في أم درمان واستشهد في احدى المعارك ضد الثورة المهدية، وقد أنجب يوسف من السيدة زهرة ثلاثة أبناء هم محمد نجيب وعلي نجيب ومحمود نجيب، وأنجب أيضا ست بنات. عندما بلغ محمد نجيب ١٣ عاما توفي والده، تاركا وراءه أسرة مكونة من عشرة أفراد، فأحس بالمسؤولية مبكرا، ولم يكن أمامه إلا الاجتهاد في كلية جوردن حتي يتخرج سريعا.

حياته

تلقى محمد نجيب تعليمه بكتاب واد مدني عام ١٩٠٥ حيث حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، انتقل والده إلى وادي حلفا عام ١٩٠٨ فألتحق بالمدرسة الابتدائية هناك، ثم انتقل مع والده لضواحي بلدة واد مدني بمديرية النيل الأزرق وأكمل تعليمه الابتدائي وحصل على الشهادة الابتدائية فيها، ثم التحق بكلية جوردون عام ١٩١٣.

يقول محمد نجيب في مذكراته : " كنت طالبا في السنة الثانية بالكلية ١٩١٤ وجاء المستر سمبسون، مدرس اللغة الانجليزية، ليملي علينا قطعة إملاء جاء فيها: أن مصر يحكمها البريطانيون، فلم يعجبني ذلك، وتوقفت عن الكتابة. ونهضت واقفا وقلت له: لا يا سيدي مصر تحتلها بريطانيا فقط ولكنها مستقلة داخليا وتابعه لتركيا، فثار المدرس الإنجليزي وغضب وأصر علي أن اذهب أمامه إلي مكتبه وأمر بجلدي عشر جلدات علي ظهري واستسلمت للعقوبة المؤلمة دون أن أتحرك أو أفتح فمي".

ذهب إلى مصر حيث حصل على الشهادة الابتدائية المصرية (أثناء دراسته في السنة النهائية بكلية جوردون) وعاد للخرطوم عام ١٩١٦.

بعد أن تخرج من الكلية التحق بمعهد الأبحاث الاستوائية لكي يتدرب علي الآلة الكاتبة تمهيدا للعمل كمترجم براتب ثلاثة جنيهات شهريا، وبعد التخرج لم يقتنع بما حققه وأصر علي دخول الكلية الحربية في القاهرة.

التحق بالكلية الحربية في مصر في أبريل عام ١٩١٧ وتخرج فيها في ٢٣ يناير ١٩١٨، ثم سافر إلى السودان في ١٩ فبراير ١٩١٨ والتحق بذات الكتيبة المصرية التي كان يعمل بها والده ليبدأ حياته كضابط في الجيش المصري بالكتيبة ١٧ مشاة. ومع قيام ثورة ١٩١٩ أصر علي المشاركة فيها علي الرغم من مخالفة ذلك لقواعد الجيش، فسافر إلي القاهرة، وكان يجلس علي سلالم بيت الأمة حاملا علم مصر وبجواره مجموعة من الضباط الصغار. ثم انتقل إلى سلاح الفرسان في شندي، ثم ألغيت الكتيبة التي يخدم فيها، فانتقل إلى فرقة العربة الغربية بالقاهرة عام ١٩٢١.

حصل على شهادة الكفاءة، ودخل مدرسة البوليس لمدة شهرين، واحتك بمختلف فئات الشعب المصري، وتخرج من مدرسة البوليس وخدم في أقسام عابدين، مصر القديمة، بولاق، حلوان. عاد مرة أخرى إلى السودان عام ١٩٢٢ مع الفرقة ١٣ السودانية وخدم في " واو " وفي بحر الغزال، ثم انتقل إلى وحدة مدافع الماكينة في " ملكال ".

انتقل بعد ذلك إلى الحرس الملكي بالقاهرة في ٢٨ أبريل ١٩٢٣، ثم انتقل إلى الفرقة الثامنة بالمعادي بسبب تأييده للمناضلين السودانيين. حصل على شهادة البكالوريا عام ١٩٢٣. التحق بكلية الحقوق، ورقي إلى رتبة الملازم أول عام ١٩٢٤، وكان يجيد اللغات الانجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية والعبرية، ورغم مسؤوليته فقد كان شغوفا بالعلم.

في عام ١٩٢٧ كان محمد نجيب أول ضابط في الجيش المصري يحصل على ليسانس الحقوق، ودبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد السياسي عام ١٩٢٩ ودبلوم آخر في القانون الخاص عام ١٩٣١، وبدأ في إعداد رسالة الدكتوراه ولكن طبيعة عمله العسكري، وكثرة تنقلاته حال دون إتمامها.

وفي عام ١٩٢٩ تعلم محمد نجيب درسا من مصطفى النحاس، فقد أصدر الملك فؤاد قراره بحل البرلمان لأن أغلبية أعضائه كانوا من حزب الوفد الذي كان دائم الاصطدام

بالملك فتخفى محمد نجيب في ملابس خادم نوبي، وقفز فوق سطح منزل مصطفى النحاس، وعرض عليه تدخل الجيش لإجبار الملك على احترام رأي الشعب، لكن النحاس قال له : أنا أفضل أن يكون الجيش بعيدا عن السياسة، ،أن تكون الأمة هي مصدر السلطات، كان درسا هاما تعلم من خلاله الكثير حول ضرورة فصل السلطات واحترام الحياة النيابية الديمقراطية، وهو الدرس الذي أراد تطبيقه بعد ذلك في العام ١٩٥٤.

رقي إلى رتبة اليوزباشي (نقيب) في ديسمبر ١٩٣١، ونقل إلى السلاح الحدود عام ١٩٣٤، ثم انتقل إلى العريش. كان ضمن اللجنة التي أشرفت على تنظيم الجيش المصري في الخرطوم بعد معاهدة ١٩٣٦ ورقي لرتبة الصاغ (رائد) في ٦ مايو ١٩٣٨، ورفض في ذلك العام القيام بتدريبات عسكرية مشتركة مع الإنجليز في مرسى مطروح.

عقب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وهو الحادث الذي حاصرت خلاله الدبابات البريطانية قصر الملك فاروق لإجباره على إعادة مصطفى النحاس إلى رئاسة الوزراء أو أن يتنازل عن العرش، غضب محمد نجيب وكان وقتها برتبة صاغ (رائد) وذهب إلى حد تقديم استقالته احتجاجا وغضبا لأنه لم يتمكن من حماية ملكه الذي أقسم له يمين الولاء، وقد شكر المسؤولون في قصر عابدين مشاعره ورفضوا تسلم استقالته.

رقي إلى رتبة القائمقام (عقيد) في يونيو ١٩٤٤، وفي تلك السنة عين حاكما إقليميا لسيناء، وفي عام ١٩٤٧ كان مسؤولا عن مدافع الماكينه في العريش، ورقي لرتبة الأميرالاي (عميد) عام ١٩٤٨.

اشترك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ورغم رتبته الكبيرة فقد كان على رأس صفوف قواته فيها، وجرح ٣ مرات وعمل قائدا للواء الأول، ثم اللواء الثاني فالثالث فالرابع. وتعتبر معركة التبه (٨٦) في دير البلح من أهم المعارك التي اشترك فيها في فلسطين وعددها (٢١) معركة، حيث أصيب إصابة بالغة كادت أن تودي بحياته.

عين قائدا لمدرسة الضباط العظام عام ١٩٤٨، ثم سافر إلى فلسطين، حيث تسلم قيادة اللواء العاشر بالإضافة إلى اللواء الرابع مشاة، وعقب عودته عين قائدا لمدرسة الضباط العظام مرة أخرى عام ١٩٤٩، وعين في العام نفسه مديرا لسلاح الحدود.

رقي إلى رتبة اللواء في ٩ ديسمبر ١٩٥٠، وأصطدم بالملك فاروق عام ١٩٥١ حين طلب الملك منه ترقية حسين سري وكيل سلاح الحدود الذي يرأسه محمد نجيب فرفض ترقيته، فامتعض الملك منه، وقام بتعين حسين سري مديراً لسلاح الحدود بدلاً منه، وعين محمد نجيب مديراً لسلاح المشاة.

انتخب رئيسا لمجلس إدارة نادي الضباط في ١ يناير ١٩٥٢ بأغلبية الأصوات ولكن الملك فاروق أمر بحل المجلس.

قاد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وعرض عليه الملك فاروق منصب وزير الحربية ومنحه رتبة فريق مع مرتب وزير لكنه تنازل عن كل ذلك بعد خروج الملك فاروق إلى المنفى.

شكل أول وزارة بعد إستقالة علي ماهر باشا عام ١٩٥٢، وتولى رئاسة الجمهورية عام ١٩٥٣. أقيل من جميع مناصبه في ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ ووضع تحت الإقامة الجبرية.

مشاركته في حرب ١٩٤٨

كانت حرب ١٩٤٨ بداية معرفة محمد نجيب علي المستوي الشعبي، وعلي مستوي الجيش المصري، ورغم رتبته الكبيرة (عميد) كان على رأس صفوف قواته، حيث أصيب في هذه الحرب ٧ مرات لم يسجل منها سوي ثلاثة إصابات خطيرة، وكان أخطرها الإصابة الثالثة والأخيرة في معركة "التبه ٨٦" في ديسمبر ١٩٤٨ ،حيث أصيب برصاصات أثناء محاولته إنقاذ أحد جنوده عندما تعطلت دباباته ،وكانت إصابة نجيب شديدة حيث إستقرت الرصاصات علي بعد عدة سنتيمترات من قلبه، وحينما اختبأ خلف شجرة وجد الدم يتفجر من صدره، فكتب وصيه لأولاده قال فيها " تذكروا يا أبنائي أن أبيكم مات بشرف..وكانت رغبته الأخيرة أن ينتقم من الهزيمة في فلسطين ويجاهد لوحدة وادي النيل"

وعندما تم نقله إلي المستشفى اعتقد الأطباء أنه استشهد، ودخل اليوزباشي صلاح الدين شريف لإلقاء نظرة الوادع علي جسده فنزع الغطاء وسقطت دمعة علي وجه محمد نجيب وتحققت المعجزة فقد تحركت عيناه فجأة فأدرك الأطباء أنه لا يزال علي قيد الحياة وأسرعوا بإسعافه، بسبب هذه الحادثة حصل علي نجمة فؤاد العسكرية الأولي تقديراً لشجاعته في هذه المعركة فقد كان أول ضابط مصري يقود ما يربو علي الفيلق بمفرده.

انضمامه لحركة الضباط الأحرار

بعد حرب ١٩٤٨ عاد إلي القاهرة قائدا لمدرسة الضباط العظام، وتيقن أن العدو الرئيسي ليس في فلسطين وإنما الفساد الذي ينخر كالسوس في مصر والذي كان يتمثل في الملك وكبار الضباط والحاشية والإقطاع، وكان يردد دائما أن المعركة الحقيقة في مصر وليست في فلسطين، ولا يتردد في أن يقول هذا الكلام أمام من يثق فيهم من الضباط. وفي فترة من الفترات كان الصاغ عبد الحكيم عامر أركان حرب للواء محمد نجيب، ويبدو أن كلام نجيب عن الفساد في القاهرة قد أثر فيه فذهب إلي صديقه جمال عبد الناصر وقال له كما روي عامر لنجيب بعد ذلك : لقد عثرت في اللواء محمد نجيب علي كنز عظيم.

كان جمال عبدالناصر قد شكل تنظيم الضباط الأحرار، وأراد أن يقود التنظيم أحد الضباط الكبار لكي يحصل التنظيم علي تأييد باقي الضباط، وبالفعل عرض عبد الناصر الأمر علي محمد نجيب فوافق علي الفور. يقول ثروت عكاشة – أحد الضباط الأحرار – في كتابه "مذكراتي بين السياسة والثقافة": " كان اللواء محمد نجيب أحد قادة الجيش المرموقين لأسباب ثلاثة : أولها أخلاقياته الرفيعة، وثانيها ثقافته الواسعة فهو حاصل علي ليسانس الحقوق، وخريج كلية أركان الحرب ويجيد أكثر من لغة ويلم باللغة العبرية، وثالثها شجاعته في حرب فلسطين التي ضرب فيها القدوة لغيره وظفر بإعجاب الضباط كافة في ميدان القتال".

كان اختيار تنظيم الضباط الأحرار لمحمد نجيب سر نجاح التنظيم داخل الجيش، فكان ضباط التنظيم حينما يعرضون علي باقي ضباط الجيش الانضمام إلي الحركة كانوا يسألون من القائد، وعندما يعرفوا أنه اللواء محمد نجيب يسارعون بالانضمام.

ويؤكد اللواء جمال حماد . أحد الضباط الأحرار . أن الحركة لم تكن لتنجح لولا انضمام اللواء محمد نجيب إليها لما كان له من سمعة طيبة في الجيش، ولما كان منصبه ذو أهمية إذ أن باقي الضباط الأحرار كانوا ذوو رتب صغيرة وغير معروفين.

ترشحه لانتخابات نادي الضباط

يقول محمد نجيب في مذكراته : انتخابات نادي الضباط كانت هي الخطوة الفعالة الأولي في طريق ثورة يوليو.. فقبل انتخابات النادي كانت اللجنة التنفيذية لتنظيم الضباط الأحرار تعتقد أنه ليس من الممكن القيام بالثورة قبل عام ١٩٥٥... لكن بعد الانتخابات أحس الضباط بمدي قوتهم.. رشح محمد نجيب نفسه رئيسا لمجلس إدارة النادي لجس نبض الجيش واختبار مدي قوة الضباط الأحرار وتحديا للملك... وقبل الملك التحدي..ورشح حسين سري عامر.. كانت الانتخابات أول اختبار حقيقي لشعبية اللواء محمد نجيب داخل الجيش.

ومع طلوع فجر اليوم الأول من يناير ١٩٥٢ أعلنت النتيجة وحصل محمد نجيب علي أغلبية ساحقة شبة جماعية ولم يحصل منافسه سوي علي ٥٨ صوتا فقط. كانت النتيجة صدمة شديدة للملك فقرر حل مجلس إدارة النادي.

أدرك الملك الشعبية الطاغية لمحمد نجيب وسط الضباط، فرشحه وزيرا للحربية قبيل الثورة بأيام؛ في محاولة لامتصاص غضب الضباط، ولكن المحاولة تأخرت كثيرا فقد دارت عجلة الأحداث سريعا لتشهد مصر ميلاد عهد جديد صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

قيادته لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

في ليلة لن ينساها تاريخ مصر والمنطقة، وقع في القاهرة حدث غير تاريخها جذرياً ومازلنا نشهد آثاره إلى اليوم، إنها ليلة ٢٣ يوليو حينما خرج الجيش من ثكناته معلنا غضبه عما يحدث في البلاد.. وتصدرت صورة اللواء محمد نجيب الصفحة الأولي لجريدة "المصري" وفوقها مانشيت: اللواء نجيب يقوم بحركة تطهيرية في الجيش.

كانت ثورة يوليو في بدايتها حركة، مجرد حركة عسكرية، لكنها لاقت قبول الشعب المصري واستقبلتها الجماهير بحفاوة بالغة وأطلقت عليها "ثورة".. فقد كان قائدها رجل شهد له الكل بالشجاعة. وكان محمد نجيب هو سر نجاح الثورة، فقد كان برتبة لواء، أما باقي الضباط الأحرار، فلم يتجاوز أكبرهم سناً رتبة بكباشي... وبفضل نجيب تحولت

الحركة إلي ثورة، وإذا كان قد قدر لثورة يوليو أن تفشل لكان جزاء محمد نجيب هو الإعدام رميا بالرصاص طبقا لتقاليد الجيش.

في ليلة ٢٣ يوليو لعب محمد نجيب أخطر دور في نجاح الحركة، فقد انكشف سر الثورة الساعة ٩:٣٠ مساء، وعرف نجيب أن مؤتمراً لرئيس الأركان الفريق حسين فريد سيعقد في الساعة العاشرة في مقر القيادة لترتيب القبض علي الضباط الأحرار، فقام علي الفور بإبلاغ يوسف صديق بالتحرك قبل ساعة الصفر بساعة، وبالفعل تحرك يوسف صديق ونجح في اقتحام مركز القيادة.. ولولا هذا التحرك لفشلت الثورة ولقضي عليها قبل أن تبدأ.

بالرغم من خطورة الدور الذي قام به اللواء محمد نجيب في نجاح الثورة إلا أن البعض حاول أن يقلل من دوره..وحاولوا أن يصوروا أنه لم يكن له علم بالثورة وإنما هو "ركب الموجة"، والبعض حاول ادعاء أن الضباط الأحرار استخدموا نجيب مجرد واجهة لإنجاح الثورة.. بل وصل الأمر ببعضهم أن يدعي أن محمد نجيب يوم الثورة كان مريضا في منزله وليس في ذهنه شيء عن أيه ثورة.. وربما كان أمله الوحيد في شهر يوليو أن يغادر فراشه إلي عمله في سلاح الفرسان، حتي استيقظ علي تليفون من الضباط الأحرار يقولون له : تفضل لقد قمنا بثورة واخترناك زعيما لها... وقد نتعجب حينما نعلم أن قائل هذا الكلام هو أنور السادات في كتابه "قصة الثورة كاملة" والذي كتبه في عهد عبد الناصر.

وبينما كان البعض يقول أن محمد نجيب هو المحرك الرسمي للثورة لعلو رتبته ومكانته لدى الجيش، إلا أن هذا لا ينفي دوره الكبير في التخطيط والإعداد للثورة، وهو من حدد أهدافها الأساسية التي تدرس في المدارس حتى الآن، بالرغم من استغلال رجال الثورة لتلك المبادئ لتحقيق مصالح شخصية في الخفاء، ونسب مفاضلها في العلن لأنفسهم .

وفي الواقع أن نجيب أراد بالثورة أن يطهر الجيش ونظام الحكم من المسؤولين الفاسدين، ثم إقامة حكومة مدنية برلمانية جديدة وإعادة الجيش لثكناته، ولكنه اضطر لتأجيل تلك الخطوة مرارا تحت ضغوط زملائه في مجلس قيادة الثورة والذين أرادوا الاستمرار. استمر محمد نجيب يرفض هذا الوضع بطريقة واضحة، فقام زملائه بعزله شيئا

فشيئا من دائرة اتخاذ القرار. حاولوا إقالته مرة فباءت المحاولة بالفشل لغضب الشعب، ثم استقال هو بنفسه لغضبه تجاه تصرفات رجال الثورة، فقاموا باعتقاله وتحديد إقامته في فيلا بحي المرج.

في الصحافة

في عدد سبتمبر ١٩٥٢، وضعت مجلة تايم الأمريكية صورة محمد نجيب على غلافها بتعليق "رجل مصر نجيب" و"لقد حصلنا على كفايتنا من الفساد". أمَا جريدة الأهرام و في عددها الصادر يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٢ و بعد رحيل الملك فاروق بيوم واحد، نشرت أول صورة تظهر للمصريين قائد الحركة محمد نجيب، و لم تكن فوتوغرافية، و إنما كانت بورتريه من رسم الشيخ عبد المجيد وافي رسام الأهرام.

خلافه مع ضباط مجلس قيادة الثورة

بعد مرور عام على قيام الثورة تركزت كل الأضواء علي اللواء محمد نجيب باعتباره الرجل الذي قاد الثورة وطرد الملك وأنقذ مصر من عهد الظلم والطغيان وأصبح هو أمل البلاد في تخليصها من الاستعمار البريطاني الجاثم علي صدرها منذ ١٨٨٢... كانت صوره وخطبه تتصدر الصفحات الأولي من الجرائد والمجلات المصرية والعربية والأجنبية.

وبعد فترة ليست بالقصيرة بدأ بعض الضباط يحاولون أن يجنوا ثمار نجاح الحركة ولو علي حساب المبادئ والأخلاق،، حتي شاع بين الناس أن الثورة طردت ملكاً وجاءت بثلاثة عشر ملكاً.. يقول نجيب في كتابه "كنت رئيسا لمصر" : لقد خرج الجيش من الثكنات... وانتشر في كل المصالح والوزارات المدنية فوقعت الكارثة التي لا نزال نعاني منها إلي الآن في مصر،، كان كل ضابط من ضباط القيادة يريد أن يكون قويا..فأصبح لكل منهم "شلة" وكانت هذه الشلة غالبا من المنافقين الذين لم يلعبوا دورا لا في التحضير للثورة ولا في القيام بها".

لاحظ محمد نجيب بعض السلوكيات الخاطئة التي يرتكبها بعض الضباط في حق الثورة وفي حق الشعب الذي وثق بهم. فكان أول شيء فعله ضباط القيادة أنهم غيروا

سياراتهم الجيب وركبوا سيارات الصالون الفاخرة، وترك أحدهم شقته المتواضعة واستولي علي قصر من قصور الأمراء حتي يكون قريبا من أحدي الأميرات التي كان قصرها قريبا من القصر الذي استولي عليه.. وصدمت هذه التصرفات باقي الضباط الأحرار الذين يتصفون بالمثالية فحمل بعضهم هذه الفضائح وواجهوا بها ضباط القيادة.. لكنهم سمعوهم وقرروا التخلص منهم مثلما حدث مع ضباط المدفعية.

كان أول خلاف بين نجيب وضباط القيادة حول محكمة الثورة التي تشكلت لمحاكمة زعماء العهد الملكي، ثم حدث خلاف ثان بعد صدور نشرة باعتقال بعض الزعماء السياسيين وكان من بينهم مصطفى النحاس، ورفض نجيب اعتقال النحاس باشا، لكنه فوجئ بعد توقيع الكشف بإضافة اسم النحاس. وأصدرت محكمة الثورة قرارات ضاعفت من كراهية الناس للثورة ومنها مصادرة ٣٢٢ فدانا من أملاك زينب الوكيل حرم النحاس باشا، كما حكمت علي أربعة من الصحفيين بالسجن المؤبد وبمصادرة صحفهم بتهمة إفساد الحياة السياسية.

تضاف إلي هذه القرارات قرارات أخرى صدرت رغم أنه رفض التوقيع عليها منها القرار الجمهوري بسحب الجنسية المصرية من ستة من المصريين من الاخوان المسلمين. زاد الصدام بينه وبين مجلس القيادة عندما اكتشف أنهم ينقلون الضباط دون مشورته، ورفض زكريا محي الدين أن يؤدي اليمين الدستورية أمامه بعد تعيينه وزيرا للداخلية وكذلك رفض جمال سالم.

وذكر في مذكراته أنه اكتشف أن رجال الثورة كانوا قد عقدوا العديد من الاجتماعات بدونه، كل هذه الأمور دفعته لكي يفكر جدياً في تقديم استقالته.

نص استقالته في فبراير ١٩٥٤

"بسم الله الرحمن الرحيم"

السادة أعضاء مجلس قيادة الثورة..

بعد تقديم وافر الاحترام، يحزنني أن أعلن لأسباب لا يمكنني أن أذكرها الآن أنني لا يمكن أن أتحمل من الآن مسئووليتي في الحكم بالصورة المناسبة التي ترتضيها المصالح القومية..

ولذلك فإني أطلب قبول استقالتي من المهام التي أشغلها، وأني إذ أشكركم علي تعاونكم معي أسأل الله القدير أن يوفقنا إلي خدمه بلدنا بروح التعاون والأخوة"

بهذه العبارات المختصرة قدم محمد نجيب استقالته في ٢٢ فبراير ١٩٥٤..وفي ٢٥ فبراير أصدر مجلس القيادة بيان أقاله محمد نجيب، وحاول البيان الانتقاص من دوره وتشويه صورته أمام الجماهير فقد أكد البيان أن محمد نجيب طلب سلطات أكبر من سلطات أعضاء المجلس وأن يكون له حق الاعتراض علي قرارات المجلس حتى ولو كانت هذه القرارات قد أخذت بالإجماع، وادعي البيان أنه اختير قائدا للثورة قبل قيامها بشهرين، وأنه علم بقيام الثورة ليلة ٢٣ يوليو من مكالمة تليفونية من وزير الداخلية فتحرك إلي مبني القيادة وهناك تقابل مع عبد الناصر الذي وافق علي ضمه وتنازل له عن رئاسة المجلس.

اتخذ ضباط مجلس القيادة هذا القرار وكلهم ثقة في أنهم قد نجحوا في مخططهم بإزاحة محمد نجيب، ذلك المخطط الذي بدأ بإعلان الجمهورية حتي يكون محمد نجيب رئيسا رمزيا لها في حين يستحوذ ضباط مجلس القيادة علي مجلس الوزراء، وكان من ضمن المخطط إبعاد محمد نجيب عن الجيش عن طريق ترقيه الصاغ عبد الحكيم عامر إلى رتبة لواء دفعة واحده وتعيينه قائدا عاما للجيش، وبالتالي يستحوذ ضباط مجلس القيادة على السلطة المدنية والعسكرية.

وتصور مذكراته كيف أنه حينما أذيع بيان إقالته علي الملأ خرجت الجماهير تحتج على البيان، وانهالت البرقيات علي المجلس ودور الصحف ترفض الاستقالة.. واندلعت

المظاهرات التلقائية في القاهرة والأقاليم لمدة ثلاثة أيام تؤيد نجيب، وكانت الجماهير تهتف (محمد نجيب أو الثورة). وفي السودان اندلعت مظاهرات جارفة تهتف (لا وحدة بلا نجيب). وانقسم الجيش بين مؤيد لعودة اللواء محمد نجيب وإقرار الحياة النيابية وبين المناصرين لمجلس قيادة الثورة.

وكان سلاح الفرسان أكثر أسلحة الجيش تعاطفا مع محمد نجيب، وأشرفت البلاد علي حرب أهلية، وتداركا للموقف أصدر مجلس القيادة بيانا الساعة السادسة من مساء ٢٧ فبراير ١٩٥٤ جاء فيه " حفاظا علي وحدة الأمة يعلن مجلس قيادة الثورة عودة اللواء أركان حرب محمد نجيب رئيسا للجمهورية وقد وافق سيادته علي ذلك"... وهكذا عاد محمد نجيب إلي الحكم علي أكتاف الجماهير التي خرجت في مظاهرات شعبية لم تعرفها مصر من قبل.

بعد عودته علي أكتاف الجماهير كان باستطاعته أن يتخلص من ضباط القيادة الذين وجهوا له إساءات كثيرة وحاولوا أثناء الأزمة تشويه صورته أمام الشعب إلا أن محمد نجيب عمل علي إزالة الخلاف بين أعضاء مجلس القيادة.

يقول اللواء جمال حماد المؤرخ العسكري أثناء ندوة كتاب "الأوراق السرية لمحمد نجيب: " أي واحد كان يجي في هذا الموقف ويحرز هذا الانتصار الباهر... معاه سلاح الفرسان والشعب كله معاه... ومع ذلك أنا رأيته بعيني ماسك أيديهم " أعضاء مجلس قيادة الثورة" ورفعها وقال "إحنا يد واحدة"، وأن ضباط مجلس القيادة أرادوا التخلص منه في مارس بعد هدوء الأزمة !!

أزمة مارس ١٩٥٤

حددت هذه الأزمة تاريخ مصر إلي الآن، فلم تكن أزمة مارس مجرد صراع علني علي السلطة بين اللواء محمد نجيب وأعضاء مجلس قيادة الثورة بل كانت الأزمة أكثر عمقا، كانت صراعا بين اتجاهين مختلفين اتجاه يطالب بالديمقراطية والحياة النيابية السليمة تطبيقا للمبدأ السادس للثورة (إقامة حياة ديمقراطية سليمة)، وكان الاتجاه الآخر يصر علي تكريس الحكم الفردي وإلغاء الأحزاب وفرض الرقابة علي الصحف.

كانت ضربة البداية في أزمة مارس من جانب محمد نجيب الذي بدأ فور عودته إلى الحكم مشاوراته مع مجلس القيادة للتعجيل بعودة الحياة البرلمانية، وفي ليلة ٥ مارس صدرت قرارات ركزت على ضرورة عقد جمعية لمناقشة الدستور الجديد وإقراره، وإلغاء الأحكام العرفية والرقابة على الصحف والإفراج عن جميع المعتقلين السياسيين.

" كانت هذه القرارات في صالح عودة الحياة الديمقراطية، وهنا أدرك الفريق المناوئ للواء نجيب أن كل الخطط التي أعدت للإطاحة به مهددة بالفشل، فبدأ يدبر مخططات أخرى من شأنها الالتفاف علي قرارات ٥ مارس والعودة إلي الحكم الفردي.

في ٢٥ مارس ١٩٥٤ اجتمع مجلس قيادة الثورة كاملا وانتهي الاجتماع إلى إصدار القرارات التالية : السماح بقيام الأحزاب، مجلس قيادة الثورة لا يؤلف حزبا، لا حرمان من الحقوق السياسية حتي لا يكون هناك تأثير علي الانتخابات، تنتخب الجمعية التأسيسية انتخابا حرا مباشرا بدون تعيين أي فرد وتكون لها سلطة البرلمان كاملة والانتخابات حرة، حل مجلس الثورة في ٢٤ يوليو المقبل باعتبار الثورة قد انتهت وتسلم البلاد لممثلي الأمة، تنتخب الجمعية التأسيسية رئيس الجمهورية بمجرد انعقادها.

يقول محمد نجيب في كتابه "كنت رئيسا لمصر" : "كانت هذه القرارات في ظاهرها ديمقراطية وفي باطنها فتنة وتوتر، فقد أثارت الناس الذين لم يرق لهم أن تعود الأحزاب القديمة بكل ما توحي من فساد وتاريخ أسود، وبكل ما توحي لهم بنهاية الثورة التي عقدوا عليها كل آمالهم في التطهر والخلاص، وأثارت هذه القرارات ضباط الجيش الذين أحسوا أن نصيبهم من النفوذ والسلطة والمميزات الخاصة قد انتهي" .

وقد ضاعف من قلة حيلة اللواء نجيب انشغاله مع الملك سعود بن عبد العزيز الذي كان يزور مصر وقتها، بينما كان معارضوه يدبرون لتوجيه الضربة القاضية إلي اللواء نجيب، فنشرت الصحف أن هناك اتصالات سرية بين اللواء نجيب والوفد، وفي نفس الوقت عقد عبد الناصر اتفاقا مع الإخوان المسلمين لكي يتخلصوا من الأحزاب السياسية ويخلو الجو للطرفين.. ووافق الأخوان وكان هذا خطأ استراتيجيا.

في يوم ٢٨ مارس ١٩٥٤ خرجت أغرب مظاهرات في التاريخ تهتف بسقوط الديمقراطية والأحزاب والرجعية، ودارت المظاهرات حول البرلمان والقصر الجمهوري

ومجلس الدولة وكررت هتافاتها ومنها " لا أحزاب ولا برلمان". ووصلت الخطة السوداء ذروتها، عندما اشترت مجموعة عبد الناصر صاوي أحمد صاوي رئيس اتحاد عمال النقل ودفعوهم إلي عمل إضراب يشل الحياة وحركة المواصلات، وشاركهم فيها عدد كبير من النقابات العمالية. وخرج المتظاهرون يهتفون" تسقط الديمقراطية..تسقط الحرية"، وقد اعترف الصاوي بأنه حصل علي مبلغ ٤ آلف جنية مقابل تدبير هذه المظاهرات.

ربح أعضاء مجلس قيادة الثورة المعركة ضد محمد نجيب وصدرت قرارات جديدة تلغي قرارات ٢٥ مارس، وفي ٢٦ أكتوبر وقعت حادثة المنشية التي اتهم فيها الأخوان بمحاولة التخلص من عبد الناصر ليتم بعدها القبض علي قيادات الجماعة والزج بهم في السجن.

إعفاؤه من رئاسة الجمهورية وتحديد إقامته

انهزم محمد نجيب في معركة مارس ١٩٥٤ والواقع أنها لم تكن خسارته فقط وإنما كانت خسارة لمسيرة الديمقراطية في وادي النيل. أصر نجيب علي الاستقالة لكن عبد الناصر عارض بشدة استقالة نجيب خشية أن تندلع مظاهرات مثلما حدث في فبراير ١٩٥٤، ووافق محمد نجيب علي الاستمرار انقاذا للبلاد من حرب أهلية ومحاولة إتمام الوحدة مع السودان.

يوم ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ توجه محمد نجيب من بيته في شارع سعيد بحلمية الزيتون إلى مكتبه بقصر عابدين فلاحظ عدم أداء ضباط البوليس الحربي التحية العسكرية، وعندما نزل من سيارته داخل القصر فوجئ بالصاغ حسين عرفة من البوليس الحربي ومعه ضابطان و ١٠ جنود يحملون الرشاشات يحيطون به، فصرخ في وجه حسين عرفة طالباً منه الابتعاد حتي لا يتعرض جنوده للقتال مع جنود الحرس الجمهوري، فاستجاب له ضباط وجنود البوليس الحربي.

لاحظ نجيب وجود ضابطين من البوليس الحربي يتبعانه أثناء صعوده إلي مكتبه فنهرهما، فقالا له إن لديهما أوامر بالدخول من الأميرالاي حسن كمال، كبير الياوران،

فاتصل هاتفياً بجمال عبدالناصر ليشرح له ما حدث، فأجابه عبدالناصر بأنه سيرسل عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة ليعالج الموقف بطريقته.

وجاءه عبد الحكيم عامر وقال له في خجل " أن مجلس قيادة الثورة قرر إعفاءكم من منصب رئاسة الجمهورية، فرد عليهم "أنا لا أستقيل الآن لأني بذلك سأصبح مسؤولاً عن ضياع السودان أما أذا كان الأمر إقالة فمرحبا".. وأقسم اللواء عبد الحكيم عامر أن إقامته في فيلا زينب الوكيل لن تزيد عن بضعة أيام ليعود بعدها إلي بيته، لكنه لم يخرج من الفيلا طوال ٣٠ عاما.

خرج محمد نجيب من مكتبه في هدوء وصمت حاملا المصحف مع حسن إبراهيم في سيارة إلي معتقل المرج. وحزن علي الطريقة التي خرج بها فلم تؤدي له التحية العسكرية ولم يطلق البروجي لتحيته، وقارن بين وداعه للملك فاروق الذي أطلق له ٢١ طلقة وبين طريقة وداعه هو .

عندما وصل إلي فيلا زينب الوكيل بضاحية المرج بدأ يذوق من ألوان العذاب مما لا يستطيع أن يوصف، فقد سارع الضباط والعساكر بقطف ثمار البرتقال واليوسفي من الحديقه.. وحملوا من داخل الفيلا كل ما بها من أثاث وسجاجيد ولوحات وتحف وتركوها عارية الأرض والجدران، وكما صادروا أثاث فيلا زينب الوكيل صادروا أوراق اللواء نجيب وتحفه ونياشينه ونقوده التي كانت في بيته.. وتم منعه تماماً من الخروج أو من مقابلة أياً من كان حتى عائلته.

وأقيمت حول الفيلا حراسة مشددة، كان علي من في البيت ألا يخرج منه من الغروب إلي الشروق، وكان عليهم أن يغلقوا النوافذ في عز الصيف تجنبا للصداع الذي يسببه الجنود. اعتاد الجنود أن يطلقوا الرصاص في منتصف الليل وفي الفجر. كانوا يؤخرون عربة نقل الأولاد إلي المدرسة فيصلون إليها متأخرين، ولا تصل العربة إليهم في المدرسة لتوصيلهم للبيت إلا بعد مدة طويلة من انصراف الجميع من المدرسة فيعودون إلي المنزل مرهقين غير قادرين علي المذاكرة.

كانت غرفته في فيلا المرج مهملة بها سرير متواضع يكاد يختفي من كثرة الكتب الموضوعة عليه، وكان يقضي معظم أوقاته في هذه الحجرة يداوم علي قراءة الكتب

المختلفة في شتي أنواع العلوم، خاصة الطب والفلك والتاريخ. يقول محمد نجيب: «هذا ما تبقي لي، فخلال الثلاثين سنة الماضية لم يكن أمامي إلا أن أصلي أو أقرأ القرآن أو أتصفح الكتب المختلفة».

أثناء العدوان الثلاثي علي مصر عام ١٩٥٦ تم نقله من معتقل المرج إلي مدينة طما في سوهاج بصعيد مصر، وقيل إنه كان من المقرر قتله في حاله دخول الإنجليز القاهرة وذلك بعد أن سرت إشاعه قوية تقول إن إنجلترا ستسقط بعض جنود المظلات علي فيلا زينب الوكيل في المرج لاختطاف محمد نجيب وإعادة فرضه رئيسا للجمهورية من جديد بدلا من الرئيس جمال عبدالناصر. ولكن بعد فشل العدوان تم إعادته إلى معتقل المرج. وجري التنكيل به حتي إن أحد الحراس ضربه علي صدره في نفس مكان الإصابة التي تعرض لها في حرب ١٩٤٨. كتب الرئيس نجيب عن ذلك في مذكراته: «يومها هانت علي الدنيا.. فقررت أن أضرب عن الطعام».

وأثناء نكسة ١٩٦٧ ارسل برقية لجمال عبدالناصر يطلب منه السماح له بالخروج في صفوف الجيش باسم مستعار الا انه لم يتلق أى رد منه. وظل علي هذه الحال حتى تم إطلاق سراحه بواسطة الرئيس السادات في عام ١٩٧٤ عقب الانتصار الذي تحقق في حرب أكتوبر ١٩٧٣. ورغم هذا ظل السادات يتجاهله تماما كما تجاهله باقي أعضاء مجلس قيادة الثورة.

يقول محمد نجيب في مذكراته: "قال لي السادات: أنت حر طليق !! لم أصدق نفسي هل أستطيع أن أخرج وأدخل بلا حراسة ؟ هل استطيع أن أتكلم في التليفون بلا تصنت ؟ هل أستطيع أن أستقبل الناس بلا رقيب ؟ !!" .

لم أصدق ذلك بسهولة.. فالسجين في حاجة لبعض الوقت ليتعود على سجنه، وفي حاجة لبعض الوقت ليعود إلى حريته. وأنا لم أكن سجينا عاديا كنت سجينا يحصون أنفاسه. ويتنصتون على كلماته ويزرعون الميكرفونات والعدسات في حجرة معيشته. وكنت أخشى أن أقترب من أحد حتى لا يختفي. وأتحاشى زيارة الأهل والأصدقاء حتى لا يتعكر صفو حياتهم. وأبتعد عن الأماكن العامة حتى لا يلتف الناس حولي، فيذهبون وراء الشمس، ولكن بعد فترة وبالتدريج عدت إلى حريتي وعدت إلى الناس وعدت إلى الحياة العامة.

وياليتني ما عدت.. فالناس جميعا كان في حلقها مرارة من الهزيمة والاحتلال. وحديثهم كل شكوى وألم ويأس من طرد المحتل الإسرائيلي. وبجانب هذه الاحاسيس كانت هناك أنات ضحايا الثورة. الذين خرجوا من السجون والمعتقلات ضحايا القهر والتلفيق والتعذيب.

وحتى الذين لم يدخلوا السجون ولم يجربوا المعتقلات، ولم يذوقوا التعذيب والهوان كانوا يشعرون بالخوف، ويتحسبون الخطى والكلمات. وعرفت ساعتها كم كانت جريمة الثورة في حق الإنسان المصري بشعة. وعرفت ساعتها أي مستنقع ألقينا فيه الشعب المصري. فقد حريته.. فقد كرامته.. فقد أرضه.. وتضاعفت متاعبه.. المجاري طفحت.. المياه شحت.. الأزمات اشتعلت.. الاخلاق انعدمت.. والإنسان ضاع.

محمد نجيب كانت سلواه طوال سنوات الإقامة الجبرية في المرج هي تربية القطط والكلاب.. واعتبر القطط والكلاب أكثر وفاء من البشر. احتفظ نجيب بصورة نادرة لكلبة ترقد علي جنبها وترضع منها قطة فقدت أمها، وهذه الصورة كما قال نجيب دليل علي أن الحيوانات أكثر ليونة ورقة في التخلص من شراستها من البشر. وحينما توفي أحد كلابه دفنه في الحديقة وكتب علي شاهد القبر : هنا يرقد أعز أصدقائي.

يقول محمد نجيب :(لقد كان هؤلاء الأصدقاء الأوفياء سلوى وحدتي في سنوات الوحدة تلك السنوات المرة التي وصلت فيها درجة الافتراء إلى حد إشاعة خبر وفاتي، وقد سمعت هذا الخبر بأذني من إذاعات العالم.. وقرأته بعيني في كتاب ضباط الجيش في السياسة والمجتمع والذي وضعه كاتب إسرائيلي يدعى اليزير بيير (أن محمد نجيب توفي عام ١٩٦٦ !!!). فقد اكتوي من الثورة بينما لم يرتكب الرجل جريمة يستحق عليها أن يعامل بمثل هذه المعاملة، وكثيرا ما كان يردد : ماذا جنيت لكي يفعلوا بي كل هذا؟.

بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٨٣ أمر الرئيس حسني مبارك تخصيص فيلا في حي القبة بمنطقة قصر القبة بالقاهرة لإقامة محمد نجيب، بعدما صار مهدداً بالطرد من قصر زينب الوكيل نتيجة لحكم المحكمة لمصلحة ورثتها الذين كانوا يطالبون بالقصر، وهو القصر الذي عاش فيه لمدة ٢٩ سنة منها ١٧ سنة وهو معتقل.

وقال وقتها : "إلى أين أذهب بعد ٣٠ سنة لم أخرج فيها إلى الحياة ؟ .. ليس لدي معارف أو أحد يهتم بي. أنا أعيش هنا وحدي بعد أن مات اثنان من أولادي ولم يبق غير واحد منهم، فإلى أين اذهب"؟؟

زوجاته وأبناؤه

تزوج من زينب أحمد وأنجب منها بنته سميحة التي توفيت وهي بالسنة النهائية بكلية الحقوق عام ١٩٥٠، وبعد أن طلق زينب تزوج من عائشة محمد لبيب عام ١٩٣٤ وأنجب منها ثلاث أبناء فاروق وعلي ويوسف.

كان علي الابن الثاني لمحمد نجيب يدرس في ألمانيا وكان له نشاط واسع ضد اليهود هناك. كان يقيم المهرجانات التي يدافع فيها عن مصر والثورة وعن حق الفلسطينيين ولم يعجب هذا الكلام، المخابرات المصرية الذين رؤوا في نشاطه إحياء للكلام عن أبيه، وفي ليلة كان يوصل زميلا له فإذا بعربة جيب بها ثلاثة رجال وامرأة تهجم عليه وتحاول قتله، وعندما هرب جرت وراءه السيارة وحشرته بينها وبين الحائط. نزل الرجال الثلاثة وأخذوا يضربونه حتي خارت قواه ونزف حتي الموت، ونقل جثمانه إلي مصر فطلب اللواء نجيب أن يخرج من معتقله ليستقبل نعش ابنه ويشارك في دفنه لكنهم رفضوا، وكان هذا في عام ١٩٦٨.

ولم يسلم فاروق الابن الأول من نفس المصير، فقد استفزه أحد المخبرين الذين كانوا يتابعونه وقال له :

ماذا فعل أبوك للثورة ؟ .. لا شيء.. أنه لم يكن أكثر من خيال مآتة ديكور واجهة لا أكثر ولا اقل.

فلم يتحمل فاروق هذا الكلام وضرب المخبر، ويومها لم ينم فاروق في البيت فقد دخل ليمان طره وبقي هناك خمسة أشهر ونصف، خرج بعدها محطما منهارا ومريضا بالقلب وبعد فترة قليلة مات.

أما الابن الثالث يوسف فقد كان أكثر حظا، فقد صدر قرار جمهوري بفصله من إحدي شركات الدولة فعمل سائقا في شركة المقاولون العرب بالإسكندرية في الصباح وعلي تاكسي أجرة اشتراه بالتقسيط في المساء.

رحل محمد نجيب في هدوء عن عمر يناهز ٨٣عاما بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٩٨٤ في مستشفى المعادي العسكري بالقاهرة، لم يكن يعاني من أمراض خطيرة، لكنها كانت أمراض الشيخوخة. بعد أن كتب مذكراته شملها كتابه كنت رئيساً لمصر، ويشهد له أن كتابه خلا من أي اتهام لأي ممن عزلوه.

رحل بعد أن عاصر أهم الأحداث التي مرت على تاريخ مصر الحديث من جلاء القوات البريطانية عن مصر عام ١٩٥٤ وتأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ إلى الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨، ومشاركة القوات المصرية في حرب اليمن عام ١٩٦٢، ومروراً بالنكسة ووفاة عبد الحكيم عامر عام ١٩٦٧، ووفاة الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠، وحرب أكتوبر عام ١٩٧٣، ومعاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٨، وإغتيال الرئيس السادات عام ١٩٨١.

على الرغم من رغبة محمد نجيب في وصيته أن يدفن في السودان بجانب أبيه، إلا أنه دفن في مصر في جنازة عسكرية مهيبة، وحمل جثمانه على عربة مدفع، وقد تقدم الجنازة الرئيس حسني مبارك شخصيا وأعضاء مجلس قيادة الثورة الباقين على قيد الحياة لتطوى صفحة رجل قاد أهم نقطة تحول في تاريخ مصر الحديث.

في عهد الرئيس حسني مبارك بدأ اسمه يظهر في الكتب المدرسية على أنه أول رئيس للجمهورية، كما أطلق اسمه على إحد الميادين في مدينة كفر الزيات، ومدرستين بالإسكندرية بسيدى بشر والأخرى بالهانوفيل، وأطلق اسمه على إحدى محطات القطارات في القاهرة (مترو محمد نجيب).

في ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٧ تم افتتاح متحف خاص لمحمد نجيب في القرية الفرعونية تضم مقتنياته وعدد كبير من الصور. "رئيس من مصر" عنوان الفيلم المزمع تصويره عن قصة حياة الرئيس محمد نجيب.

و من مؤلفاته

* رسالة عن السودان ١٩٤٣.

* مصير مصر (بالإنجليزية) ١٩٥٥.
* كلمتي للتاريخ ١٩٧٥.
* كنت رئيساً لمصر (مذكرات محمد نجيب ١٩٨٤)

الفصل الثاني

الرئيس جمال عبد الناصر

جمال عبد الناصر (١٥ يناير ١٩١٨ – ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠) هو ثاني رؤساء مصر. تولى السلطة من سنة ١٩٥٤، بعد أن عزل الرئيس محمد نجيب، إلى أن توفى سنة ١٩٧٠. هو أحد قادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. من أهم نتائج الثورة خلع الملك فاروق عن الحكم، وبدء عهد جديد من التمدن في مصر والاهتمام بالقومية العربية فترة قصيرة من الوحدة بين مصر وسوريا ما بين سنتي ١٩٥٨ و ١٩٦١، والتي عرفت باسم الجمهورية العربية المتحدة. عبد الناصر شجع عدداً من الثورات في أقطار الوطن العربي وعدد من الدول الأخرى في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية. ولقد كان لعبد الناصر دور قيادي وأساسي في تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في سنة ١٩٦٤ وحركة عدم الانحياز الدولية.

يعتبر عبد الناصر من أهم الشخصيات السياسية في الوطن العربي وفي العالم النامي للقرن العشرين التي أثرت تأثيرا كبيرا في المسار السياسي العالمي. عرف عن عبد الناصر قوميته وانتماؤه للوطن العربي، وأصبحت أفكاره مذهبا سياسيا سمي تيمنا باسمه وهو "الفكر الناصري" الذي اكتسب الكثير من المؤيدين في الوطن العربي خلال فترة الخمسينيات والستينيات. وبالرغم من أن صورة جمال عبد الناصر كقائد اهتزت إبان نكسة ٦٧ إلا أنه ما زال يحظى بشعبية وتأييد بين كثير من مؤيديه، حيث يعتبرونه "رمزا للكرامة والحرية العربية ضد استبداد الاستعمار وطغيان الاحتلال". توفي سنة ١٩٧٠، وكانت جنازته ضخمة جدا خرجت فيها أغلب الجنسيات العربية حزنا على رحيله.

ولد جمال عبد الناصر حسين سلطان على عبد النبي بالإسكندرية قبيل أحداث ثورة ١٩١٩ التي هزّت مصر، وحركت وجدان المصريين، ألهبت مشاعر الثورة والوطنية في

قلوبهم، وبعثت روح المقاومة ضد المستعمرين. وهو من أصول صعيديه فقد كان متشبعاً بحمية الرجل الغيور الذي تسيطر عليه عادات وتقاليد المجتمع المصري الطيب العريق. وكان أبوه عبد الناصر حسين خليل سلطان قد انتقل من قريته بني مر بمحافظة أسيوط؛ ليعمل وكيلا لمكتب بريد باكوس بالإسكندرية، وقد تزوج من السيدة "فهيمة" ابنة "محمد حماد" تاجر الفحم المعروف في المدينة.

وفي منزل والده– رقم ١٢ "شارع الدكتور قنواتي"– بحي فلمنج ولد جمال في (١٥ يناير ١٩١٨). وقد تحول هذا المنزل الآن إلي متحف يضم ممتلكات جمال عبد الناصر في بداية حياته. وكان والده دائم الترحال والانتقال من بلدة إلى أخرى؛ نظراً لطبيعة وظيفته التي كانت تجعله لا يستقر كثيرا في مكان.

و لم يكد يبلغ الثامنة من عمره حتى تُوفيت أمه في (١٨ رمضان ١٣٤٤ هـ / ٢ أبريل ١٩٢٦) وهي تضع مولودها الرابع "شوقي" بعد أخوته الليثي وعز العرب، وكان عمه "خليل"، الذي يعمل موظفا بالأوقاف في القاهرة متزوجاً منذ فترة، ولكنه لم يرزق بأبناء، فوجد في أبناء أخيه أبوته المفتقدة وحنينه الدائم إلى الأبناء؛ فأخذهم معه إلى القاهرة؛ ليقيموا معه حيث يوفر لهم الرعاية والاستقرار بعد وفاة أمهم.

وبعد أكثر من سبع سنوات على وفاة السيدة "فهيمة" تزوج الوالد عبد الناصر من السيدة "عنايات مصطفى" في مدينة السويس وذلك سنة ١٩٣٣، ثم ما لبث أن تم نقله إلى القاهرة ليصبح مأمورا للبريد في حي الخرنفش بين الأزبكية والعباسية؛ حيث استأجر بيتا يملكه أحد اليهود المصريين، فانتقل جمال مع إخوته للعيش مع أبيهم بعد أن تم نقل عمه "خليل" إلى إحدى القرى بالمحلة الكبرى، وكان في ذلك الوقت طالبًا في الصف الأول الثانوي. وكان ذلك في سن ١٢.

وفي ٢٩ يونيو ١٩٤٤ تزوج جمال عبد الناصر من تحية محمد كاظم – ابنة تاجر من رعايا إيران –كان قد تعرف على عائلتها عن طريق عمه خليل حسين، وقد أنجب ابنتيه هدى ومنى وثلاثة أبناء هم خالد (على اسم خاله المتوفي) وعبد الحكيم (على اسم عبد الحكيم عامر صديق عمره) وعبد الحميد. لعبت تحية دوراً هاماً في حياته خاصة في مرحلة الإعداد للثورة واستكمال خلايا تنظيم الضباط الأحرار، فقد تحملت أعباء أسرته الصغيرة –

هدى ومنى – عندما كان هو في حرب فلسطين ١٩٤٨، كما ساعدته في إخفاء السلاح حين كان يدرب الفدائيين المصريين للعمل ضد القاعدة البريطانية في قناة السويس في ١٩٥١، ١٩٥٢.

بعد حصوله على شهادة الثانوية من مدرسة النهضة المصرية بالقاهرة(في عام ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧)، كان يتوق إلى دراسة الحقوق، ولكنه ما لبث أن قرر دخول الكلية الحربية، بعد أن قضى بضعة أشهر في دراسة الحقوق. دخل جمال الكلية الحربية، ولم يكن طلاب الكلية يتجاوزن ٩٠ طالبا. وبعد تخرجه في الكلية الحربية (عام ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨) التحق بالكتيبة الثالثة بنادق، وتم نقله إلى "منقباد" بأسيوط؛ حيث التقى بأنور السادات وزكريا محيي الدين.

وفي سنة (١٣٥٨هـ / ١٩٣٩) تم نقله إلى الإسكندرية، وهناك تعرف على عبد الحكيم عامر، الذي كان قد تخرج في الدفعة التالية له من الكلية الحربية، وفي عام ١٩٤٢ تم نقله إلى معسكر العلمين، وما لبث أن نُقل إلى السودان ومعه عامر.

وعندما عاد من السودان تم تعيينه مدرسا بالكلية الحربية، والتحق بكلية أركان الحرب؛ فالتقى خلال دراسته بزملائه الذين أسس معهم "تنظيم الضباط الأحرار".

كانت الفترة بين ١٩٤٥و١٩٤٧ هي البداية الحقيقية لتكوين نواة تنظيم الضباط الأحرار؛ فقد كان معظم الضباط، الذين أصبحوا فيما بعد "اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار"، يعملون في العديد من الوحدات القريبة من القاهرة، وكانت تربطهم علاقات قوية بزملائهم؛ فكسبوا من بينهم مؤيدين لهم.

وكانت حرب ١٩٤٨ هي الشرارة التي فجّرت عزم هؤلاء الضباط على الثورة. وفي تلك الأثناء كان كثير من هؤلاء الضباط منخرطين بالفعل في حرب فلسطين.

حركة الضباط الأحرار

في صيف ١٩٤٩ نضجت فكرة إنشاء تنظيم ثوري سري في الجيش، وتشكلت لجنة تأسيسية ضمت في بدايتها خمسة أعضاء فقط، هم: جمال عبد الناصر، وكمال الدين حسين، وحسن إبراهيم، وخالد محيي الدين، وعبد المنعم عبد الرءوف، ثم زيدت بعد ذلك

إلى عشرة، بعد أن انضم إليها كل من: أنور السادات، وعبد الحكيم عامر، وعبد اللطيف البغدادي، وزكريا محيي الدين، وجمال سالم. وظل خارج اللجنة كل من: ثروت عكاشة، وعلي صبري، ويوسف منصور صديق.

وفي ذلك الوقت تم تعيين جمال عبد الناصر مدرسا في كلية أركان الحرب، ومنحه رتبة بكباشي (مقدم)، بعد حصوله على دبلوم أركان الحرب العام ١٩٥١ في أعقاب عودته من حرب فلسطين، وكان قد حوصر هو ومجموعة من رفاقه في "الفالوجة" أكثر من أربعة أشهر، وبلغ عدد الغارات الجوية عليهم أثناء الحصار ٢٢٠ غارة. عاد بعد أن رأى بعينه الموت يحصد أرواح جنوده وزملائه، الذين رفضوا الاستسلام لليهود، وقاوموا برغم الحصار العنيف والإمكانات المحدودة، وقاتلوا بفدائية نادرة وبطولة فريدة؛ حتى تم رفع الحصار في جمادى الآخرة ١٣٦٨ هـ / مارس ١٩٤٩.

التحق بدورات دراسية خارج مصر منها دورة السلاح أو الصنف في بريطانيا، مما أتاح له التعرف على الحياة الغربية والتأثر بمنجزاتها. كان دائم التأثر بالأحداث الدولية وبالواقع العربي وأحداثه السياسية وتداعيات الحرب العالمية الثانية وانقلاب بكر صدقي باشا كأول انقلاب عسكري في الوطن العربي في العراق سنة ١٩٣٦، وثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضد الإنجليز والحكومة الموالية لهم سنة ١٩٤١، وتأميم مصدق لنفط إيران سنة ١٩٥١، والثورات العربية ضد المحتل مثل الثورة التونسية والثورة الليبية. كما أعجب بحركة الإخوان المسلمين ثم ما لبث أن توصل إلى رأي بأن لا جدوى من أحزاب دينية في وطن عربي يوجد فيه أعراق وطوائف وأديان مختلفة .

ثورة ٢٣ يوليو وقيام الجمهورية

سلسلة من الإخفاقات واجهها الملك فاروق داخلياً وخارجياً وخصوصا تخبطه في علاقاته أثناء الحرب العالمية الثانية بين دول المحور والحلفاء. لذلك تزعزع موقف مصر كثيراً وإنشئت ثاني أكبر قاعدة بريطانية في المنطقة في السويس (بعد الحبانية في الفلوجة في العراق). بالإضافة إلى ذلك كانت خسارة الجيش المصري في حرب ١٩٤٨، وأدى كل هذا إلى ضغوطات عربية وداخلية تحث قادة الجيش على لعب دورا في إصلاح الأوضاع

المصرية، منها ما كانت تبثه محطة إذاعة برلين العربية إبان الحرب العالمية الثانية والتي كانت تحت تصرف كل من الشخصية الوطنية العراقية رشيد عالي الكيلاني ومفتي القدس أمين الحسيني. بعد أن نجح الكيلاني في العراق سنة ١٩٤١ في إحداث أول ثورة تحررية في الوطن العربي ضد الإنجليز ذات أبعاد قومية تنادي بوحدة الأقطار العربية راح يطلق النداءات للقادة والجيوش العربية بضرورة الانتفاض ضد الهيمنة البريطانية والفرنسية. وكان يحث الجيش المصري على الثورة ضد المستعمر الذي يدعم النظام الملكي، وكان هو والحسيني ينبهان من خطر المخططات الأجنبية لمنح فلسطين لليهود، ويحثان الجيش المصري على مقاومة الإنجليز من خلال دعم وتأييد الألمان ودول المحور. وبعد مهادنة الملك فاروق للإنجليز أصدر الكيلاني بياناً يحث الجيش المصري على الانتفاضه على الملك ولقيت دعوة الكيلاني التفهم والترحيب لدى القادة العسكريين المصريين. وكانت لطروحاته وشعاراته الثورية والتحررية من خلال إذاعة برلين العربية الأثر في نفوس ثوار مصر بالإطاحة بالملك فاروق في حركة يوليو/ تموز ١٩٥٢، لاسيما بعد أن تعمق هذا الاحساس بعد حرب ١٩٤٨.

و في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قامت الثورة، ولم تلقَ مقاومة تذكر، ولم يسقط في تلك الليلة سوى ضحيتين فقط، هما الجنديان اللذان قتلا عند اقتحام مبنى القيادة العامة. وكان الضباط الأحرار قد اختاروا محمد نجيب رئيسا لحركتهم، وذلك لما يتمتع به من احترام وتقدير ضباط الجيش؛ وأيضاً لسمعته الطيبة وحسه الوطني، فضلا عن كونه يمثل رتبة عالية في الجيش، وهو ما يدعم الثورة ويكسبها تأييدا كبيرا سواء من جانب الضباط، أو من جانب جماهير الشعب.

وكان عبد الناصر هو الرئيس الفعلي للجنة التأسيسية للضباط الأحرار؛ ومن ثم فقد نشأ صراع شديد على السلطة بينه وبين محمد نجيب، ما لبث أن أنهاه عبد الناصر لصالحه في (١٧ ربيع الأول ١٣٧٤ هـ / ١٤ نوفمبر ١٩٥٤)، بعد أن اعتقل محمد نجيب، وحدد إقامته في منزله، وانفرد وحده بالسلطة.

واستطاع عبد الناصر أن يعقد اتفاقية مع بريطانيا لجلاء قواتها عن مصر وذلك في ١٩ أكتوبر ١٩٥٤، بعد أن اتفقت مصر وبريطانيا على أن يتم منح السودان الاستقلال.

في العام ١٩٥٨ أقام عبد الناصر وحدة اندماجية مع سوريا، وسميت الدولة الوليدة بالجمهورية العربية المتحدة، إلا أن هذه الوحدة لم تدم طويلاً، حيث حدث انقلاب في الإقليم السوري في سبتمبر من سنة ١٩٦١ أدى إلى إعلان الانفصال، ثم تم عقد معاهدة وحدة متأنية مع العراق وسوريا سنة ١٩٦٤ إلا أن وفاة الرئيس العراقي المشير عبد السلام عارف سنة ١٩٦٦ ثم حرب ١٩٦٧ حالت دون تحقيق الوحدة. علما أن مصر استمرت في تبني اسم "الجمهورية العربية المتحدة" وذلك لغاية سنة ١٩٧١ أي إلى ما بعد رحيل عبد الناصر بسنة.

بعد حرب ١٩٦٧، خرج عبد الناصر على الجماهير طالباً التنحي من منصبه، إلا أنه خرجت مظاهرات في العديد من مدن مصر وخصوصا في القاهرة طالبته بعدم التنحي عن رئاسة الجمهورية.

في عام ١٩٦٨ خرجت مظاهرات في الجامعات المصرية تطالب بمحاسبة المسؤولين عن النكسة، فأصدر عبد الناصر بيان ٣٠ مارس، الذي يعتبره المستشار طارق البشري بدايةً لمرحلةٍ جديدة في مسار الثورة بدأت تمهّد لإنشاء مؤسسات تساعد على تغيير بنية الجمهورية لتخرج مصر رويداً رويداً من قبضة الدولة الشمولية. إلا ان تلك الخطوات لم تستمر نظراً لوفاته عام ١٩٧٠ وتغيّر رؤى من قدموا من بعده.

من إنجازاته

* وافق على مطلب السوريين بالوحدة مع مصر في دولة واحدة سميت الجمهورية العربية المتحدة، ولم تستمر أكثر من ثلاث سنين (١٩٥٨-١٩٦١) وسط مؤامرات دولية وعربية لإجهاضها.

* استجاب لدعوة العراق لتحقيق أضخم إنجاز وحدوي مع العراق وسوريا بعد تولي الرئيس العراقي المشير عبد السلام عارف رئاسة الجمهورية العراقية بما سمى اتفاق ١٦ أبريل ١٩٦٤.

* قام بتأميم قناة السويس وإنشاء السد العالي على نهر النيل.

* تأسيس منظمة عدم الانحياز مع الرئيس اليوغوسلافي تيتو والإندونيسي سوكارنو والهندي نهرو.

* تأميم البنوك الخاصة والأجنبية العاملة في مصر.

* قوانين الإصلاح الزراعي وتحديد الملكية الزراعية والتي بموجبها صار فلاحو مصر يمتلكون للمرة الأولى الأرض التي يفلحونها ويعملون عليها وتم تحديد ملكيات الاقطاعيين بمئتي فدان فقط.

* إنشاء التليفزيون المصري (١٩٦٠) .

* قوانين يوليو الاشتراكية (١٩٦١) .

* إبرام اتفاقية الجلاء مع بريطانيا في العام ١٩٥٤، والتي بموجبها تم جلاء آخر جندي بريطاني عن قناة السويس ومصر كلها في الثامن عشر من يونيو ١٩٥٦.

* بناء إستاد القاهرة الرياضي بمدينة نصر.

* إنشاء كورنيش النيل.

* إنشاء معرض القاهرة الدولي للكتاب.

* التوسع في التعليم المجاني في كل المراحل التعليمية .

* التوسع المطرد في مجال الصناعات التحويلية.

* إنشاءالتنظيم الطليعي.

يقول د. علي الجريتلي المنتمي إلى المدرسة الليبرالية في الاقتصاد: "في عهد عبد الناصر، قامت الثورة باستصلاح ٩٢٠ ألف فدان، وتحويل نصف مليون فدان من ري الحياض إلى الري الدائم". ما يصل بنا إلى مساحة مليون وأربعمائة ألف فدان.

يضيف د.جريتلي : "فيما يتعلق بالقطاع الصناعي، حدث تغيير جذري في الدخل والإنتاج القومي، فقد زادت قيمة الإنتاج الصناعي بالأسعار الجارية من ٣١٤ مليون جنيه سنة ١٩٥٢ إلى ١١٤٠ مليون جنيه سنة ١٩٦٥، ووصلت إلى ١٦٣٥ مليون سنة ١٩٧٠، وزادت قيمة البترول من ٣٤ مليون جنيه سنة ١٩٥٢ إلى ١٣٣ مليون سنة ١٩٧٠، ناهيك عن وفرة الطاقة الكهربائية، خصوصا بعد بناء السد العالي". أما د. إسماعيل صبري عبد الله الذي تولى وزارة التخطيط الاقتصادي في عهد السادات فيقول

"إن الإنتاج الصناعي كان لا يزيد عن ٢٨٢ مليون جنيه سنة ١٩٥٢ وبلغ ٢٤٢٤ مليون جنيه سنة ١٩٧٠، مسجلا نموا بمعدل ١١.٤% سنويا، ووصلت مساهمته في الدخل القومي إلى ٢٢% سنة ١٩٧٠ مقابل ٩% سنة ١٩٥٢وفرت الدولة طاقة كهربائية ضخمة ورخيصة، وزاد الإنتاج من ٩٩١ مليون كيلو وات/ساعة إلى ٨١١٣ مليون كيلو وات/ساعة." ويقول د. صبري "إن الثورة جاوزت نسبة ٧٥% في الاستيعاب لمرحلة التعليم الإلزامي، وارتفع عدد تلاميذ المرحلة الابتدائية من ١.٦ مليون إلى ٣.٨ مليون، وعدد تلاميذ المدارس الاعدادية والثانوية من ٢٥٠ ألف إلى ١.٥٠٠.٠٠٠ وعدد طلاب الجامعات من ٤٠ ألف إلى ٢١٣ ألف".

مساندة للحركات الثورية في الوطن العربي

اعتبر الرئيس ناصر من أبرز الزعماء المنادين بالوحدة العربية وهذا هو الشعور السائد يومذاك بين معظم الشعوب العربية. لقد كان "مؤتمر باندونج" سنة ١٩٥٥ نقطة انطلاق عبدالناصر إلى العالم الخارجي.

دعم الرئيس عبد الناصر القضية الفلسطينية وساهم شخصيا في حرب سنة ١٩٤٨ وجرح فيها. وعند توليه الرئاسة اعتبر القضية الفلسطينية من أولوياته لأسباب عديدة منها أسباب مبدئية ومنها إستراتيجية تتعلق بكون قيام دولة معادية على حدود مصر سيسبب خرقا للأمن الوطني المصري. كما أن قيام دولة إسرائيل في موقعها في فلسطين يسبب قطع خطوط الاتصال التجاري والجماهيري مع المحيط العربي خصوصا الكتلتين المؤثرتين الشام والعراق لذلك كان يرى قيام وحدة إما مع العراق أو سوريا أو مع كليهما.وكان لعبد الناصر دور بارز في مساندة ثورة الجزائر وتبني قضية تحرير الشعب الجزائري في المحافل الدولية. وسعى كذلك إلى تحقيق الوحدة العربية؛ فكانت تجربة الوحدة بين مصر وسوريا في فبراير ١٩٥٨ تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة، وقد تولى هو رئاستها بعد أن تنازل الرئيس السوري شكري القوتلي له عن الحكم، إلا أنها لم تستمر أكثر من ثلاث سنوات.

كما ساند عبد الناصر الثورة العسكرية التي قام بها ثوار الجيش اليمني بزعامة المشير عبد الله السلال في العام ١٩٦٢، ضد حكم الإمام الملكي حيث أرسل عبد

الناصر نحو ٧٠ ألف جندي مصري إلى اليمن لإسقاط النظام الملكي الذي لقي دعما من المملكة العربية السعودية. كما أيد حركة يوليو/ تموز ١٩٥٨ الثورية في العراق التي قادها الجيش العراقي بمؤازرة القوى السياسية المؤتلفة في جبهة الاتحاد الوطني للإطاحة بالحكم الملكي في ١٤ يوليو/ تموز ١٩٥٨.

شهدت مصر في الفترة من مطلع الستينيات إلى ما قبل النكسة نهضة اقتصادية وصناعية كبيرة، بعد أن بدأت الدولة اتجاها جديدا نحو السيطرة على مصادر الإنتاج ووسائله، من خلال التوسع في تأميم البنوك والشركات والمصانع الكبرى، وإنشاء عدد من المشروعات الصناعية الضخمة. وقد اهتم عبد الناصر بإنشاء المدارس والمستشفيات، وتوفير فرص العمل لأبناء الشعب. وتوّج ذلك كله ببناء السد العالي الذي يُعد أهم وأعظم إنجازاته على الإطلاق؛ حيث حمى مصر من أخطار الفيضانات، كما أدى إلى زيادة الرقعة الزراعية بنحو مليون فدان، بالإضافة إلى ما تميز به باعتباره المصدر الأول لتوليد الكهرباء في مصر، وهو ما يوفر الطاقة اللازمة للمصانع والمشروعات الصناعية الكبرى.

تعرض لمحاولة اغتيال في ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤م. عندما كان يلقي خطبة جماهيرية في ميدان المنشية بمدينة الإسكندرية الساحلية في احتفال أقيم تكريماً له ولزملائه بمناسبة اتفاقية الجلاء، حيث ألقيت عليه ثمان رصاصات لم تصبه أيا منها لكنها أصابت الوزير السوداني "ميرغني حمزة" وسكرتير هيئة التحرير بالإسكندرية "أحمد بدر" الذي كان يقف إلى جانب جمال عبد الناصر، وألقي القبض علي مطلق الرصاص، حيث تبين أنه ينتمي الي تنظيم الاخوان المسلمين. (و تقول بعض المصادر أن تلك المحاولة كانت مدبرة من النظام لإيجاد سبب وجيه لوقف نشاط جماعة الإخوان والقضاء عليها) .

ما لبث عبد الناصر أن اصطدم بجميع الناشطين السياسيين وعلى رأسهم الشيوعيون وجماعة الإخوان المسلمين، والأخيرة صدر قرار في ١٣ يناير ١٩٥٤ يقضي بحلها وحظر نشاطها. وألقت الدولة المصرية آنذاك القبض علي الآلاف من أعضاء تلك الجماعات، وأجريت لهم محاكمات عسكرية وحكم بالإعدام على عدد منهم. وامتدت المواجهات إلى النقابات المختلفة؛ فقد تم حلّ مجلس نقابة المحامين بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٩٥٤، ثم تلتها نقابة الصحفيين في العام ١٩٥٥. كما ألغيت الحياة النيابية والحزبية ووحدت

التيارات السياسية في الاتحاد القومي في العام ١٩٥٩، ثم الاتحاد الاشتراكي في العام ١٩٦٢.

في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ أرسل الرئيس عبد الناصر القوات المسلحة المصرية إلى اليمن لدعم الثورة اليمنية التي قامت على غرار الثورة المصرية، وأيدت السعودية الإمام اليمني المخلوع خوفا من امتداد الثورة إليها، وهو ما أدى إلى توتر العلاقات المصرية السعودية. ويقول بعض المراقبين "بان ذلك كان له أثره السيئ في استنزاف موارد مصر وإضعاف قوتها العسكرية، وكانت أبرز عواقبه الوخيمة تلك الهزيمة العسكرية الفادحة التي منيت بها القوات المسلحة في ١٩٦٧.

في يونيو ١٩٦٧ قصف سلاح الطيران الإسرائيلي جميع المطارات العسكرية لدول الطوق واستطاع تدمير سلاح الطيران المصري على الأرض، وقتل آلاف من الجنود المصريين في انسحاب الجيش غير المخطط له من سيناء والذي أصدره قائد الجيش عبد الحكيم عامر، مما أدى إلى سقوط شبه جزيرة سيناء والضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان في يد إسرائيل في غضون ستة أيام.

آخر مهام عبد الناصر كان الوساطة لإيقاف أحداث أيلول الأسود بالأردن بين الحكومة الأردنية والمنظمات الفلسطينية في قمة القاهرة في ٢٦ إلى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

عاد عبد الناصر من مطار القاهرة بعد أن ودع صباح السالم الصباح أمير الكويت. ثم داهمته نوبة قلبية بعد ذلك، وأعلن عن وفاته في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ عن عمر ٥٢ عاما بعد ١٨ عاماً قضاها في رئاسة مصر، ليتولى الحكم من بعده نائبه محمد أنور السادات.

الفصل الثالث

الرئيس محمد أنور السادات

محمد أنور السادات

محمد أنور محمد السادات (٢٥ ديسمبر ١٩١٨ – ٦ أكتوبر ١٩٨١)، ثالث رئيس لجمهورية مصرالعربية في الفترة من ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وحتى ٦ أكتوبر ١٩٨١.

كان أنور السادات طفلا غير عادى بتخيله البعيد الذي يميزه عن أقرانه، وكانت والدته سودانية تدعى ست البرين تزوجها والده حينما كان يعمل مع الفريق الطبي البريطاني بالسودان، لكنه عاش وترعرع في قرية ميت أبو الكوم. أشار السادات إلى أن القرية لم تضع غشاوة على عقله، لكن كانت جدته ووالدته هما اللتان فتنتاه وسيطرتا عليه، وهما السبب الرئيسي في تكوين شخصيته. كان السادات يفخر بأن يكون بصحبة جدته الموقرة، تلك الجدة التي كان الرجال يقفون لتحيتها حينما تكون مارة رغم أميتها، إلا إنها كانت تملك حكمة غير عادية، حتى أن الأسر التي كانت لديها مشاكل كانت تذهب إليها لتأخذ بنصيحتها علاوة على مهارتها في تقديم الوصفات الدوائية للمرضى.

وذكر السادات أن جدته ووالدته كانتا تحكيان له قصصا غير عادية قبل النوم. لم تكن قصصا تقليدية عن مآثر الحروب القديمة والمغامرات، بل كانت عن الأبطال المعاصرين ونضالهم من أجل الاستقلال الوطني، مثل قصة دس السم لمصطفى كامل بواسطة البريطانيين الذين أرادوا وضع نهاية للصراع ضد احتلالهم لمصر. أنور الصغير لم يكن يعرف من هو مصطفى كامل، لكنه تعلم من خلال التكرار أن البريطانيين أشرار ويسمون الناس، ولكن كانت هناك قصة شعبية أثرت فيه بعمق وهى قصة زهران الذي لقب ببطل دنشواى التي تبعد عن ميت أبو الكوم مسافة خمسة كيلو مترات. تتلخص أحداث القصة في أن الجنود البريطانيين كانوا يصطادون الحمام في دنشواى، وأشعلت رصاصة طائشة الحريق في أحد أجران القمح، فاجتمع الفلاحون ليطفئوا الحريق، لكن أحد الجنود البريطانيين أطلق عليهم النار وهرب. وفى معركة تالية قتل الجندي، وحينئذ تم القبض على

العديد من الناس وشكل مجلس عسكري بالساحة، وعلى وجه السرعة نصبت المشانق، كما تم جلد بعض الفلاحين وكان زهران هو أول من شنق، وكان من فرط شجاعته مشى إلى المشنقة برأس مرفوعة بعد أن قرر قتل أحد المعتدين في طريقه.

وانتهت جنة القرية بالنسبة للسادات مع رجوع والده من السودان، حيث فقد وظيفته هناك على أثر اغتيال سيرلى ستاك، وما ترتب على ذلك من سحب القوات المصرية من المنطقة. بعد ذلك انتقلت الأسرة المكونة من الأب وزوجاته الثلاث وأطفالهن إلى منزل صغير بكوبري القبة بالقاهرة وكان عمره وقتها حوالي ست سنوات، ولم تكن حياة أنور في هذا المنزل الصغير مريحة حيث أن دخل الأب كان صغيراً للغاية، وظل السادات يعانى من الفقر والحياة الصعبة إلى أن استطاع إنهاء دراسته الثانوية عام ١٩٣٦. وفى نفس السنة كان النحاس باشا قد أبرم مع بريطانيا معاهدة ١٩٣٦، وبمقتضى هذه المعاهدة سمح للجيش المصري بالاتساع، وهكذا أصبح في الإمكان أن يلتحق أنور بالكلية الحربية حيث كان الالتحاق بها قاصرا على أبناء الطبقة العليا، وبالفعل تم التحاقه بالأكاديمية العسكرية في سنة ١٩٣٥، وهذه الأحداث هي التي دفعت السادات إلى السياسة.

ولد بقرية ميت أبو الكوم بمحافظة المنوفية سنة ١٩١٨، وتلقى تعليمه الأول في كتاب القرية على يد الشيخ عبد الحميد عيسى، ثم انتقل إلى مدرسة الأقباط الابتدائية بطوخ دلكا وحصل منها على الشهادة الابتدائية. وفي عام ١٩٣٥ التحق بالمدرسة الحربية لاستكمال دراساته العليا، وتخرج من الكلية الحربية بعام ١٩٣٨ ضابطاً برتبة ملازم ثان. وتم تعيينه في مدينة منقباد جنوب مصر. وقد تأثر في مطلع حياته بعدد من الشخصيات السياسية والشعبية في مصر والعالم.

كان زواجه تقليديا حيث تقدم للسيدة (إقبال عفيفى) التي تنتمي إلى أصول تركية، وكانت تربطها قرابة مع الخديوي عباس، كما كانت أسرتها تمتلك بعض الأراضي بقرية ميت أبو الكوم والقليوبية أيضا، وهذا ما جعل عائلة إقبال تعارض زواج أنور السادات لها، لكنه بعد أن أتم السادات دراسته بالأكاديمية العسكرية تغير الحال وتم الزواج واستمر لمدة عشر سنوات، أنجبا خلالها ثلاثة بنات هم رقية، وراوية، وكاميليا.

تزوج أنور السادات للمرة الثانية من السيدة جيهان رؤوف صفوت التي أنجب منها ٣ بنات وولداً هم لبنى ونهى وجيهان وجمال.

شغل الاحتلال البريطاني لمصر بال السادات، كما شعر بالنفور من أن مصر محكومة بواسطة عائلة ملكية ليست مصرية. كذلك كان يشعر بالخزى والعار من أن الساسة المصريين يساعدون في ترسيخ شرعية الاحتلال البريطاني، فتمنى أن يبنى تنظيمات ثورية بالجيش تقوم بطرد الاحتلال البريطاني من مصر. قام السادات بعقد اجتماعات مع الضباط في حجرته الخاصة بوحدته العسكرية بمنقباد وذلك عام ١٩٣٨، وكان تركيزه في أحاديثه على البعثة العسكرية البريطانية ومالها من سلطات مطلقة وأيضا على كبار ضباط الجيش من المصريين وانسياقهم الأعمى إلى ما يأمر به الإنجليز. كما شهدت هذه الحجرة أول لقاء بين السادات وكل من جمال عبد الناصر، وخالد محيي الدين. ورغم إعجاب السادات بغاندي إلا أنه لم يكن مثله الأعلى بل كان المحارب السياسي التركي مصطفى كمال أتاتورك، حيث شعر السادات بأن القوة وحدها هي التي يمكن من خلالها إخراج البريطانيين من مصر وتغيير النظام الفاسد والتعامل مع السياسين الفاسدين، كما فعل أتاتورك في اقتلاع الحكام السابقين لتركيا.

ولكن كيف يتحقق ذلك وهو في وحدته بمنقباد ؟ فى أوائل ١٩٣٩ اختارته القيادة للحصول على دراسة تسمى فرقة إشارة بمدرسة الإشارة بالمعادى هو ومجموعة أخرى كان منهم جمال عبد الناصر. لم يكن عنده أمل في العمل بسلاح الإشارة الذي أنشىء حديثا في الجيش حيث كان من أهم أسلحة الجيش في ذلك الوقت، ولابد لوجود واسطة كبيرة لدخوله. فى نهاية الفرقة كان عليه إلقاء كلمة نيابة عن زملائه قام هو بإعدادها، وكانت كلمة هادفة ذات معنى علاوة على بلاغته وقدرته في إلقاءها دون الاستعانة كثيرا بالورق المكتوب. وذلك ما لفت نظر الأمير الاى إسكندر فهمي أبو السعد، وبعدها مباشرة تم نقله للعمل بسلاح الإشارة. وكانت تلك النقلة هي الفرصة التي كان السادات ينتظرها لتتسع دائرة نشاطه من خلال سهولة اتصاله بكل أسلحة الجيش، كانت الاتصالات في أول الأمر قاصرة على زملاء السلاح والسن المقربين، ولكن سرعان ما اتسعت دائرة الاتصالات بعد انتصارات "الألمان" هتلر عام ٣٩، ٤٠، ٤١ وهزائم الإنجليز.

في هذه الأثناء تم نقل السادات كضابط إشارة إلى مرسى مطروح. كان الإنجليز في تلك الأثناء يريدون من الجيش المصري أن يساندهم في معركتهم مع الألمان، ولكن الشعب المصري ثار لذلك مما أضطر على ماهر رئيس الوزراء في ذلك الوقت إلى إعلان تجنيب مصر ويلات الحرب كما أقر ذلك البرلمان بالإجماع. وبناء على ذلك صدرت الأوامر بنزول الضباط المصريين من مرسى مطروح وبذلك سوف يتولى الإنجليز وحدهم الدفاع، وذلك ما أغضب الإنجليز فطلبوا من كل الضباط المصريين تسليم أسلحتهم قبل انسحابهم من مواقعهم. وثارت ثورة الضباط وكان إجماعهم على عدم التخلى عن سلاحهم إطلاقا حتى لو أدى ذلك للقتال مع الإنجليز لأن مثل هذا الفعل يعتبر إهانة عسكرية، وذلك ما جعل الجيش الإنجليزي يستجيب للضباط المصريين.

وفى صيف ١٩٤١ قام السادات بمحاولته الأولى للثورة في مصر، وبدت السذاجة لخطة الثورة فقد كانت معلنة، حيث كانت تقضى بأن كل القوات المنسحبة من مرسى مطروح سوف تتقابل بفندق مينا هاوس بالقرب من الأهرامات. وفعلا وصلت مجموعة السادات الخاصة إلى الفندق وانتظرت الآخرين للحاق بهم، حيث كان مقررا أن يمشى الجميع إلى القاهرة لإخراج البريطانيين ومعاونيهم من المصريين. وبعد أن انتظرت مجموعة السادات دون جدوى، رأى السادات أن عملية التجميع فاشلة ولم تنجح الثورة.

كانت أيام حرية السادات معدودة، حيث ضيق الإنجليز قبضتهم على مصر، وبالتالي على كل مناضل مصري يكافح من أجل حرية بلاده مثل أنور السادات، فتم طرد السادات من الجيش واعتقاله وإيداعه سجن الأجانب عدة مرات، حيث قام بالاستلاء على جهاز لاسلكي من بعض الجواسيس الألمان " ضد الإنجليز" وذلك لاستغلال ذلك الجهاز لخدمة قضية الكفاح من أجل حرية مصر. وفى السجن حاول السادات أن يبحث عن معاني حياته بصورة أعمق. وبعد أن مضى عامين (١٩٤٢ : ١٩٤٤) في السجن قام بالهرب منه حتى سبتمبر ١٩٤٥ حين الغيت الأحكام العرفية، وبالتالي انتهى اعتقاله وفقا للقانون. وفى فترة هروبه هذه قام بتغيير ملامحه وأطلق على نفسه اسم الحاج محمد، وعمل تباعا على عربة تابعة لصديقه الحميم حسن عزت. ومع نهاية الحرب وانتهاء العمل بقانون الأحوال

العسكرية عام ١٩٤٥ عاد السادات إلى طريقة حياته الطبيعية، حيث عاد إلى منزله وأسرته بعد أن قضى ثلاث سنوات بلا مأوى.

عقد السادات ومعاونيه العزم على قتل أمين عثمان باشا، وزير المالية في وزراء النحاس باشا لأنه كان صديقا لبريطانيا، وكان من أشد المطالبين ببقاء القوات الانجليزيه في مصر، وكان له قول مشهور يشرح فيه العلاقه بين مصر وبريطانيا ويصف العلاقه بأنها زواج كاثوليكى بين مصر وبريطانيا لا طلاق فيه. وتمت عملية الاغتيال بنجاح في السادس من يناير عام ١٩٤٦ على يد حسين توفيق. وتم الزج بأنور السادات إلى سجن الأجانب دون اتهام رسمي له. وفى الزنزانة رقم ٥٤ تعلم السادات الصبر والقدرة على الخداع، حيث كانت تتصف هذه الزنزانة بأنها قذرة لا تحتوى على شيء إلا بطانية غير آدمية. وتعتبر تجارب السادات بالسجون هذه أكبر دافع لاتجاهه إلى تدمير كل هذه السجون بعدما تولى الحكم وذلك في العام ١٩٧٥ وقال حين ذاك: "إن أي سجن من هذا القبيل يجب أن يدمر ويستبدل بآخر يكون مناسبا لآدمية الإنسان".

كما أدى حبس السادات في الزنزانة ٥٤ بسجن القاهرة المركزي إلى التفكير في حياته الشخصية ومعتقداته السياسية والدينية، كما بنى السادات في سجنه علاقة روحانية مع ربه، لانه رأى أن الاتجاه إلى الله أفضل شيء لأن الله سبحانه وتعالى لن يخذله أبدا. وأثناء وجوده بالسجن قامت حرب فلسطين في منتصف عام ١٩٤٨، التي أثرت كثيرا في نفسه حيث شعر بالعجز التام وهو بين أربعة جدران حين علم بالنصر المؤكد للعرب لولا عقد الهدنة الذي عقده الملك عبد الله ملك الأردن وقت ذلك، والذي أنقذ به رقبة إسرائيل وذلك بالاتفاق مع الإنجليز. وفى أغسطس ١٩٤٨ تم الحكم ببراءة السادات من مقتل أمين عثمان وتم الإفراج عنه. بعد ذلك أقام السادات في بنسيون بحلوان لكي يتمكن من علاج معدته من آثار السجن بمياه حلوان المعدنية.

في عام ١٩٤٢ دخل السجن لأول مرة أثناء خدمته العسكرية وذلك إثر لقاءاته المتكررة بعزيز باشا المصري الذي طلب منه مساعدته للهروب إلى العراق. بعدها طلبت منه المخابرات العسكرية قطع صلته بالمصري لميوله المحورية غير أنه لم يعبأ بهذا الإنذار فدخل على إثر ذلك سجن الأجانب في فبراير عام ١٩٤٢. وقد خرج من سجن الأجانب

في وقت كانت فيه عمليات الحرب العالمية الثانية على أشدها. وعلى أمل إخراج الإنجليز من مصر كشف السادات من اتصالاته ببعض الضباط الألمان الذين نزلوا مصر خفية، فاكتشف الإنجليز هذه الصلة مع الألمان فدخل المعتقل سجيناً للمرة الثانية عام ١٩٤٣. لكنه استطاع الهرب من المعتقل، ورافقه في رحلة الهروب صديقه حسن عزت. وعمل أثناء فترة هروبه من السجن عتالاً على سيارة نقل تحت اسم مستعار هو الحاج محمد. وفى آواخر عام ١٩٤٤ انتقل إلى بلدة أبو كبير بالشرقية ليعمل فاعلاً في مشروع ترعة ري. وفي عام ١٩٤٥ ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية سقطت الأحكام العرفية، وبسقوط الأحكام العرفية عاد إلى بيته بعد ثلاث سنوات من المطاردة والحرمان.

وكان قد التقى في تلك الفترة بالجمعية السرية التي قررت اغتيال أمين عثمان وزير المالية في حكومة الوفد ورئيس جمعية الصداقة المصرية – البريطانية لتعاطفه الشديد مع الإنجليز. وعلى أثر اغتيال أمين عثمان عاد مرة أخرى وأخيرة إلى السجن. وقد واجه في سجن قرميدان أصعب محن السجن بحبسه انفرادياً، غير أنه هرب المتهم الأول في قضية حسين توفيق. وبعدم ثبوت الأدلة الجنائية سقطت التهمة عنه فأفرج عنه.

بعد خروجه من السجن عمل مراجعاً صحفياً بمجلة المصور حتى ديسمبر ١٩٤٨. وعمل بعدها بالأعمال الحرة مع صديقة حسن عزت. وفي عام ١٩٥٠ عاد إلى عمله بالجيش بمساعدة زميله القديم الدكتور يوسف رشاد الطبيب الخاص بالملك فاروق.

وفي عام ١٩٥١ تكونت الهيئة التأسيسية للتنظيم السري في الجيش والذي عرف فيما بعد بتنظيم الضباط الأحرار فانضم إليها. وتطورت الأحداث في مصر بسرعة فائقة بين عامي ١٩٥١ – ١٩٥٢، فألغت حكومة الوفد معاهدة ١٩٣٦ وبعدها اندلع حريق القاهرة الشهير في يناير ١٩٥٢ وأقال الملك وزارة النحاس الأخيرة.

وفي ربيع عام ١٩٥٢ أعدت قيادة تنظيم الضباط الأحرار للثورة، وفي ٢١ يوليو أرسل جمال عبد الناصر إليه في مقر وحدته بالعريش يطلب منه الحضور إلى القاهرة للمساهمة في ثورة الجيش على الملك والإنجليز. وقامت الثورة، وأذاع السادات بصوته بيان الثورة. وقد أسندت إليه مهمة حمل وثيقة التنازل عن العرش إلى الملك فاروق.

في عام ١٩٥٣ أنشأ مجلس قيادة الثورة جريدة الجمهورية وأسند إلى أنور السادات رئاسة تحرير هذه الجريدة. وفي عام ١٩٥٤ ومع أول تشكيل وزاري لحكومة الثورة تولى السادات منصب وزير دولة وكان ذلك في سبتمبر ١٩٥٤.

انتخب السادات عضواً بمجلس الأمة عن دائرة تلا ولمدة ثلاث دورات ابتداءً من عام ١٩٥٧، وكان قد انتخب في عام ١٩٦٠ رئيساً لمجلس الأمة وكان ذلك بالفترة من ٢١ يوليو ١٩٦٠ ولغاية ٢٧ سبتمبر ١٩٦١، كما أنتخب رئيساً لمجلس الأمة للفترة الثانية من ٢٩ مارس ١٩٦٤ إلى ١٢ نوفمبر ١٩٦٨. كما أنه في عام ١٩٦١ عين رئيساً لمجلس التضامن الأفرو – آسيوي. في عام ١٩٦٩ اختاره جمال عبد الناصر نائباً له، وظل بالمنصب حتى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وحيث كان السادات نائباً للرئيس أصبح رئيساً للجمهورية. اتخذ في ١٥ مايو ١٩٧١ قراراً حاسماً بالقضاء على مراكز القوى في مصر وهو ما عرف بثورة التصحيح، وفي نفس العام أصدر دستوراً جديداً لمصر.

قام في عام ١٩٧٢ بالاستغناء عن ما يقرب من ١٧٠٠٠ خبير روسي في أسبوع واحد في خطأ استراتيجي كلف مصر الكثير، إذ كان السوفييت محور دعم كبير للجيش المصري وكان الطيارون السوفييت يدافعون عن سماء مصر التي كان الطيران الإسرائيلي يمرح فيها كيفما شاء، ومكن هؤلاء الخبراء مصر من بناء منظومة الدفاع الجوي الصاروخي، لكن السادات حاول التقرب لأمريكا فأقدم على خطوة كهذه. بينما يؤمن الكثيرون أن إقدام السادات على هذا التخلي كان من خطوات حرب أكتوبر، حيث أراد السادات عدم نسب الانتصار إلى السوفييت.

من أهم الأسباب التي جعلته يقدم على هذه الخطوه هو أن الاتحاد السوفياتي أراد تزويد مصر بالأسلحه بشرط عدم استعمالها إلا بأمر منه، حيث أجابهم السادات بكلمة: (أسف)، فلا أقبل فرض قرار على مصر إلا بقراري وقرار الشعب المصري. وقد أقدم السادات على إتخاذ قرار مصيري لمصر وهو قرار الحرب ضد إسرائيل التي بدأت في ٦

أكتوبر ١٩٧٣ عندما استطاع الجيش كسر خط بارليف وعبور قناة السويس فقاد مصر إلى أول انتصار عسكري على إسرائيل.

وقد قرر في عام ١٩٧٤ على رسم معالم جديدة لنهضة مصر بعد الحرب وذلك بإنفتاحها على العالم فكان قرار الانفتاح الاقتصادي.

ومن أهم الأعمال التي قام بها قيامه بإعادة الحياة الديمقراطية التي بشرت بها ثورة ٢٣ يوليو ولم تتمكن من تطبيقها، حيث كان قراره الذي اتخذه في العام ١٩٧٦ بعودة الحياة الحزبية، حيث ظهرت المنابر السياسية ومن رحم هذه التجربة ظهر أول حزب سياسي وهو الحزب الوطني الديمقراطي كأول حزب بعد ثورة يوليو، وهو الحزب الذي أسسه السادات وترأسه وكان اسمه في البداية حزب مصر. ثم توالى من بعده ظهور أحزاب أخرى كحزب الوفد الجديد وحزب التجمع الوحدوي التقدمي وغيرها من الأحزاب.

معاهدة السلام

بتاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ اتخذ الرئيس قراره الذي سبب ضجة بالعالم بزيارته للقدس وذلك ليدفع بيده عجلة السلام بين مصرو إسرائيل. وقد قام في عام ١٩٧٨ برحلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أجل التفاوض لاسترداد الأرض وتحقيق السلام كمطلب شرعي لكل إنسان. تمت مباحثات السلام في كامب ديفيد برعاية الرئيس الأمريكي جيمي كارتر. وقد وقع السادات معاهدة كامب ديفيد للسلام بين مصر وإسرائيل مع رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيجن. والاتفاقية هي عبارة عن إطار للتفاوض يتكون من اتفاقيتين الأولى إطار لاتفاقية سلام منفردة بين مصر وإسرائيل والثانية خاصة بمبادئ للسلام العربي الشامل في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان.

وقد انتهت الاتفاقية الأولى بتوقيع معاهدة السلام المصرية – الإسرائلية عام ١٩٧٩قامت إسرائيل بموجبها بإرجاع الأراضي المصرية المحتلة إلى مصر.

وقد حصل السادات على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيجن وذلك على جهودهما الحثيثة في تحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط.

لم تكن ردود الفعل العربية إيجابية عند زيارة السادات لإسرائيل، وعملت الدول العربية على مقاطعة مصر وتعليق عضويتها في الجامعة العربية، وتقرر نقل المقر الدائم للجامعة العربية من القاهرة إلى تونس العاصمة، حدث ذلك في القمة العربية التي عقدت في بغداد بناء على دعوة من الرئيس العراقي أحمد حسن البكر في ٢ نوفمبر ١٩٧٨، والتي تمخضت عن مناشدة الرئيس المصري للعدول عن قراره بالصلح المنفرد مع إسرائيل مما سيلحق الضرر بالتضامن العربي ويؤدي إلى تقوية وهيمنة إسرائيل وتغلغلها في الحياة العربية وانفرادها بالشعب الفلسطيني. كما دعا العرب إلى دعم الشعب المصري بتخصيص ميزانية قدرها ١١ مليار دولار لحل مشاكله الاقتصادية، إلا أن السادات رفضها مفضلاً الاستمرار بمسيرته السلمية المنفردة مع إسرائيل.

وقد أقدمت الدول العربية على قطع علاقتها مع مصر، باستثناء سلطنة عمُان والسودان. وقد اعتبر كثير من الباحثين أن هذا القرار كان متسرعاً وغير مدروس، وكان في جوهره يعبر عن التطلعات المستقبلية للرجل الثاني في العراق آن ذاك صدام حسين. لكن سرعان ما عادت الجامعة العربية لجمهورية مصر العربية عام ١٩٨٩، ومن الغريب أن معظم الدول التي قاطعت مصر لعقدها معاهدة سلام مع إسرائيل وإعترافها بها عادت بعدها بسنوات واعترفت بدولة إسرائيل بل وتسابقت في عقد اتفاقيات عسكرية واقتصادية، ولذلك قيل عن السادات أنه كان سابقاً لعصره.

بحلول خريف عام ١٩٨١ قامت الحكومة بحملة اعتقالات واسعة شملت المنظمات الإسلامية ومسؤولي الكنيسة القبطية وكتاب وصحفيين ومفكرين يساريين وليبراليين، ووصل عدد المعتقلين في السجون المصرية إلى ١٥٣٦ معتقلاً وذلك على إثر حدوث بوادر فتن واضطرابات شعبية رافضة للصلح مع إسرائيل ولسياسات الدولة الاقتصادية.

وفي ٦ أكتوبر من العام نفسه (بعد ٣١ يوم من إعلان قرارات الاعتقال)، تم اغتيال السادات في عرض عسكري كان يقام بمناسبة ذكرى حرب أكتوبر، وقام بعملية الاغتيال خالد الإسلامبولي التابع لمنظمة الجهاد الإسلامي التي كانت تعارض بشدة اتفاقية السلام مع إسرائيل ولم يرق لها حملة القمع المنظمة التي قامت بها الحكومة في شهر سبتمبر.

خلفه في الرئاسة نائب الرئيس محمد حسني مبارك.

موضوعات على المحك

الأزمة مع إيران

بعد وقوع الثورة الإيرانية استضاف الرئيس السادات شاه إيران محمد رضا بهلوي في القاهرة، مما سبب أزمة سياسية حادة بينه وبين إيران، وتعددت وسائل التعبير عنها من كلا الطرفين بحرب إعلامية وقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

وفي مطلع عام ٢٠٠٤ وفي عهد الرئيس محمد خاتمي طلبت إيران عودة العلاقات الدبلوماسية مع مصر واشترطت مصر تغيير اسم الشارع الذي يحمل اسم "خالد الإسلامبولي".

في عام ٢٠٠٨ تم في إيران عرض فيلم وثائقي من إنتاج إيراني بعنوان "إعدام الفرعون"، ويصف الفيلم السادات "بالخائن"، ويمجد قاتليه، مما زاد في توتر العلاقات بين البلدين، ما أدى لاستدعاء القاهرة المبعوث الإيراني لديها محذرة طهران من مزيد من التدهور في علاقات البلدين.

وبعد ذلك أعلنت الحكومه الإيرانيه رسميا وقف عرض الفيلم وسحبه من الأسواق كما أعلنت أن الفيلم تم إنتاجه بواسطه إحدى القنوات الفضائيه العربيه.

ميراثه السياسي

يرى مؤيدو سياسة السادات أنه الرئيس العربي الأكثر جرأة وواقعية في التعامل مع قضايا المنطقة وأنه انتشل مصر من براثن الدولة البوليسية ومراكز القوى ودفع بالاقتصاد المصري نحو التنمية والازدهار.

وعلى النقيض من ذلك يرى آخرون أنه قوض المشروع القومي العربي وقام بتجسيد الدور الإقليمي المصري في المنطقة وقضى على مشروع النهضة الصناعية والاقتصادية ودمر قيم المجتمع المصري وأطلق العنان للتيارات الإسلامية.

مؤلفاته

من أبرز مؤلفاته:

* **البحث عن الذات**
* **قصة الثورة كاملة**
* **يا ولدي هذا عمك جمال**
* **ثورة على النيل.**
* **القاعدة الشعبية**
* **الصفحات المجهولة للثورة.**
* **٣٠ شهرا في السجن**
* **أسرار الثورة المصرية**
* **معنى الاتحاد القومى**
* **نحو بعث جديد**

(مؤلفاته الإنجليزية)

* **Revolt on the nile**
* **Those I have known**

الفصل الرابع

الرئيس محمد حسني مبارك

محمد حسني سيد مبارك وشهرته حسني مبارك (٤ مايو ١٩٢٨)، رئيس جمهورية مصر العربية منذ ١٤ أكتوبر ١٩٨١. هو الرئيس الرابع لمصر. تقلد الحكم في مصر رئيسا للجمهورية للقوات المسلحة المصرية، ورئيس الحزب الوطني الديمقراطي بعد اغتيال الرئيس أنور السادات في ٦ أكتوبر ١٩٨١، بصفته نائب رئيس الجمهورية. تعتبر فترة حكمه رابع أطول فترة حكم في المنطقة العربية بعد الرئيس الليبي معمر القذافي و السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان والرئيس اليمني علي عبدالله صالح، والأطول بين ملوك ورؤساء مصر منذ محمد علي باشا. مارس بصفته رئيس لمصر دورا مهما في المنطقة العربية وعرف بموقفه الداعم للمفاوضات السلمية الفلسطينية – الإسرائيلية.

أنهى مرحلة التعليم الثانوي بمدرسة المساعي الثانوية بشبين الكوم، ثم التحق بالكلية الحربية، وحصل على بكالوريوس العلوم العسكرية فبراير ١٩٤٩، وتخرج برتبة ملازم ثان. التحق ضابطا بسلاح المشاة، باللواء الثاني الميكانيكي لمدة ٣ شهور، وأعلنت كلية الطيران عن قبول دفعة جديدة بها، من خريجي الكلية الحربية، فتقدم حسني مبارك للالتحاق بالكلية الجوية، واجتاز الاختبارات مع أحد عشر ضابطاً قبلتهم الكلية. تخرج في الكلية الجوية، حيث حصل على بكالوريوس علوم الطيران من الكلية الجوية في ١٢ مارس ١٩٥٠. وفي عام ١٩٦٤ تلقي دراسات عليا بأكاديمية فرونز العسكرية بالاتحاد السوفييتي .

تدرج في الوظائف العسكرية فور تخرجه، حيث عين بالقوات الجوية في العريش، في ١٣ مارس ١٩٥٠، ثم نقل إلى مطار حلوان عام ١٩٥١ للتدريب على المقاتلات، واستمر به حتى بداية عام ١٩٥٣، ثم نقل إلى كلية الطيران ليعمل مدرسا بها، فمساعدا لأركان حرب الكلية، ثم أركان حرب الكلية، وقائد سرب في نفس الوقت، حتى عام ١٩٥٩. تم أسره مع رفقة ضباط مصريين بعد نزولهم اضطراريا في المغرب على متن مروحية خلال حرب الرمال التي نشبت بين المغرب والجزائر.

سافر في بعثات متعددة إلى الاتحاد السوفيتي، منها بعثة للتدريب على القاذفة إليوشن ـ ٢٨، وبعثة للتدريب على القاذفة تي ـ يو ـ ١٦، كما تلقى دراسات عليا بأكاديمية فرونز العسكرية بالاتحاد السوفيتي (١٩٦٤ ـ ١٩٦٥م). أصبح محمد حسني مبارك، قائداً للواء قاذفات قنابل، وقائداً لقاعدة غرب القاهرة الجوية بالوكالة حتى ٣٠ يونيو ١٩٦٦.

وفي يوم ٥ يونيه ١٩٦٧، كان محمد حسني مبارك قائد قاعدة بني سويف الجوية. عُين مديرا للكلية الجوية في نوفمبر ١٩٦٧م، وشهدت تلك الفترة حرب الاستنزاف. رقي لرتبة العميد في ٢٢ يونيه ١٩٦٩، وشغل منصب رئيس أركان حرب القوات الجوية، ثم قائداً للقوات الجوية في أبريل ١٩٧٢م، وفي العام نفسه عُين نائباً لوزير الحربية.

قاد القوات الجوية المصرية أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣، ورقي اللواء محمد حسني مبارك إلى رتبة الفريق في فبراير ١٩٧٤. وفي ١٥ أبريل ١٩٧٥، اختاره محمد أنور السادات نائباً لرئيس الجمهورية، ليشغل هذا المنصب (١٩٧٥ ـ ١٩٨١م). وعندما أعلن السادات تشكيل الحزب الوطني الديموقراطي برئاسته في يوليو ١٩٧٨م، ليكون حزب الحكومة في مصر بدلاً من حزب مصر، عين حسني مبارك نائبًا لرئيس الحزب. وفي هذه المرحلة تولى أكثر من مهمة عربية ودولية، كما قام بزيارات عديدة لدول العالم، ساهمت إلى حد كبير في تدعيم علاقات هذه الدول مع مصر.

وفي ١٤ أكتوبر ١٩٨١م تولى محمد حسني مبارك رئاسة جمهورية مصر العربية، بعدما تم الاستفتاء عليه بعد ترشيح مجلس الشعب له في استفتاء شعبي، خلفاً للرئيس محمد أنور السادات، الذي اغتيل في ٦ أكتوبر ١٩٨١م، أثناء العرض العسكري الذي

أقيم بمناسبة الاحتفال بذكرى انتصارات أكتوبر ١٩٧٣م. وفي ٢٦ يناير ١٩٨٢م انتخب رئيساً للحزب الوطني الديمقراطي .

مبارك في الحكم

١. ١٤ أكتوبر ١٩٨١ تولى محمد حسني مبارك رئاسة جمهورية مصر العربية ،باستفتاء شعبي بعد ترشيح مجلس الشعب له عندما كان صوفي أبو طالب رئيس مجلس الشعب في ذلك الوقت هو الرئيس المؤقت لمصر بعد اغتيال السادات.
٢. ٥ أكتوبر ١٩٨٧ أُعيد الاستفتاء عليه رئيساً للجمهورية لفترة رئاسية ثانية .
٣. ١٩٩٣ أُعيد الاستفتاء عليه رئيساً للجمهورية لفترة رئاسية ثالثة .
٤. ٢٦ سبتمبر ١٩٩٩، أُعيد الاستفتاء عليه رئيساً للجمهورية لفترة رئاسية رابعة .
٥. كما تم انتخابه لفترة ولاية جديدة عام ٢٠٠٥ في أول انتخابات رئاسية تعددية تشهدها مصر عقب إجراء تعديل دستوري في ظل انتخابات شهدت أعمال عنف واعتقالات لمرشحي المعارضة.
٦. و في ٢٥ يناير ٢٠١١، قامت ثورة شعبية من كافة ارجاء مصر تطالب بإسقاط حكمه الذي دام طيله ثلاثين عاما لتنجح في ارغامه على التخلي عن منصب رئيس الجمهورية نزولا على مطالب جموع الشعب ليترك المنصب نهائيا في ١١ فبراير من نفس العام مفوضا سلطاته الى المجلس الاعلى للقوات المسلحة الذى تولى ادارة البلاد من خلال فترة انتقالية سبقت الانتخابات الرئاسية التى كان من المقرر عقدها خلال سبتمبر من نفس العام .

قرارات اتخذها

* في سبتمبر ٢٠٠٣م: قام بإلغاء ١٤ مادة بصفته الحاكم العسكري للبلاد. من ال٢١ مادة من قوانين الطوارئ المعمول بها منذ اغتيال الرئيس أنور السادات .

* في سبتمبر ٢٠٠٣م: أعطى أوامره لوزير الداخلية المصري بوضع قانون جديد يسمح لكل مصرية متزوجة من أجنبي من حصول أبنائها على الجنسية المصرية .

* في ديسمبر ٢٠٠٦م: قام بإحالة ٤٠ من قيادات الإخوان المسلمين إلي محاكمة عسكرية بصفته الحاكم العسكري للبلاد. قضت محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة يوم الثلاثاء ٨ مايو ٢٠٠٧م برئاسة المستشار محمد الحسيني نائب رئيس مجلس الدولة برفض تنفيذ قرار رئيس الجمهورية، طعن الرئيس على الحكم فقضت محكمة فحص الطعون بتأييد قرار الرئيس .

مبارك وحرب أكتوبر ٧٣

قاد مبارك القوات الجوية المصرية أثناء حرب أكتوبر، وقد عرف بلقب صاحب أول ضربة جوية حيث كانت لها أثر كبير في ضرب النقاط الحيوية للقوات الإسرائيلية في سيناء مما أخل بالتوازن وسمح للقوات البرية المصرية بعبور قناة السويس والسيطرة علي الضفة الشرقية للقناة وعدة كيلومترات في أول أيام الحرب تحت غطاء وحماية القوات الجوية المصرية .

مبارك ومفاوضات السلام

أكمل مبارك مفاوضات السلام التي بدأها أنور السادات مع إسرائيل في كامب ديفيد، واستمرت عملية السلام بين مصر وإسرائيل حتي تم استرجاع أغلب شبه جزيرة سيناء من إسرائيل حتى لجأت مصر إلى التحكيم الدولي لاسترجاع منطقة طابا من الاحتلال الإسرائيلي إلي ان فازت مصر وتم استرجاع طابا عام ١٩٨٩.

مشروعات في عهده

تم بناء عدة منشآت ومشاريع حيوية في عهده مثل مترو الأنفاق في القاهرة والجيزة، وترعة السلام في سيناء ومشروع توشكى وشرق العوينات وإعادة إعمار حلايب ومشاريع إسكان الشباب.

من أهم ما يميز الأداء الاقتصادي في عهد الرئيس مبارك ارتفاع الدين الداخلي الى ٣٠٠ مليار جنيه بخلاف مديونية الهيئات الاقتصادية التي تبلغ ٣٩ مليار جنيه. كما بلغ الدين الخارجي ٢٧ مليار دولار وارتفاع قيمة الفوائد المحلية في الموازنة الى ٢٢.٩، والفوائد الخارجية الى ٢.٣ مليار جنيه، كما بلغت الاقساط المحلية ٦.٣ مليار جنيه، والأقساط الخارجية ٢.٥ مليار جنيه، وبلغ عبء الدين العام بنوعيه ٣٤ مليار جنيه، بنسبة ٢٦.٧ في المائة من اجمالي الموازنة العامة للدولة بالتوازي مع وضع مصر في قائمة أكثر ٢٥ دولة فسادا في تقرير البنك المركزي.

التعديل الدستوري في انتخاب الرئيس

رغم أن التعديل تم وفق الآليات والوسائل الدستورية التي يسمح النظام الدستورى المصري إلا أنه قد ارتبط بالتعديل وجود جدل سياسي وظهور معارضة سياسية للتعديل وذلك للشروط التي وضعت للمرشحين والتي تجعل الترشح للمنصب من جانب الشخصيات ذات الثقل السياسي أمر مستحيل.وهو الأمر الذي كان يراه البعض يتوافق مع ضرورة صيانة منصب الرئاسة ووضع الضمانات الشعبية للترشح ولكن تم طلب التعديل ثانية بعد أقل من عامين من طلب التعديل الأول بالإضافة إلى ٣٣ مادة أخرى. معارضة التعديل تبنتها قوي شعبية عديدة الي جانب أحزاب المعارضة المصرية ورغم ذلك دخلت بعض قيادات المعارضة الرسمية العملية الانتخابية على منصب الرئيس بنفس الآلية الدستورية التي رفضوها، وقد فاز حسني مبارك في هذه الانتخابات بنسبة كبيرة من واقع صناديق الاقتراع برغم تشكيك المعارضة في مصداقيتها، وإدعائها بأنه شابها الكثير من التجاوزات والرشاوي الانتخابية بصورة واسعة ومكثفة.

وقد أكد بعض الفقهاء الدستوريون أن ما حدث في مصر من فتح باب الترشح والاختيار بين أكثر من مرشح يعد حدثا تاريخيا يتوافق مع النموذج الدستوري الذي كانوا ينادون به في مؤلفاتهم منذ وجود الدستور المصري الحالي. مع وجود تحفظات قانونية لديهم، بسبب اعتقاد بعض الدستوريين أن الأشخاص الذين سيرشحون أنفسهم لمنصب رئيس الجمهورية مع وجود هذه القيود الشديدة ليس لديهم القدرة على النجاح في الاستثناء

الممنوح لاول انتخابات بعد التعديل في ٢٠٠٥ وباستحالة الترشح بعدها. ومما أكد هذا التفسير هو طلب التعديل لنفس المادة أواخر ٢٠٠٦. بينما يذهب الكثيرون إلى أن ماحدث هو "سيناريو لتوريث الحكم" لنجل الرئيس، جمال مبارك.

في ٢٥ يناير ٢٠١١ بدأت موجة من التظاهرات بلغت أوجها في يوم الثلاثاء ١ فبراير حيث قُدّر عدد المشاركين فيها بثمانية ملايين شخص . في أنحاء مصر، وواجه النظام المصري هذه التظاهرات بعنف أدى إلى مصرع المئات، خاصّة في مدينة السويس. تطورت التظاهرات إلى أن تم سحب قوات الشرطة والأمن المركزي من الشوارع المصرية. في اليوم الرابع (الجمعة ٢٨ يناير) تم إنزال قوات الجيش إلى داخل المدن وأعلنت قيادة الجيش أنها لن تتعرض للمتظاهرين. ألقى مبارك خطبتين خلال الأحداث، أعلن في الأولى عن مجموعة من القرارات وصفها بإصلاحات، وقال في الثانية أنه لن يرشح نفسه لفترة رئاسية جديدة في الإنتخابات التالية، مؤكدا على أنه لن يتنحى. بدأت بعدها مباشرة مظاهرات تهتف بشعارات مؤيدة لمبارك، وإشتبك مؤيدو مبارك مع المعتصمين المطالبين بإسقاط حكم مبارك في عدّة مناطق أهمها ميدان التحرير في وسط القاهرة في غياب لتدخل الجيش .

بحلول يوم الجمعة ٤ فبراير لم يعد ظهور المؤيدين لمبارك بارزاً، واختفى أيضاً المعتدون (البلطجية)، وأتوضح أن من بينهم أعضاء في أجهزة الأمن التابعة لنظام مبارك، بالإضافة إلى مجموعات "إرتزقت" أو حرّكت ضد المتظاهرين لأجل سقوط مبارك. ومنذ ساعات الصباح تجمّع ما قدر بمئات الآلاف في أنحاء مصر في مظاهرات لأجل سقوط مبارك وإنضم إليهم شخصيات بارزة مثل عمر موسى وآخرون .

في ١٠ فبراير ٢٠١١ قام مبارك بتفويض نائبه عمر سليمان بالقيام بأختصاصات رئيس الجمهورية، وكان ذلك في بيان ألقاه للشعب لكن البيان لم يلق أي استحسان وعلى إثره اشتدت التظاهرات ونزل الملايين إلى الشوارع مطالبين برحيله. وبعد مماطلة لثمانية عشر يوماً تنحى الرئيس تحت ضغوط ثورة ٢٥ يناير في يوم ١١ فبراير ٢٠١١، وسلم

الحكم للمجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية. تدفق الملايين حينها إلى شوارع القاهرة وبقية المدن العربية احتفالاً برحيله، خاصةً في ميدان التحرير .

الجدل حول حكم مبارك

أعيد انتخابه رئيساً للجمهورية خلال استفتاء علي الرئاسة في أعوام ١٩٨٧ و١٩٩٣ و١٩٩٩ و٢٠٠٥ لخمس فترات متتالية وطالب كثيرون بتعديل الدستور ليسمح بتعدد المرشحين لرئاسة الجمهورية وأن يصبح بالانتخاب المباشر عوضا عن الاستفتاء، وبذلك تكون فترة حكمه من أطول فترات الحكم في المنطقة العربية. في فبراير ٢٠٠٥ دعا حسني مبارك إلي تعديل المادة ٧٦ من الدستور المصري التي تنظم كيفية اختيار رئيس الجمهورية، وتم التصويت بمجلس الشعب لصالح هذا التعديل الدستوري الذي جعل رئاسة الجمهورية بالانتخاب المباشر لأول مرة في مصر وليس بالاستفتاء كما كان متبعا سابقا. وجهت إليه انتقادات من قبل حركات معارضة سياسية في مصر مثل حركة كفاية لتمسكه بالحكم، خاصة قبل التجديد الأخير الذي شهد انتخابات بين عدد من المرشحين لأول مرة (أبرزهم أيمن نور ونعمان جمعة)، وصفت من قبل الحكومة المصرية بالنزاهة ومن قبل بعض قوي المعارضة بالمسرحية الهزلية المقصود بها إرضاء بعض القوى الخارجية. ومن الناحية الاقتصادية يعتقد البعض أن حسني مبارك لم يستطيع أن يحقق ما كان يعد به دائما من تحقيق الاستقرار الاقتصادي وحماية محدودي الدخل، بل ظل الاقتصاد يعاني حتي الآن من مشاكل كبيرة وخاصة بعد تبنيه عمليات الخصخصة التي أثير حولها الكثير من الشكوك والمشاكل من حيث عدم جدواها وإهدارها للمال العام.. وأنها كانت في صالح المستثمرين وأصحاب روؤس الأموال فقط.. كما أنه لم يستطيع تخفيض نسبة البطالة للبلد، ويرجع سبب هذا إلى تحكم عدد قليل من أصحاب روؤس الأموال في مقدرات البلد. بالرغم من هذا فإن مصر احتلت مركزا متقدما في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في جذب رؤوس الأموال الأجنبية للاستثمار المباشر في ٢٠٠٧.

شهد عصره تزايد الاضرابات العمالية وانتشار ظاهرة التعذيب في مراكز الشرطة، واستفحال ظاهرة العنف ضد المرأة. وازداد عدد المعتقلين في السجون، إذ وصل عدد

المعتقلين السياسيين إلى ما يقرب من ثمانية عشر ألف معتقل إداري، وحسب تقدير ورد في كتاب من تأليف الصحفي عبد الحليم قنديل وصل عدد العاملين في أجهزة الأمن المصرية إلى ١.٧ مليون ضابط وجندي ومخبر، وهو ما يعني أن هناك عسكريا لكل ٤٧ مواطناً مصرياً حسب الكتاب. وفي عصره تزايد عدد الفقراء حيث أشار تقرير نشر في فبراير ٢٠٠٨ إلى أن ١١ مليون مواطن يعيشون في ٩٦١ منطقة عشوائية. وتفاقمت الأزمة الاقتصادية على إثر بعض السياسات الاقتصادية ويتحكم ٢% من المصريين في ٤٠% من جملة الدخل القومي. وقد أتخذت الأزمة الاقتصادية في عهده منعطفاً خطيرا بعد عام ١٩٩٨، حيث زادت معدلات التضخم بصورة ضخمة في ذلك العام وتضاعفت الأسعار بسبب قرار اتخذه رئيس الوزراء وقتها عاطف عبيد بتحرير سعر الدولار.

ومنذ توليه الرئاسة ظل تطبيق قوانين الطوارئ ساريا إلى الآن.

في مايو ٢٠٠٧ عارض الرئيس مبارك بشدة مشروعاً مفترضاً لبناء جسر بري يربط مصر والسعودية عبر جزيرة تيران في خليج العقبة بين رأس حميد في تبوك شمال السعودية، ومنتجع شرم الشيخ المصري لتسيير حركة تنقل الحجاج والبضائع بين البلدين ولكن الرئيس رفض حتي لا يؤثر علي المنتجعات السياحية في مدينة شرم الشيخ. حسب تصنيف مجلة باردي الأمريكية يعتبر حسني مبارك الديكتاتور رقم ٢٠ الأسوأ على مستوى العالم لعام ٢٠٠٩، بينما حل في المركز السابع عشر في عام ٢٠٠٨ لنفس القائمة. حسب تصنيف فورين بوليسى الأمريكية يحتل الرئيس محمد حسني مبارك المركز الخامس عشر في قائمة فورين بوليسي (أسوء السيئين) لعام ٢٠١٠، حيث تعتبره فورين بوليسي "حاكم مطلق مستبد يعانى داء العظمة وشغله الشاغل الوحيد أن يستمر فى منصبه. ومبارك يشك حتى فى ظله وهو يحكم البلاد منذ ٣٠ عاما بقانون الطوارئ لإخماد أى نشاط للمعارضة ويجهز ابنه جمال حاليا لخلافته"، وأضافت فورين بوليسى الأمريكية أنه "لا عجب أن ٢٣ % فقط من المصريين أدلوا بأصواتهم فى الانتخابات الرئاسية الأخيرة عام ٢٠٠٥".

مبارك متزوج من سوزان صالح ثابت المشهورة بسوزان مبارك، ولهما ولدان هما علاء وجمال، حفيدان من ابنه علاء هما محمد وعمر، وقد توفى حفيده محمد في ١٨

مايو ٢٠٠٩ عن عمر ١٢ سنة عقب أزمة صحية حادة، وله حفيدة من ابنه جمال وهي فريدة وولدت في ٢٣ مارس ٢٠١٠ في لندن.

الجوائز والميداليات التي حصل عليها

حصل حسني مبارك على عدد كبير من الأوسمة والميداليات الدولية والوطنية .

الجوائز الدولية

* ٢٠٠٨ جائزة نهرو للسلام من الهند تقديرا لمكانته الدولية .
* ٢٠٠٥ درع السلام العالمي من هيئة مكتب الاتحاد الفيدرالي لسلام الشرق الأوسط التابع للأمم المتحدة واعتباره شخصية العام للسلام .
* ٢٠٠٤ درع اتحاد المستثمرين في أفريقيا.
* ٢٠٠٢ جائزة التنمية.
* ٢٠٠٢ جائزة جواهر لال نهرو للتفاهم الدولي
* ٢٠٠٢ الجائزة الأفرو آسيوية من أجل السلام.
* ١٩٩٤ جائزة الأمم المتحدة.
* ١٩٩٠ جائزة حقوق الإنسان الديمقراطية من قبل مركز الدراسات السياسية والاجتماعية بباريس .
* ١٩٨٩ نوط جامعة Comptutense الإسبانية في مدريد.
* ١٩٨٧ لقب شرف شهادة الحماية والتي تعادل ٤ ميداليات من قبل السيد Laslo Nagui وهو الأمين العام للمنظمة العالمية للكشافين.
* ١٩٨٧ ميدالية الأسطرولاب من قبل الأمير سلطان بن سلمان ،نيابة عن الحكومة السعودية.
* ١٩٨٥ جائزة رجل عام ١٩٨٤ من قبل مجلس التضامن الهندي.
* ١٩٨٣ جائزة رجل العام من قبل معهد دولي في باريس.
* ١٩٨٣ درع رجل السلام من قبل السيد تشارلز راين، رئيس مركز السلام الدولي.

ميداليات أجنبية

* ١٩٩٠ الوسام الرفيع السابع من نوفمبر لجمهورية تونس.
* ١٩٨٩ ميدالية مبارك الكبير الكويتية.
* ١٩٨٩ وسام الشرف العظيم من السودان.
* ١٩٨٨ ميدالية الجمهورية من اليمن.
* ١٩٨٦ وشاح فنت الدانمركي.
* ١٩٨٦ ميدالية سارة فم السويدية.
* ١٩٨٥ وسام الصليب الأعظم الألماني من نوط الاستحقاق من ألمانيا الفيدرالية.
* ١٩٨٥ الوشاح الأكبر للملكة إيزابيل الكاثوليكية.
* ١٩٨٤ الوشاح الأكبر لميدالية سافيور من اليونان.
* ١٩٨٤ الوشاح الأكبر للميدالية القومية لابانتير من زائير.
* ١٩٨٤ الوشاح الأكبر للميدالية لدولة مالي.
* ١٩٨٤ النوط الأكبر لجمهورية إفريقيا الوسطى.
* ١٩٨٤ ميدالية السلطان بروناي في دار السلام.
* ١٩٨٣ ميدالية هنري الصغير في البرتغال.
* ١٩٨٣ الوشاح الأكبر لميدالية الكريزانتيم الرفيعة من اليابان.
* ١٩٨٣ نوط من الدرجة الأولي لميدالية العلم القومي من كوريا الديمقراطية.
* ١٩٨٣ الوشاح الأكبر للميدالية الوطنية من النيجر.
* ١٩٨٢ الوشاح الأكبر لميدالية الصليب العظيم من إيطاليا.
* ١٩٨٢ الوشاح الأكبر لميدالية ليجيون دانير في فرنسا.
* ١٩٨١ ميدالية تريشاكي باتا من نوط الدرجة الأولي من نيبال.
* ١٩٧٧ الوشاح الأكبر لميدالية إيزابيل الكاثوليكية من إسبانيا.
* ١٩٧٧ الوشاح الأكبر لميدالية الاستحقاق القومية من توجو.
* ١٩٧٧ ميدالية اديبرادانا الإندونيسية.
* ١٩٧٦ الوسام العظيم لميدالية الشرف من اليونان.

* ١٩٧٦ ميدالية المعارب من اليمن من الطبقة الثانية.
* ١٩٧٦ ميدالية عمان من النوط الثاني.
* ١٩٧٦ الميدالية العسكرية العمانية من نوط الدرجة الأولي.
* ١٩٧٦ ميدالية العمياد السورية.
* ١٩٧٥ ميدالية الكويت من نوط الامتياز.
* ١٩٧٥ ميدالية الوشاح الأكبر درجة وسام الشرف الذهبي من النمسا.
* ١٩٧٥ وشاح ميدالية الاستحقاق القومية من فرنسا.
* ١٩٧٥ نوط الشرف الذهبي العظيم من بلغاريا.
* ١٩٧٥ ميدالية الباندا من المكسيك.
* ١٩٧٤ ميدالية الملك عبد العزيز من نوط الامتياز من المملكة العربية السعودية.
* ١٩٧٤ ميدالية الهيمايون الإيرانية من الدرجة الثانية.
* ١٩٧٢ ميدالية الجمهورية من الطبقة الثانية من تونس.

الميداليات والاوسمة الوطنية

* العسكرية " بدأ بالأحدث "
  - ١٩٨٣ ميدالية نجمة سيناء من نوط الدرجة الأولى.
  - ١٩٧٤،١٩٦٤ وسام نجمة الشرف.
  - ميدالية النجمة العسكرية.
  - شعار الجمهورية العسكري من نوط الدرجة الأولى.
  - الشعار العسكري للشجاعة من نوط الدرجة الأولى.
  - شعار الواجب العسكري من نوط الدرجة الأولى.

* المدنية
  - وسام النيل الأكبر.
  - 1975 ميدالية الجمهورية.

- وشاح النيل.
- ميدالية الجمهورية من نوط الدرجة الأولى.
- ميدالية الاستحقاق من نوط الدرجة الأولى.
- ميدالية العمل من نوط الدرجة الأولي.
- ميدالية العلوم والفنون من نوط الدرجة الأولى.
- ميدالية الرياضة من نوط الدرجة الأولى.
- شعار الاستحقاق من نوط الدرجة الأولى.
- شعار الامتياز من نوط الدرجة الأولى.

مرتبات شرفية

* ١٩٩٩ دكتوراه شرفيه من جامعة جورج واشنطن.
* ١٩٩٩ دكتوراه شرفيه من جامعة سانت جونس.
* ١٩٩٩ دكتوراه شرفيه من جامعة بكين.
* ١٩٩٨ دكتوراه شرفيه بالإقرار بدوره الإقليمي والعالمي من بلغاريا.
* ١٩٩١ عضوية وسام هونوريس كوزا الدولي من قبل المجلس الأكاديمي المكسيكي للقانون الدولي.

المصادر :

أولاً : الآثار (التراث المصري القديم) .
ثانياً : ما ورد في المصادر الأخرى .
ثالثاً :كتابات الرحالة والمؤرخين والفلاسفة اليونان والرومان وكذلك كتابات مانيتون ومن جاءوا من بعده .
رابعاً : بعض الإشارات في الكتب المقدسة وفي كتابات الرحالة أو الإخباريين العرب .

أولا : الآثار :

١– أهميه الآثار : تعد الآثار من أهم المصادر التي تصور لنا حضارة مصر القديمة في مظاهرها المختلفة، وبفضل هذه المادة الأثرية استطاع العلماء أن يعيدوا كتابة تاريخ مصر القديمة الذي اختفي وأن يظهروا معالم حضارتها. وأهم ما يميز تلك الآثار عن غيرها من المصادر هي :
١ – أنها جزء من هذه الارض .
٢– أنها المصدر الأكثر صدقا لكتابة تاريخ مصر .
٣– هي المصدر الوحيد الذي عاصر كل الأحداث التي مر بها تاريخ مصر .
٤– أنها من تفكير وصنع وإنتاج المصريين القدماء أنفسهم وتعبر عنهم وعن فكرهم .
٥– أنها خير شاهد علي تاريخ مصر المجيد وخير متحدث عما قام به الأبناء البعيدون لهذا الوطن من خير الأعمال وجهد الإنسان المصري وتفوقه الحضاري .
٦– أنها ما زالت باقية وتقاوم عوامل التعرية والطبيعة والزمن علي الرغم من مرور آلاف السنين .
٧– أنها كثيرة ومتنوعة ومنتشرة في جميع أنحاء البلاد في المتاحف والمجموعات الخاصة، هذا إلى جانب الآثار لم كشف عنها بعد .ووفرة تلك الآثار يرجع إلى عقائد المصريين القدماء الدينية التي قضت بأن يقيموا مختلف المظاهر المعمارية من دنيوية ودينية وجنائزية ويرجع إلى التقدم في العلوم المختلفة التي لها صلة بفن المعمار مما أتاح لهم إقامة هذا

التراث الهائل .وأيضاً إلى جفاف مناخ مصر الذي ساعد علي حفظ هذا التراث الهائل سليما بقدر الإمكان .

٨- أنها تمدنا بكل المعلومات عن مجالات الحضارة المختلفة :الحياة السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية والفنية وأساليب التربية والتعليم والعلاقات الخارجية .

نوعية الآثار :**وهي إما منقوش أو مكتوب** .

- **منقوش** :مثل الكتابات والخطوط المتعددة التي سجلت علي الصخور وجدران المعابد والمقصورات والتواييت والتماثيل واللوحات والمسلات وما كان منقوشاً .

- **مكتـوب** :علي أنواع أخري من الآثار مثل الآلات والأدوات الصغيرة والأواني والحلي والتحف الصغيرة وكسر الفخار والأوستراكا وأوراق البردي .....إلخ وكتب على هذه الآثار إما بالكتابة الهيروغليفية أو الهيراطيقية أو الديموطيقية أو القطبية وكتابات أخرى بلغات أخري مثل المروية واليونانية والآرامية والسماوية .

أهم المصادر الاثرية

١- اللوحات الصغيرة والصلابات ومقامع الملوك :

وهي اللوحات الصغيرة من الحجارة أو العاج أو الأبنوس والأخشاب، وقد بدأ بها المصريون في عصر ما قبل التاريخ بتسجيل الأحداث والأعمال .ثم مع بداية الأسرة الأولى توصل المصريون إلى معرفة الكتابة وكتابة بعض أسماء الملوك ولكن ظلوا يسجلون أيضا بالصورة أو النقش ما يرغبون في التعبير عنه من أحداث تاريخهم أو مشاريع معينة تنسب إلى ملوكهم الأوائل مثل رأس مقمعة القتال الخاصة بالملك العقرب ث صلابة الملك تعرمر التي تعبر نقوشها علي إتمام عملية الوحدة السياسية للبلاد .

٢- القوائم الملكية :

وهي تعتبر من أهم ما تقدمه المصادر الأثرية بالنسبة لأحداث تاريخ مصر وهي تلك القوائم أو مسارد الملوك التي تدون أسماءهم مرتبة ترتيبا زمنيا مع ذكر مدد حكمهم وأهم أحداث عصرهم .ومن حسن الحظ أنه قد توصلت إلينا بعضاً من هذه القوائم الملكية سليمة إلى حد ما وأكثر هذه المصادر دقة إلي ترتيب بالملوك .

حجر بالرمو :

وهو موجود بمتحف بالرمو بإيطاليا وهو عبارة عن لوحة كبيرة من حجر الديوريت الأسود، حطمت إلى ست قطع، واحدة في بالرمو وأربعة في المتحف المصري وقطعة سادسة في متحف الجامعة بلندن (وهي تؤرخ لملوك من الأسرة الأولى وحتى الأسرة الخامسة).

قائمة الكرنك :

وجدت منقوشة في معبد الكرنك وهي من عهد تحتمس الثالث وهي تؤرخ لملوك من الأسرة الرابعة حتى عهد الملك وأسقطت ملوك عصر الانتقال الأول .

قائمتا أربيدوس :

وعثر عليها في معبد سيتي الأول ورمسيس الأول في أبيدوس كانت الأولى منقوشة علي لوحة موجودة الآن في المتحف البريطاني، والقائمة الثانية موجودة مدونة علي الجدران الداخلية للمعبد .وتذكر من اسم منا حتى اسم مؤسس الأسرة التاسعة عشرة رمسيس الأول.

لوحة سقارة :

وقد عثر عليها ماريت في سقارة وذكر عليها حوالي ٥٨ اسم ملك لم يبق منها سوي ٥١ الآن، وتذكر بعض أسماء ملوك الأسرة حتى رمسيس الثاني .

بردية تورين :

وهي مكتوبة باللغة الهيراطيقية في عهد رمسيس الثاني، وتضم ٣٠٠ اسما من الملوك من عصر ما قبل الأسرات وحتى الأسرة السابعة عشرة وتوجد البرديه في متحف تورين بإيطاليا.

لوحة الأنساب

(موجودة في متحف برلين وهي قائمة كبار منف من الأسرة ٢٢ وتنزل بالنسب إلى الأسرة ١١ وتذكر حوالي ٦٠ كاهنا وأمام اسم كل منهم الملك الذي عاصروه وقد اكتفي بعض

هذه القوائم بتسجيل تتابع أسماء الملوك بينما أضاف بعضها إلى اسمائهم. ذكر فترات الحكم بالأعوام والشهور والأيام كما سجلت لبعضهم أهم ما اشتهرت به عهودهم من منشآت خاصة وعامة وأعياد وحروب وبعثات تجارية .

٣- الأساطير والقصص :

وهي نوعية من الآثار وثائق تعطينا صورة عن الأوضاع السياسية العامة مثل أسطورة الصراع بين أوزير وست وبين حورس وست، وقصص أبناء الملك خوفو. وبردية إيبوور التي تصف حال البلاد في نهاية الدولة القديمة . وقصة سنوهي التي تصور الوضع السياسي في بداية الأسرة ١٢ ومحاولة اغتيال الملك أمنمحات الأول .

ثانيا : ما ورد في بعض المصادر الأخرى :

ونقصد بذلك ما ورد في بعض مصادر بلاد الشرق القديم من إشارات لها صلة بتاريخ مصر وعاصرت بعض فتراته وارتبطت تواريخها بتاريخ مصر مثل مشروع معاهدة سلام بين رمسيس الثاني وبين خاتوسيل إلى جانب مساوية أخري .

ثالثا : كتابات الرحالة والمؤرخين والفلاسفة اليونان والرومان

وكذلك كتابات مانيتون ومن جاءوا بعده ، وتعد من المصادر الهامة لأنها تمدنا بمعلومات قيمة بالنسبة للتاريخ ولجوانب مختلفة من الحضارة المصرية فمن اليونان هيكاتية – الملتي الذي زار مصر عام ٥٢٠ق.م، ثم هيرودوت الذي جاء إلى مصر حوالي ٤٤٨ ق.م، ثم أفلاطون الذي زار مصر بين عامي ٣٩٨-٣٩٠ ق.م أي في نهاية الأسرة ٢٩ وقضي ١٣ سنة في مصر، ثم هيكاتية الأبديري وهو مؤرخ يوناني حضر في عام ٣٠٠ ق.م، ثم معرف مانيتون وهو من سمنود ويعد أول مؤرخ مصري قديم حاول كتابة تاريخ مصر وقد عاش في الفترة من ٣٢٣ : ٢٤٥ ق.م. كانت كتاباته مختلفة عن قبله فكان عالما باللغة المصرية وكتاباتها واليونانية المتداولة في عصره، وقد كتب تاريخ مصر باليونانية وأرخ فيه للحياة الاجتماعية والسياسية منذ أقدم العصور حتى أيامه . وتابع مانيتون رحالة كثيرون نذكر منهم

تيودور الصقلي واسترايون البونتي ويليني الجغرافي وبلوتارخ الخايروني وآخرون. ويلاحظ اختلاف كل مؤرخ وجغرافي من هؤلاء وهؤلاء عن زميلة في مدي تحري الأمانة فيما رواه عن تاريخ مصر ومدي معرفته الصحيحة ومدي إقامته بها ومدي فهمه للعادات والتقاليد المصرية.

رابعا : بعض الإشارات في الكتب المقدسة وفي كتابات الرحالة أو الإخباريين العرب.

مثل ما جاء في كتاب العهد القديم (سفر الملوك)، وخروج بني إسرائيل من مصر في (سفر الخروج)، وما ورد في القرآن الكريم عن مصر وفرعون وقصة الخروج منها، وما قام به سيدنا موسى عليه السلام من أعمال. وقد وردت بعض الإشارات عن وصف آثار مصر وعجائب مصر في بعض كتابات الرحالة العرب ومنهم اليعقوبي والمسعودي والكندي وابن نديم والبيروني وابن جبير وغيرهم مثل ابن بطوطة وابن خلدون والسيوطي وابن إياس .

مصادر أخرى :

* موسوعة حضارة العالم أنشأها أحمد محمد عوف.

www.Histoc-ar.blogspot.com

* موقع كنيسة الأنبا هيمانوت – الإسكندرية –مصر

http://www.nesrelarab.com/vb/showthread.php?t=1977

* التاريخ الفاطمي الاجتماعي/ تأليف أيوب إبراهيم. بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ١٩٩٧.
* أيام المحروسة من الدخول العربي حتى التجربة الإخشيدية/ تأليف أشرف صالح.فلسطين: دار الصداقة للنشر الإلكتروني، ٢٠١٠.
* كتاب الخطط المقريزية، المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها / تأليف تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزى. الشياح، لبنان: مكتبة إحياء علوم الدين، ١٩٥٩.
* مقالات أحمد محمد عوف.

* موسوعة حضارة العالم أنشأها أحمد محمد عوف.
* موسوعة تاريخ مصر ، أحمد حسين ، مكتبة دار الشعب ، ١٩٧٨ .
* المجلة التاريخية المصرية ، أحمد حسين ، الجمعية المصرية للدراسات والترجمة ، ١٩٧٤ .
* مصر الفرعونية ، أحمد فخري ، المكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٥
* الآثار المصرية في وادي النيل ، جيمس بيكي / ت / لبيب حبيش ، مكتبة الدجوى – القاهرة – ١٩٨٦ .
* وصف مصر ، علماء الحملة الفرنسية ، الشايب للنشر ، ١٩٩٢ .
* كنوز الفراعنة ، ت / ج / جيمز ، ت / أحمد زهير ، مكتبة الاسرة ، ١٩٩٩ .
* الحياة أيام الفراعنة .. مشاهد الحياة في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ .
* سرقة ملك مصر ، محسن محمد ،مركز ألأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٥ .
* كليوباترا في الأدب والتاريخ، محمد حسن عبد الله ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ .
* تاريخ الرومان ، نجيب إبراهيم ، دار مطبعة الغد ، ١٩٩٧ .
* موسوعة مصر القديمة، سليم حسن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ .
* موجز تاريخ مصر ، محمد غريب جودة ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠ .
* تاريخ المصريين إقليم الغربية في عصر الأيوبيين والمماليك ، وليد محمد أحمد عطا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢ .
* معجم الحضارة المصرية القديمة ، بيل شيجل / ت / أمين سلامة، مكتبة الأسرة، ١٩٩٦.
* تاريخ مصر ، جيمس هنري / ت / حسن كمال ، مكتبة الأسرة ١٩٩٩ .
* الملك فاروق

http://www.faroukmisr.net/index.htm

* ارشيف الصور الخاص بالملك فاروق

http://mashy.com/index.pl/king_farouk_gallery

* صور نادرة من ايام الملكية المصرية

http://images.google.com/images?q=king+farouk&q=source%3Alife

* موقع الرئيس جمال عبد الناصر

/http://www.nasser.org

* فيلم وثائقي عن الرئيس محمد أنور السادات إنتاج مكتبة الإسكندرية

/http://sadat.bibalex.org

* الموقع الرسمي للرئيس محمد أنور السادات

http://www.anwarsadat.org/index.asp

* مواقع الرئيس محمد انور السادات

* الأرشيف الرقمي للرئيس محمد أنور السادات

الفهرس

المقدمة **5**

الباب الاول :ملوك الدولة القديمة **7**

- **الفصل الاول :عصر الأسر المبكرة** **9**
  - **1– نارمر** **11**
  - **2 – ميناء** **13**
- **الفصل الثاني : ملوك الدول القديمة** **15**
  - **1 – زوسر** **17**
  - **2 – سنفرو** **19**
  - **3 – عصر بناة الاهرام : خوفو، خفرع، منكاورع** **23**
- **الفصل الثالث: ملوك الدولة الوسطى** **27**
  - **1 – منتوحتب** **29**
  - **2 – أمنمحات الأول** **31**
  - **3 – سنوسرت الثالث** **33**
  - **4 – أمنمحات الثالث** **35**
  - **5 – سقنن رع** **37**
  - **6 – كامس** **39**
- **الفصل الرابع : ملوك الدولة الحديثة** **41**
  - **1 – أحمس الاول** **43**
  - **2 – حتشبسوت** **45**
  - **3– تحتمس الثالث** **49**
  - **4– أمنحتب الثالث** **55**

- 5- اخناتون 57
- 6- توت عنخ آمون..... 61
- 7- حور محب 69
- 8- رمسيس الثاني..... 71
- 9- رمسيس الثالث..... 77

■ الفصل الخامس : ملوك العصر المتأخر 79

الباب الثاني : اليونان و الرومان 85

■ الفصل الاول : العصر المقدوني..... 87

- 1- الإسكندر المقدوني 89

■ الفصل الثاني : ملوك دولة البطالمة 93

- 1- بطليموس الأول..... 95
- 2- كليوباترا السابعة..... 99

■ الفصل الثالث : العصر الروماني 103

الباب الثالث : الفتح الاسلامي 109

الباب الرابع : الملوك المستقلون 121

■ الفصل الاول : الدولة الطولونية 123

■ الفصل الثاني : الدولة الأخشيدية 131

■ الفصل الثالث : الدولة الفاطمة 137

■ الفصل الرابع : الدولة الايوبية 145

■ الفصل الخامس : حكام الدولة المملوكية 149

- 1- شجرة الدر..... 151
- 2- عز الدين أيبك 153
- 3 - الملك المظفر سيف الدين قطز 157

- 4- الظاهر بيبرس 167
- 5- المنصور قلاوون 177
- 6- الملك الصالح صالح 179
- 7- الملك الجواد المظفر 181
- 8- السلطان حسن 189

الباب الخامس : ملوك العصر الحديث 193

- الفصل الاول : محمد على باشا 195
- الفصل الثاني : ابراهيم باشا 203
- الفصل الثالث : عباس حلمي الاول 207
- الفصل الرابع : محمد سعيد باشا 213
- الفصل الخامس : الخديوي اسماعيل 217
- الفصل السادس : الخديوي محمد توفيق 223
- الفصل السابع : عباس حلمي الثاني 227
- الفصل الثامن : السلطان حسين كامل 235
- الفصل التاسع : الملك فؤاد الاول 239
- الفصل العاشر : الملك فاروق الاول 243
- الفصل الحادي عشر : أحمد فؤاد الثاني 253

الباب السادس : حكم مجلس قيادة الثورة 257

- الفصل الاول : الرئيس محمد نجيب 259
- الفصل الثاني : الرئيس جمال عبد الناصر 281
- الفصل الثالث : الرئيس محمد أنور السادات 293
- الفصل الرابع : الرئيس محمد حسنى مبارك 307
- المصادر 321